

تاريخ الوطن العربي الحديث
المنهج والوقائع

تاريخ الوطن العربي الحديث

المنهج والوقائع

الأستاذ الدكتور

محمد مظفر الأدهمي

أستاذ التاريخ الحديث

كلية الآداب - جامعة إب - اليمن

وحدة حركة
تأريخ الوطن العربي الحديث

**مبادئ ومنطلقات لبناء
مدرسة عربية في فهم تاريخنا وكتابتها**

الدولة العثمانية وسيطرتها على الوطن العربي

الأوضاع الإدارية و الحركات الاستقلالية العربية في ظل الدولة العثمانية

الاستعمار الأوربي و المقاومة العربية

النهضة العربية

الملاحق

الملاحق

الملاحق

الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون خلال الفترة

من 14 يوليو 1915 إلى 10 مارس 1916

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة في 28/ رمضان سنة 1333 هـ (14/ يوليو سنة 1915م)
لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر، سلمه الله .
أقدم لجنابكم العزيز أحسن تحياتي الودية واحتراماتي، وأرجو أن
تعملوا كل ما في وسعكم لتنفيذ المذكرة المرسلة إليكم طيه،
المتضمنة الشروط المقترحة المتعلقة بالقضية العربية.
وأود بهذه المناسبة أن أصرح لحضرتكم ولحكومتكم انه ليس
هناك حاجة لأن تشغلوا أفكاركم بآراء الشعب هنا، لأنه بأجمعه
ميال إلى حكومتكم بحكم المصالح المشتركة.
ثم يجب ألا تتعبوا أنفسكم بإرسال الطيارات أو رجال الحرب،
لإلقاء المناشير وإذاعة الشائعات، كما كنتم تفعلون من قبل، لأن
القضية قد قررت الآن.
وأني لأرجوكم هنا أن تفسحوا المجال أمام الحكومة المصرية،
لترسل الهدايا المعروفة من الحنطة للأراضي المقدسة "مكة
والمدينة" التي أوقف إرسالها منذ العام الماضي.

وأود أن ألفت نظركم إلى أن إرسال هدايا هذا العام، والعام
الغائب، سيكون له أثر فعال في توطيد مصالحنا المشتركة وأعتقد
أن هذا يكفي لإقناع رجل ذكي مثلك أطال الله بقاءكم.
حاشية: أرجو ألا تزعموا أنفسكم بإرسال أي رسالة قبل أن تروا
نتائج أعمالنا هنا، خلا الجواب على مذكرتنا وما تتضمنه.
ونرجو أن يكون هذا الجواب بواسطة رسولنا كما نرجو أن
تعطوه بطاقة منكم ليسهل عليه الوصول إليكم عندما نجد حاجة
لذلك. والرسول موثوق به.
المذكرة: لما كان العرب بأجمعهم دون استثناء - قد قرروا في
الأعوام الأخيرة أن يعيشوا وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة، وأن
يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم . ولما كان هؤلاء قد
شعروا وتأكدوا أنه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن
تساعدهم وتعاونهم للوصول إلى أمانهم المشروعة، وهي
الأمانى المؤسسة على بقاء شرفهم، وكرامتهم وحياتهم...
ولما كان من مصلحة العرب أن يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا
عن أية حكومة أخرى بالنظر لمركزها الجغرافي، ومصلحتهم
الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا.
أنه بالنظر لهذه الأسباب كلها يرى الشعب العربى أنه من
المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية إذا كانت ترى من المناسب
أن تصادق بواسطة مندوبيها أو ممثليها على الاقتراحات الأساسية
الآتية:

أولاً : أن تعترف إنجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين -
اذنه، حتى الخليج العربي شمالاً ومن بلاد فارس حتى خليج
البصرة شرقاً، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً يستثنى من
ذلك عدن التي تبقى كما هي - ومن البحر الأحمر والبحر
المتوسط حتى سينا غرباً.
على أن توافق إنجلترا أيضاً على إعلان خليفة عربي على
المسلمين.

ثانياً : تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية إنجلترا في كل
مشروع اقتصادي في البلاد العربية، إذا كانت شروط تلك
المشاريع متساوية.

ثالثاً: تتعاون الحكومتان الإنجليزية والعربية في مجابهة كل قوة
تهاجم أحد الفريقين وذلك حفظاً لاستقلال البلاد العربية. وتأميناً
لأفضلية إنجلترا الاقتصادية فيها.. على أن يكون هذا التعاون في
كل شيء في القوة العسكرية، والبحرية، والجوية ...

رابعاً: إذا تعدى أحد الفريقين على بلد ما ونشب بينه وبينها عراك
وقتل، فعلى الفريق الآخر أن يلزم الحياد. على أن هذا الفريق
المعتدى إذا رغب في اشتراك الفريق الآخر معه ففي وسع
الفريقين أن يجتمعا معا وأن يتفقا على الشروط.

خامساً: مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه
المعاهدة خمس عشرة سنة. وإذا شاء أحد الفريقين تجديدها

عليه أن يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام^(*) .

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق "والحمد لله" على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلباً أو إيجاباً في خلال ثلاثين يوماً من وصول هذا الاقتراح. وإذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جواباً فإنه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء. وفوق هذا فإننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا - إذ لم يصل الجواب - أحراراً في القول والعمل من كل التصريحات، والوعود السابقة التي قدمناها بواسطة علي أفندي.

من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين

30 أغسطس 1915

إلى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف بن الشريف السيد الجليل المبجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط رجال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر

لإظهاركم عاطفة الإخلاص وشرف الشعور والاحساسات نحو الإنجليز. وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الإنجليز والعكس بالعكس . ولهذه النسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت إلى سيادتكم عن يد علي أفندي وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها. وانا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة.

وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها، وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة راحاها ولأن الأتراك أيضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا وعلى الأخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقا من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها، وبدل أقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة إلى الألمان، نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الألمان والظالم العسوف وهو الأتراك.

مع ذلك فأنا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل والبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب

والصدقات المقررة من البلاد المصرية وستصل بمجرد إشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه . وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا مستتشقين رائحة مودتكم الزكية ومستوثقين بعري محبتكم الخاصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا.

وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي.

المخلص	تحريرا في 19
السير أرثر	شواالموافق 30
مكماهون	أغسطس 1915
نائب جلالة الملك	

من الشريف حسين إلى السير مكماهون
بسم الله الرحمن الرحيم

مكة في 29 شوال سنة 1333 (9 سبتمبر سنة 1915)
لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر، سلمه الله
بمزيد من السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في 19 شوال
وطالعتة بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته
وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الأساسية أعني نقطة الحدود.
وأرى من الضروري أن أؤكد لسعادتكم إخلاصنا نحو بريطانيا
العظمى واعتقادنا بضرورة تفضيلها على الجميع في كل الشؤون
وفي أي شكل، وفي أية ظروف ويجب أن أؤكد لكم أيضا أن
مصالح اتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم .
ويعذرني فخامة المندوب إذا قلت بصراحة أن "البرودة"
و"التردد" الذين ضمنهما كتابه فيما يتعلق بالحدود وقوله أن
البحث في هذه الشؤون إنما هو إضاعة للوقت، وإن تلك
الأراضي لا تزال بيد الحكومة التي تحكمها.. ويعذرني فخامته إذا
قلت أن هذا كله يدل على عدم الرضا، أو على النفور أو على
شئ من هذا القبيل. فإن هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل
واحد تتمكن من إرضائه ومفاوضته بعد الحرب بل هي مطالب
شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على
هذا الاعتقاد.
وهذا ما جعل الشعب يعتقد أنه من الضروري البحث في هذه
النقطة قبل كل شئ مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ويعلقون
عليها كل الآمال وهي بريطانيا العظمى .

وإذا أجمع هؤلاء على ذلك فإنما يجمعون عليه في سبيل الصالح المشترك، وهم يرون أنه من الضروري جداً أن يتم تنظيم الأراضي المجزأة ليعرفوا على أي أساس يؤسسون حياتهم كي لا تعارضهم إنجلترا أو إحدى حليقاتها في هذا الموضوع مما يؤدي إلى نتيجة معاكسة، الأمر الذي حرمة الله. وفوق هذا فإن العرب لم يطلبوا - في تلك الحدود - مناطق يقطنها شعب أجنبي بل هي عبارة عن كلمات وألقاب يطلقونها عليها.

أما الخلافة فإن الله يرضى عنها، ويسر الناس بها. وأنا على ثقة يا صاحب الفخامة أنكم لا تشكون قط بأنني لست أنا شخصياً الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا، بل هي مقترحات شعب بأسره، يعتقد بأنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية.

أو ليس هذا صحيحاً يا فخامة الوزير؟ وبالاختصار فإننا ثابتون في إخلاصنا نصرح بكل تأكيد بتفضيلنا لكم على الجميع أكنتم راضين عنا - كما قيل - أو غاضبين. أما ما يتعلق في قولكم بأن قسماً من شعبنا لا يزال يبذل جهده في سبيل تأمين مصالح الأتراك، فلا أظن أن هذا يبرر البرودة والتردد الذين شعرت بهما في كتابكم فيما يتعلق بموضوع الحدود، الموضوع الذي لا أعتقد أن رجلاً مثلكم ثاقب الرأي ينكر أنه ضروري لحياتنا الأدبية والمادية.

وأنا حتى الساعة لا أزال أنفذ ما تأمر به الديانة الإسلامية في كل عمل أقوم به وأراه مفيدا وصالحا لبقية المملكة وأنى ساستمر في هذا إلى أن يأمر الله في غير ذلك.

وأود هنا يا صاحب الفخامة أنؤكد لكم بصراحة أن كل الشعب - ومن جملته هؤلاء الذين يقولون أنهم يعملون لصالح تركيا وألمانيا - ينتظر بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافقتكم أو رفضكم قضية الحدود وقضية المحافظة على دياتهم وحمايتهم من كل أذى أو خطر.

وكل ما تجده الحكومة البريطانية موافقا لسياستها في هذا الموضوع فما عليها إلا أن تعلمنا به وأن تدلنا على الطريق التي يجب أن نسلكها.

ولذلك نرى أن من واجبنا أن نؤكد لكم أننا سنطلب إليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها.

ولست أرى حاجة هنا لأن ألغت نظركم إلى أن خطتنا هي آمن على مصالح إنجلترا من خطة إنجلترا على مصالحنا، ونعتقد أن وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيققل أفكارنا كما يقلق أفكارها..

وفوق هذا فإن الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء وقد يضطرونا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة، تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة.

وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة. وأنا أصرح بهذا رغم أنني أعتقد وأؤمن بالتعهدات التي قطعتموها في كتابكم. ويستطيع معالي الوزير وحكومته أن يثقا كل الثقة بأننا لا نزال عند قولنا وعزيمتنا وتعهداتنا التي عرفها مستر ستورس منذ عامين.

ونحن ننتظر اليوم الفرصة السانحة التي تناسب موقفنا، وخاصة فيما يتعلق بالحركة التي أوضحت قريية والتي يدفعها إلينا القدر بسرعة ووضوح لتكون حجة - نحن والذين يرون رأينا - في العمل ضد تركيا ودون أن نتعرض للوم والنقد .

واعتقد أن قولكم بأن بريطانيا لا تحثكم ولا تدفعكم للإسراع في حركتكم مخافة أن يؤدي هذا التسرع إلى تصديق نجاحكم . لا يحتاج إلى إيضاح إلا فيما يتعلق بمطالبكم بالأسلحة والذخائر عند الحاجة .

اعتقد الآن أن هذا الكفاية .

من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فرع الدوحة المحمدية وسلالة النسل النبوي الحسيب النسيب
دولة صاحب المقام الرفيع الأمير المعظم السيد الشريف بن
الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء جعله الله حرزاً
منيعاً للإسلام بعونه تعالى وهو دولة الأمير الجليل الشريف
حسين بن علي أعلى الله مقامه.

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ 29
شوال سنة 1333 وبه من عباراتكم الودية المحضنة وإخلاصكم
ما أورثني رضاء وسروراً .

أنى متأسف أنكم استتجتم من عبارة كتابي السابق أنى قابلت
مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور، فإن ذلك لم يكن القصد
من كتابي قط ولكني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت
بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية.

ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه
المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة. فلهذا فإنني قد
أسرعت في إبلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم وإني
بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا أشك
في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول.

إن ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة
في الجهة الغربية لولايات دمشق والشام وحمص وحماة وحلب لا
يمكن أن يقال أنها عربية محضة. وعليه يجب أن تستثنى من
الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود.

وأما من خصوص الأقاليم التي تضمنها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليفتها فرنسا فإنني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي:

1. أنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة.
2. أن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها.
3. وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة.

4. هذا وأن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الأوروبيين اللازمين لتشكيل هيئة إدارية قديمة يكونون من الإنجليز.
5. أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ

تدابير إدارية مخصصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي
وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة.

وأني متيقن أن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل
بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد
محالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد
الأتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك
الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال.

ولقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية
الكبرى وإن كان هناك مسائل في خطابكم لم تذكر هنا فسنعود
إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل.

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة
وما معها من الصدقات بالسلامة وأنها بفضل إرشاداتكم السامية
وتدابيركم المحكمة قد أنزلت إلى البر بلا تعب ولا ضرر رغما عن
الأخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة ونرجو
الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لأهل
العالم.

إني مرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ محمد
بن عارف بن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل
المفيدة التي هي من الدرجة الثانية من الأهمية ولم أذكرها في
كتابي هذا.

وفي الختام أبث دولة الشريف ذا الحسب المنيف والأمير الجليل
كامل تحيتي وخالص مودتي وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد
أسرته الكريمة راجيا من ذي الجلال أن يوفقنا جميعا لما فيه خير
العالم وصالح الشعوب، أن بيده مفاتيح الأمر والغيب يحركها كيف
يشاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام.

تحريرا في يوم الاثنين 15 ذي
الحجة 1333.
نائب جلالة
الملك
(السير أرثر
مكماهون)

من الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون
بسم الله الرحمن الرحيم

إلى معالم الشهم الهمام ذو الأصالة والرياسة الوزير الخطير
وفقه الله لمرضاته بملء الإيناس تلقينا مرسومكم الموقر الصادر
وأحلناه محل التبجيل وعلى مؤداه نجيب الشهامة.
أولاً - تسهيلا للوفاق وخدمة للإسلامية فرارا مما يكلفها
المشاق والأحن ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات
والمزايا الممتازة لدينا تترك الإلحاح في إدخال ولايات مرسين
واطنة في أقسام المملكة العربية وأما ولايتي حلب وبيروت

وسواحلها فهي ولايات عربية محضة ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فإنهما ابنا جد واحد، ولتقوم فيهم منا معاشر المسلمين ما سلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أحكام الدين الإسلامي ومن تبعه من الخلفاء أن يعاملوا المسيحيين كمعاملاتهم لأنفسهم بقوله "لهم مالنا وعليهم ما علينا" علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به.

ثانيا - حيث أن الولايات العراقية هي من أجزاء المملكة العربية المحضة، بل هي مقر حكومتها على عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده، وبها قامت مدنية العرب وأول ما اختطوه من المدن والأمصار واستفلحت دولهم فلها لدى العرب أقصاهم وأدناهم القيمة الثمينة والآثار التي لا تنسى، فلا يمكن إرضاء الأمة العربية وإرضائها لترك ذلك الشرف ولكن تسهلا للوفاق سيما والمحاذير التي أشرتم إليها في المادة الخامسة من رقيمكم أنف الذكر محفوظيها وصيانتها من طبقة وضرورة ما نحن فيه وحياسة ما نريد التوصل إليه، فإن أهم ما في هذا هي صيانة تلك الحقوق الممزوجة بحقوقنا بصورة كأنها الجوهر الفرد يمكن الرضا بترك الجهات التي هي الآن تحت الأشغال البريطاني إلى مدة يسيرة، البحث فيما يقبل عن قدرها دون أن يلحق حقوق الجانبين مضرة أو خلل. سيما العربية بالنسبة لأمر مرافقها ومنابعها الاقتصادية الحياتية، وأن يدفع للمملكة العربية في مدة الأشغال المقدار المناسب من المال

لضرورة ترتكبه كل مملكة حديثة الوجود. مع احترامنا لوفقاتكم
المشار عليها مع مشايخ تلك الجهات وبالأخص ما كان منها
جوهريا.

ثالثا - رغبتكم في الإسراع بالحركة نرى فيه من الفوائد بقدر ما
نرى فيه من المحاذير، أوله خشية لوم الإسلامية كما سبق
الجاهل عن حقائق الحالة بأننا شققنا عصاها وأبدنا قواها، الثاني
المقام تركيا معاضدتها جميع معاني قوى جرمانيا لجهلنا عما إذا
حصل وهن إحدى دول الإتلاف وأوجبها على صلح دول الاتفاق،
فكيف تكون خطة بريطانيا العظمى وحلفائها لنلا تكن الأمة
العربية أمام تركيا وحلفائها معا إذ لا يهمنا ما إذا كنا والعثمانية
رأسا لرأس.

وعلى هذا فضروري ملاحظة هذه الوجه ولا سيما عقد صلح
اشتركنا في حربه بصورة غير رسمية يخول للمتصالحين البحث
فيه عن شؤوننا .

رابعا - إن الأمة العربية تعتقد يقينا أن العثمانية عند وضع أوزار
الحرب سيوجهون كل أعمالهم فيما يغضب العرب ويغتصب
حقوقهم المادية والمعنوية وذهاب شعارهم وأحسابهم
وإخضاعهم بكل معاني الإخضاع مع بقائها تحت النفوذ الألماني
فهم عازمون على حربهم حتى لا يبقى لنا باقية وما يرى فينا الآن
من التآني فقد سبق بيان علته .

خامسا - متى علمت العرب أن حكومة بريطانيا حلفائهم لا يتركونهم عند الصلح على حالهم أمام تركيا وجرمانيا وأنهم يدافعون عنهم ويعاضدونهم ويدافعون عنهم الدفاع الفعلي فالدخول في الحرب من الساعة لا شك أنه مما يوافق المصالح العربية .

سادسا - إفادتنا السابقة الصادرة بتاريخ 29 شوال 1333 تغني عن إعادة القول في المادة الثالثة والرابعة من مرسومكم هذا الموقر في خصوصات الهيئات الحاكمة والمشاورين والموظفين سيما وقد صرحتم يا حضرة الشهم بأنكم لا تتدخلون في أمور الداخلية.

سابعا - وصول الجواب الصريح القطعي في أقرب زمن على ذكر أعلاه من الطلبات إذ أنا أستعملنا كلما يقربنا إليكم من التساهل الجدي الذي لا يراد به حقيقة جوهرية فإننا نعلم أن نصيبنا من هذه الحروب إما سعادة تضمن للعرب الحياة التي تناسب تاريخهم أو الاضمحلال في سبيلها. ولولا ما رأيت ورأيت ما في عزمهم لاخترت العزلة في شواهد السراة، ولكن أبو علي يا عزيزي - أعزك الباري بمرضاته ألا أن يقودني إلى هذه المواقف. ودم غانما سالما بما تحبه وتريده.

حرر في 27 من ذي الحجة 1333 .

من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الأصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة
والحسب الطاهر والمنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد
حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين. أدامه
الله في رفعة وعلاء.

وبعد، فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ 14 ذي الحجة 1333
وسرني ما رأيته فيه من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأضنه من
حدود البلاد العربية.

وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضا تأكيداتكم أن العرب
عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وغيره من السادة الخلفاء الأولين - التعاليم التي
تضمن حقوق كل الأديان وامتنيازاتها على السواء.
هذا، وفي قولكم أن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا
بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً أن
هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لأن
حكومة بريطانيا لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين
أولئك الرؤساء.

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد
فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة -
ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة

تحتاج إلى نظر دقيق - وسنخبركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب.

إن حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً أدق وأتم مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات.

وأنا نستوصب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة وأن تحثوهم على ألا يمدوا يد المساعدة إلى أعدائنا بأي وجه كان. فإنهم على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لإسعاف غرضنا عندما يجرى وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته.

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك.

هذا وعربون على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فإنني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين ألف جنيه.

وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولأفراد أسرتكم المكرمة.

مع فائق الاحترام . المخلص

تحريرا في 8 صفر 1333 نائب جلالة الملك

بمصر 1915/12/14

(السير آرثر هنري

مكماهون)

من الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الوزير الخطير الشهم الهمام

بأنامل الإبجال والتوقير تلقينا رقيميكم 9 صفر الجاري برفق

حاملهم وعلمت مضمونيهما وأدخلا علينا من الانشراح والارتياح

مالا مزيد لإزالتهما ما يختلج بصدري ألا وهو وقوف حضرتك بعد

وصول أحمد شريف وحظوته بالجناب بأن كلما أتينا به في الحال

والشأن ليس بنا شئ عن عواطف شخصية أو ما هو في معناها

مما لا يعقل، وأنها قرارات ورغائب أقوام وأنا لسنا إلا مبلغين أو

منفذين لها بصفتنا التي ألزمونا بها إذ هذا عندي من أهم ما يجب وقوف شهامة الجنب عليه وعلمه به. أما ما جاء بالمحررات الموقرة فيما يتعلق بالعراق من أمر التعويض مدة الأشغال فلزيادة إيضاح وقول بريطانيا العظمى بصفاتها في القول والعمل في المادة والمعنى وإعلامها وأكد اطمئنانا باعتماد حكومتها المفخمة تترك أمر تقدير مبلغه لمدارك حكمتها ونصفتها، أما الجهات الشمالية وسواحلها فما كان في الإمكان من تعديل أتيننا به في رقيمنا السابق. هذا وما ذاك إلا للحرص على الأمنيات المرغوب حصولها بمشيئة الله تبارك وتعالى وعن هذا الحس والرغبة هما التي ألزمتنا بملاحظة اجتناب ما ربما أنه يمس حلف بريطانيا العظمى لفرنسا واتفاقهما أبان هذه الحروب والنوازل ألا أننا مع هذا نرى من الفرائض التي ينبغي لشهامة الوزير صاحب الرئاسة أن يتيقنها بأن عند أول فرصة تضع فيها أوزار هذه الحروب سنطالبكم بما نغض الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها ولا أرى لزوما بأن نحيطكم بما في هذا أيضاً من تأمين المنافع البريطانية وصيانة حقوقها هو أهم وأكبر مما يعود إلينا، وأن لابد من هذا على أي حالة كانت ليتم للعظمة البريطانية أن ترى أخصاءها في البهجة والرونق التي تهتم أن تراهم فيه سيما وأن جوارهم لنا سيكون جرثومة للمشاكل والمناقشات التي لا يمكن معها استقرار الحالة عدى أن البيروتين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال وبلجئونا على حالات

جديدة تهم وتشغل بريطانيا بصورة لا تكون بأقل من اشتغالنا الحالي بالنظر لما نعتقده وتتقينه من اشتراك المنفعة ووحدها وحدها وهي الداعية الوحيدة لعدم الفاتنا لسواكم في المخابرات وعليه يستحيل إمكان أي تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبرا من أراضي تلك الجهات أصبح بهذا مع اعتماد لكل جوارحي اعتمادا يرثه الحي منا بعد الميت بتصريحاتكم التي ختمتم بها رقيمكم الموقر. وعليه فليعتقد جناب الوزير الخطير ولتعتقد بريطانيا الكبرى أنا على العزم الذي أشير إليه ويعلمه منا جناب الأريب الكامل استورس التي اقترب وقتها مما تسوقه الأقدار إلينا بكل سرعة ووضوح لتكن حجة لنا وعن رأينا على الاعتراضات والمسؤوليات المقدرة وفي تصريحاتكم بقولكم "وأنا لسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم" يغني عن زيادة الإيضاح، ما عدا طلب ما نرى لزومه عند الحاجة من الأسلحة وذخائرها الحربية وما هو في معناها. واكتفى بهذا القدر عن أشغال شهامتكم بتقديم وافر احتشاماتي وجزيل توقيراتي لمقام المقر الموقر. وحرر في اليوم الخامس والعشرين من صفر الخير 1334 .

من السير مكماهون إلى الشريف حسين

القاهرة في 24 ربيع الأول سنة 1334، 30 يناير سنة 1916

تلقينا بسرور كتابكم المؤرخ في 25 صفر بواسطة رسولكم
الموثوق به وأطلعنا منه على رسالتكم الشفوية.
وأنتا لنقدر حق التقدير الدوافع التي تقودكم في هذه القضية
الهامة ونعرف جيداً أنكم تعملون في صالح العرب وأنكم لا
ترمون إلى شيء - في عملكم - غير صالحهم وحربتهم.
وقد عنيت عناية خاصة بملاحظاتكم بشأن ولاية بغداد، وسنبحث
هذا الموضوع باهتمام وعناية زائدين عندما تتم هزيمة العداء
ونصل إلى التسويات السلمية.
أما ما يتعلق بالجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة من رغبتكم في
تجنب كل ما من شأنه الإساءة إلى تحالف إنجلترا وفرنسا
وسررت جداً بإبداء مثل هذه الرغبة.
وأظنكم تعرفون جيداً أننا مقررون قراراً نهائياً بالا نسمح بأي
تدخل - مهما قل شأنه - في اتفاقنا المشترك في إيصال هذه
الحرب إلى الفوز ثم متى انتهت الحرب فإن صداقة فرنسا

وانجلترا ستقوى وتشتد، وهما اللتان بذلتا الدماء الإنجليزية
والفرنسية جنباً في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات.
والآن وقد قررت البلاد العربية أن تشترك معنا في الدفاع عن
الحقوق وتعمل معنا في سبيل القضية الهامة فإننا لندرجو الله أن
تكون نتيجة هذه الجهود المشتركة وهذا التعاون الوطيد، صداقة
دائمة، تعود على الجميع بالسرور والغبطة.
وقد سررنا جداً للحركة التي يقومون بها لإقناع الشعب بضرورة
الانضمام إلى حركتنا والكف عن مساعدة أعدائنا. وترك لفطنتكم
وتقديراتكم تقرير الوقت المناسب، لاتخاذ تدابير أوسع من هذه.
من الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون

14 فبراير سنة 1916

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة ذو الأصالة فخامة نائب جلالة الملك دام مرعياً
بعد فبايدي التوقيع والاحتشام تلقينا رقيم الفخامة المؤرخ 25 ربيع
أول، وأن مضامينه أدخلت علينا مزيد الارتياح والسرور لحصول
التفاهم المطلوب والتقارب المرغوب لأسأل الله أن يسهل
المقاصد وينجح المساعي. ومن الإيضاحات الآتية نفهم الفخامة
الأعمال الجارية والأسباب المقتضية:
أولاً - قد أعلمنا فخامتكم بأننا بعثنا بأحد أنجالنا إلى الشام ليرأس
ما يقتضى عمله هناك، ولقد ظفرنا منه بتقرير مفصل يفيد به أن
اعتسافات الحكومة هناك لم تبق من الأشخاص الذين نعتمد

عليهم في الأمر سواء كانوا من الجند على اختلاف مراتبهم أم ممن لم يكونوا من ذلك الصنف إلا القليل مما كان في الدرجة التالية، وأنه ينتظر وصول القوات المعلن بقدمها من مواقع مختلفة أخصها من أهالي البلاد وما جاورها من القطار العربية كحلب وجنوب الموصل المشاع بان عددها ما ينوف عن المائة ألف على ما يزعمون. وأنه لابد يؤمل إن كانت الأكثرية من القوة المذكورة من العرب فهو عازم على إجراء الحركة والقيام بهم، وإن كان العكس يعني الأكثرية من الأتراك وسواهم فسيناظر تقدمهم نحو التربة وعند اشتباك الحرب حركته بهم عندما يريدون.

ثانيا - عزمنا على إرسال نجلنا الكبير إلى المدينة المنورة بقوة كافية ليكون رداءاً لأخيه الذي بالشام ولكل احتمال واستيلائه على الخط الحديد وما هو في معنى ذلك مما تظهره الشؤون. وهذا هو المبدأ للحركة الأساسية المكتفين في مبادئها بما جندناه برسم المحافظة على راحة داخلية البلاد وبأهل الحجاز أهل المركز فقط لأسباب يطول شرحها:

(أولا) تعسر إحضار لوازمهم بصورة تجعل المشروع في حيز الكتمان، مع عدم الضرورة على ذلك وسهولة جلب الإمدادات عند الحاجة، هذا خلاصة ما رغبتم في الجواب عليه والاستفهام عنه.

وفي ظني أن فيه الكفاية واتخاذها أساسا وقياسا في أعمالنا أمام كل التبدلات والطوارئ التي سير الحالة.

بقى علينا بيان ما نحتاجه والحالة هذه هو :
أولا - مبلغ خمسين ألف جنيه ذهبا لمشاهدة القوات المجندة ونحوها مما ضرورته تغني عن بيانه. فالرجاء إحضارها بوجه السرعة الممكنة.

الثاني - إحضار عشرين ألف كيس أرز وخمسة عشر ألف دقيق وثلاثة آلاف شعير ومائة وخمسين كيس بن قهوة ومثلها سكر ومقدار خمسة آلاف بندقية من الطراز الجديد وما تحتاجه النسبة لها من المرميات وأيضا مقدار مائة صندوق من النوع المرسل منه مرميتين طيه. ومن مرميات بواريد مارتن هنري وبارودات غرا أعني بواريد معمل سانت أتين الفرنسية لاستعمال هذين الصنفين في بواريد أي بندقيات قبائلنا ولا بأس من جعل لكل نوعهما خمسمائة صندوق.

الثالث - أنا استنسبنا مركز سوقيات هذه المواد المرغوبة يكن بور سودان.

الرابع - بالنظر لكون المواد الغذائية واللوازم الحربية الموضحة أعلاه لا حاجة لنا بها إلا عند ابتداء الحركة، وسنبلغكم إياها بصورة رسمية تبقى في الموضع المذكور وعند الحاجة إليها يبلغ

أمير الجهة المذكورة وقاندها بالمواقع التي يقتضي سوقها إليها
والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها إياهم.

الخامس - النقود المطلوبة يقتضي إرسالها في الحال إلى أمير
بور سودان، وسيرده من طرفنا معتمد يتسلمها أما دفعة أو
دفعتين على حسب استطاعته. وهذه علامة اعتماد الرجل.

السادس - مندوبنا في قبض المبالغ المذكورة سيتوجه إلى بور
سودان بعد ثلاثة أسابيع، يعني يكون وصوله إليها في 5 من
جماد الأول حامل كتاب منا باسم الخواجة إلياس أفندي وأنه
يصرف له بموجبه ما لديه من إيجارات أملاكنا والإمضاء صراحة
باسمنا، غير أننا معدينه يسأل عن عائد الموقع وأميره، فأتم
تخبروهم عن ذلك الشخص وبمراجعتهم يجري له ما يقتضي من
صرف ما لديهم بشرط ألا يبحثوا معه في أي موضوع كان
مؤكدين غاية التأكيد في عدم المظاهرة له وكتمان أمره
ومعاملته في الظاهر بأنه لا شيء، لا يظن أن ثقتنا للشخص
الآخر من اعتماد الأول حامله هذا لا بل لعدم ضياع الوقت
لتعييننا له خدمة في جهة ثانية، مع تكرار رجائنا بعدم إركابه
وابعائه في بابور أو في شيء من هذه الرسمية فإن وسائطه
كافية.

السابع - مندوبنا حامل هذا أكدنا عليه بالاكتماء بإيصال هذا وأظن
أن مأموريته في هذا الدور تمت، حيث أن الحالة علمت أساساتها

وفروعها فلا حاجة في بعث شخص آخر، إذ أن اللزوم للمخابرة
يكن منا، ولا سيما أن مندوبنا الأخير سيردكم بعد ثلاثة أسابيع
يمكن في ظرفها إفادتنا بما يلزم له الحال وألا يعامل في
الصورة الظاهرة إلا معاملة بسيطة.

الثامن - تعهد الحكومة البريطانية العظمى قبول هذه المصاريف
الحرية بموجب الدفاتر التي تقدم إليها ببيان الوجهة التي صرفت
فيها. وبالختام أهديكم أشواقي التي لا تعد واحتشامي الذي ليس
له حد.

14 ربيع الآخر 1334 .

من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر
قبلة الإسلام والمسلمين معدن الشرف وطيب المحتد سلالة
مهبط الوحي المحمدي الشريف ابن الشريف صاحب الدولة السيد
الشريف حسين بن علي أمير مكة المعظم زاده الله رفعة وعلاء
آمين.

بعد ما يليق بمقام الأمير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديم
خالص التحية والسلام وشرح عوامل الألفة وحسن التفاهم
والمودة الممزوجة بالمحبة القلبية أرفع إلى دولة الأمير المعظم
أنا تلقينا رقيمكم المؤرخ 14 ربيع الآخر 1334 من يد رسولكم
الأمين، وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تتوونها وأنها
لموافقة في الأحوال الحاضرة.

وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها.
وقد يسرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على
جميع مطالبكم وأن كل شئ رغبتكم الإسراع فيه وفي إرساله فهو
مرسل مع رسولكم حامل هذا والأشياء الباقية ستحضر بكل
سرعة ممكنة وتبقى في بور سودان تحت أمركم لحين ابتداء
الحركة وإبلاغنا إياها بصورة رسمية (كما ذكرتم) وبالمواقع التي
يقتضى سوقها إليها والوسائط التي يكونون حاملين الوثائق
بتسليمها إياهم.

إن كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ
بور سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم - وقد عملت جميع
التسهيلات اللازمة لإرسال رسولكم حامل خطابكم الأخير إلى
جزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكملها بالنجاح
وحسن النتائج وسيعود إلى بور سودان وبعدها يصلكم بحراسة
الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله.

ونتتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن
واضحا لديكم أو ما عساه ينتج سوء تفاهم، ألا وهو أنه يوجد
بعض المراكز أو النقاط المعسكرة فيها بعض العساكر التركية
على سواحل بلاد العرب يقال أنهم يجاهرون بالعداء لنا والذين
هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الأحمر.
وعليه نرى أنه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم
ولكننا قد أصدرنا الأوامر القطعية انه يجب على جميع بوارجنا أن
تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدءون بالعداء وبين العرب
الأبرياء الذين يسكنون تلك الجهات، لأننا لا نقدم للعرب أجمع إلا
كل عاطفة ودية.

وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الأمر إذا بلغكم
خبرا مكذوبا عن الأسباب التي تضطرننا إلى أي عمل من هذا
القبيل. وقد بلغنا إشاعات مؤداها أن أعداءنا الألداء باذلون
جهدهم في أعمال السفن ليثبوا بها الألغام في البحر الأحمر

ولإلحاق الأضرار بمصالحنا في ذلك البحر، وأنا نرجوكم سرعة أخبارنا إذا تحقق ذلك لديكم.

وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد باع للأتراك عددا عظيما من الجمال، وقد أرسلت إلى دمشق الشام، ونأمل أن تستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك، وإذا صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها، ولا شك أن في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة.

وقد يسرني أن أبلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الألمان والأتراك قد ابتدؤا يعرفون خطأهم وهم يأتون إلينا وحدانا وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد إليهم. وقد والحمد لله هزمت القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا. وقد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم.

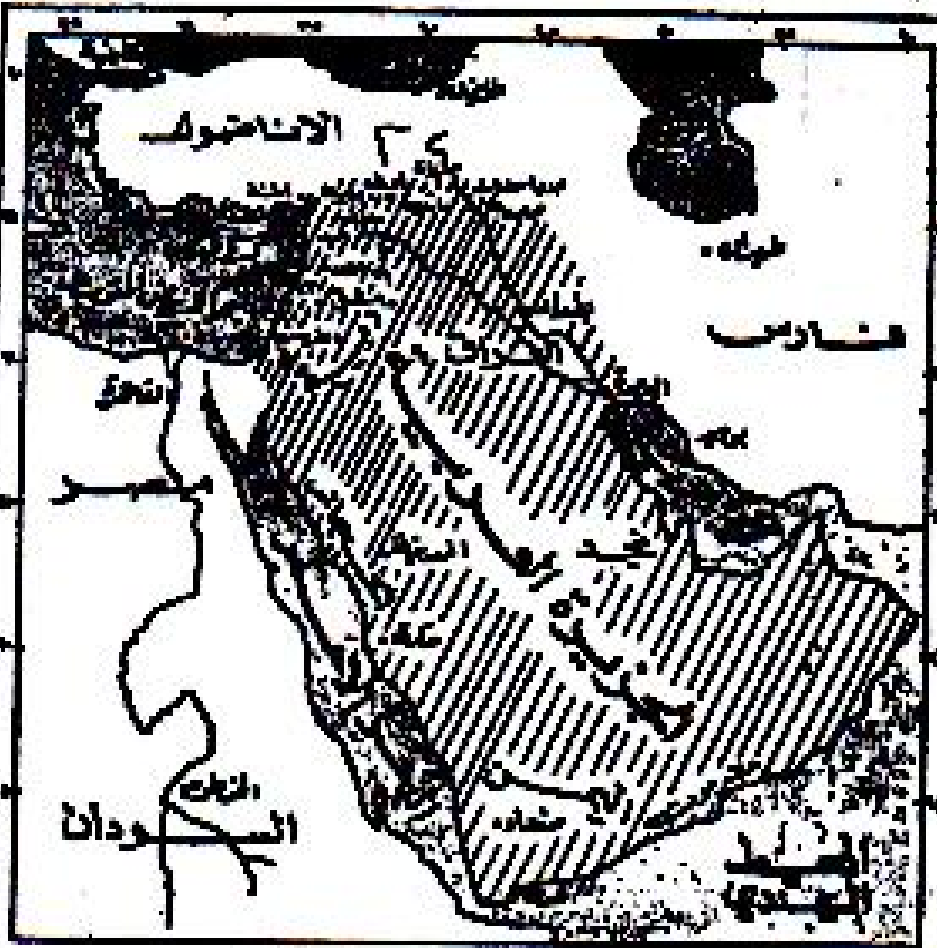
وأن لسقوط أرضروم من يد الأتراك وكثرة انهزاماتهم في بلاد القوقاز تأثير عظيم، وهو في مصلحتنا المتبادلة وخطوة عظيمة في سبيل الأمر الذي نعمل له وإياكم.

ونسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح وأن يمهّد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج.

وفي الختام ، أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة
عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والإخلاص مع المحبة
التي لا يزعزعها كر العصور ومرور الأيام.

كتبه المخلص
السير آرثر هنري
مكماهون
نائب جلالة الملك
بمصر

تحريرا في 6 جماد الأولى
1334
الموافق 10 مارس 1916



القسم الشرقي من العالم العربي

تمتاز المنطقة العربية المستقلة كما عهدنا
إشراف عديد في مركزها المؤرخة في "أتموز" ١٩١٥

1 نص المنشور الذي ألقته الطائرات البريطانية

وموجه من الشريف حسين إلى الجنود والضباط العرب في الجيش التركي في فلسطين سنة 1915

أصدر شريف مكة وملك الحجاز الحالي منشوراً إلى الضباط والجنود العرب في الجيش العثماني وطلب منا أن نبليغهم إياه. فأقرءوه بتمعن واغتنموا الفرصة لتهربوا وتأتوا إلينا وسنستقبلكم كأصدقاء مرحبين بكم وستلاقون منا معاملة حسنة وستجدون معنا مندوبين من قبل شريف مكة وملك الحجاز الحالي فيستقبلونكم وتساعدونهم أتم في تحرير العرب (الجيش الإنجليزي في فلسطين).

إلى جميع العرب وسواهم من الضباط والرجال الموجودين في الجيش العثماني: سمعنا بمزيد الأسف أنكم تحاربوننا نحن الذين نجاهد في سبيل المحافظة على أحكام الدين الإسلامي الشريف من التغيير والتحريف ولتحرير العرب قاطبة من حكم الأتراك .

ونحن نعتقد أن الحقيقة الخالصة لم تصل إليكم لذلك أرسلنا إليكم هذا الإشعار ممهوراً بمهرنا لنؤكد لكم أننا نحارب لأجل غايتين شريفتين وهما حفظ الدين وحرية العرب عامة. ولقد أرسلنا الأوامر المشددة إلى عموم رؤساء ورجال قبائلنا بأنه إذا أسرت جيوشنا أي واحد منكم يجب أن يعاملوكم بالحسنى ويرسلوكم إلى أولادي حيث يرحبون بكم ويحسنون وفادتكم. لقد

كانت المملكة العربية مستعبدة تحت سلطة الأتراك مدة طويلة
فقتلوا إخوانكم وصلبوا من رجالكم الكثير ونفوا نساءكم وغيالكم
بعد تحريف دينكم، فكيف تطيقون بعد ذلك وتحملون عناء
الاستمرار معهم وترضون بمعاوتتهم. هلموا للانضمام إلينا نحن
الذين نجاهد لأجل الدين وحرية العرب حتى تصبح المملكة
العربية كما كانت في عهد أسلافكم إن شاء الله تعالى، والله
الهادي إلى سواء السبيل.

شريف مكة المكرمة
وأمرها
وملك البلاد العربية
(ختم) الحسين بن علي

اتفاقية سايكس-بيكو

اتفاقية سايكس - بيكو هي الجزء الخاص بالتنفيذ لمعاهدة بطرسبرج التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية خلال مارس سنة 1916 وقسمت فيها أملاك الامبراطورية العثمانية التركية وكانت أهم مبادئ هذه المعاهدة هي :

- تمنح روسيا الولايات التركية الشمالية والشرقية .
- تمنح بريطانيا وفرنسا الولايات العربية في الامبراطورية التركية (موضوع مراسلات حسين - مكماهون).
- - تدويل الاماكن المقدسة في فلسطين وتأمين حرية الحج اليها وتسهيل سائر السبل اللازمة للوصول إليها وحماية الحجاج من كل اعتداء.

وفي ايار/مايس 1916م تم توقيع اتفاقية سايكس -بيكو بين بريطانيا وفرنسا لاقتسام العراق وبلاد الشام بينهما في ضوء معاهدة بطرسبرج وقد حددت الاتفاقية المناطق الموزعة بين

الدولتين وفق خارطة حددت عليها المناطق بالالوان والاحرف .
وقد عدلت هذه الاتفاقية لاحقا في مؤتمر سان ريمو عام 1920 م فاصبح العراق بولاياته الثلاث بغداد والموصل والبصرة تحت الانتداب البريطاني وكذلك منطقة شرق نهر الاردن وفلسطين. اما سوريا ولبنان فقد اصبحتا تحت الانتداب الفرنسي.



نص اتفاقية سايكس- بيكو

المادة الأولى :

ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا أى دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربى فى المنطقتين (أ) - (داخلية سوريا)، (ب) (داخلية العراق) المبيتتين بالخريطة الملحقة. ويكون لفرنسا فى منطقة (أ) (ولانجلترا فى منطقة (ب) حق الأولوية فى المشروعات والقروض المحلية، وتتفرد فرنسا فى منطقة (أ) وانجلترا فى منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية

المادة الثانية :

يباح لفرنسا فى المنطقة الزرقاء (شقة سوريا الساحلية) ولانجلترا فى المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية

المادة الثالثة :

تنشأ إدارة دولية فى المنطقة السمرء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا بالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلى شريف مكة .

المادة الرابعة:

تتال بريطانيا ما يأتى:-

- 1 ميناء حيفا وعكا.

- 2- ضمان مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما .

- المادة الخامسة :

تكون اسكندرونة ميناء حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء، ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية وتباح حرية النقل للبضائع الانجليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء سواء كانت واردة الى المنطقة الحمراء أو المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منها. ولا تنشأ معاملات مختلفة - مباشرة أو غير مباشرة - على أى سكة من سكك الحديد أو في أى ميناء من موانئ المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية .

وتكون حيفا ميناء حرا لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض اعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسية ويكون نقل البضائع الفرنسية حرا بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الانجليزية في المنطقة الحمراء، سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة

(ب) أو واردة إليها ولا يجرى أدنى اختلاف فى المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البواخر الفرنسية فى أى سكة من السكك الحديد ولا فى ميناء من الموانئ فى المناطق المذكورة .

المادة السادسة :

لا تمتد سكة حديد بغداد فى المنطقة (أ) إلى ما بعد الموصل جنوبا ولا فى المنطقة (ب) إلى ما بعد سامرا شمالا إلى أن يتم انشاء خط حديدى يصل بغداد بحلب مارا بوادى الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين .

المادة السابعة :

يحق لبريطانيا العظمى أن تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدى يصل حيفا بالمنطقة (ب)، ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود فى أى وقت كان على طول هذا الخط. ويجب أن يكون معلوما لدى الحكومتين أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد وأنه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال فى المنطقة السمرامى مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذرا فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة أن تسمح بمروره فى طريق بربوره - أم قيس - ملقى - ايدار - غسطا - مغاير، قبل أن يصل إلى المنطقة (ب).

المادة الثامنة:

تبقى تعريفه الجمارك التركية نافذة عشرين سنة فى جميع
جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ)، (ب) فلا
تضاف أى علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التثمين فى
الرسوم بقاعدة أخذ العين. الا أن يكون باتفاق بين
الحكومتين ولا تنشأ جمارك دخلية بين أية منطقة وأخرى من
المناطق المذكورة أعلاه وما يفرض من رسوم الجمر
على البضائع المرسله إلى الداخل يدفع فى الميناء ويعطى
لادارة المنطقة المرسله اليها البضائع .

المادة التاسعة :

من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لا تجرى مفاوضة فى
أى وقت كان للتنازل عن حقوقها، ولا تعطى مالها من
الحقوق فى المنطقة الزرقاء لدولة أخرى الا للدولة أو حلف
الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة
الملك التى تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا فيما يتعلق
بالمطقة الحمراء .

المادة العاشرة :

تتفق الحكومتان الانجليزية والفرنسية بصفتها حاميتين
للدولة العربية على أن لا تمتلكان ولا تسمحان لدولة ثالثة أن
تمتلك أقطارا فى شبه جزيرة العرب، أو تنشئ قاعدة بحرية

فى الجزائر على ساحل البحر الابيض الشرقى على أن هذا
لا يمنع تصحيحا فى حدود عدن، قد يصبح ضروريا لسبب
عداء الترك الأخير .

المادة الحادية عشرة :

تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق
السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية.

المادة الثانية عشرة :

من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان فى
الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية،

الانتداب على فلسطين

ما أن صدر قرار مؤتمر سان ريمو لدول الحلفاء "1920" الموافقة على تصريح بلفور وانتداب بريطانيا على فلسطين حتى سارعت الدبلوماسية البريطانية والصهيونية إلى العمل في عصبة الأمم المتحدة للحصول على صك الانتداب البريطاني، يكون بمثابة تصديق رسمي لذلك القرار، ويتضمن الخطوات الكفيلة بتنفيذ تصريح بلفور، أي: بناء الوطن اليهودي بإشراف الانتداب البريطاني.

وقد وضعت مسودات صك الانتداب، كتصريح بلفور، بالتشاور السري بين الحكومة البريطانية والمنظمة الصهيونية العالمية، وبمعزل تام عن عرب فلسطين، وكان الوفد البريطاني إلى مؤتمر الصلح في باريس قد طلب من المنظمة الصهيونية العالمية صوغ مقترحاتها بشأن الانتداب على فلسطين في مشروع متكامل، فوضعت وقدمته إلى الحكومة البريطانية في 15 تموز (يوليو) 1919، فأدخلت هذه فيه بعض تعديلات وقدمته إلى عصبة الأمم في 6 كانون الأول (ديسمبر) 1920. وفي آب (أغسطس) 1921، قدمته الحكومة البريطانية إلى البرلمان البريطاني، فأدخل فيه تعديلات أخرى، وجوبه بمعارضة داخلية قوية، ورفضه مجلس اللوردات في حزيران (يونيو) 1922، كما ورد ذكره. ولكن الحكومة إحالته على مجلس العموم، الذي وافق عليه. وفي 24

تموز (يوليو) 1922، صادق عليه مجلس عصبة الأمم، ووضع موضع التنفيذ في 29 أيلول (سبتمبر) 1923، وكان من أسباب التأخير في إقرار صك الانتداب أيضا، محاولة تسوية المسائل السياسية العالقة في نطاق المصالح الاستعمارية المتنافسة لدول الحلفاء: فسويت مشكلة الحدود السورية الجنوبية بين بريطانيا وفرنسا، وتقرر فصل شرقي الأردن في إمارة خاصة، كما سوي الموقف مع أميركا على أساس اعتراف بريطانيا بمصالحها الاقتصادية والثقافية في المنطقة، وضمن صك الانتداب في المعاهدة الإنكلو-أميركية بهذا الخصوص.

تألف صك الانتداب من مقدمه و28 مادة، وكان هو الدستور الاستعماري الصهيوني الذي حكمت بموجبه فلسطين طوال فترة الانتداب البريطاني، وقد تضمنت المقدمة نص تصريح بلفور، ومصادقة عصبة الأمم على انتداب بريطانيا على فلسطين مع تخويلها مسؤولية تنفيذ التصريح، وتأكيد "الصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين، والأسباب التي تدعو إلى إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد"، وقد اختصت المواد 2 و 4 و 6 و 7 و 11 و 22 بإنشاء الوطن القومي اليهودي، وشكلت مخططا متكاملا لتحقيق ذلك من النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية.

فقد نصت المادة 2 على إعطاء الدولة المنتدبة السلطة التامة في الاشتراك والإدارة، واعتبرتها مسؤولة عن وضع البلاد في

أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي... وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين".

ونصت المادة 4 على إنشاء وكالة يهودية معترف بها "لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الأمور التي تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي".

ونصت المادة 6 على أن "على إدارة فلسطين ، مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع الفئات الأخرى من السكان، أن تسهل هجرة اليهود..وأن تشجع حشدهم في الأراضي الأميرية والأراضي الموات".

ونصت المادة 7 على أن تشمل قانون الجنسية" على نصوص تسهيل اكتساب اليهود للجنسية الفلسطينية".
والمادة 11 على أنه يمكن للإدارة البريطانية أن تتفق مع الوكالة اليهودية على أن تقوم الوكالة " بإنشاء أو تسيير الأشغال والمصالح والمنافع العمومية وتطوير مرافق البلاد الطبيعية".
والمادة 22 على أن "تكون الإنكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين".

واختصار الـ 13 و14 و15 و16، بمسؤولية الدولة المنتدبة (بريطانيا) عن المحافظة على الأماكن المقدسة وضمان الوصول

إليها، وكيفية الفصل في الحقوق الدينية، وكفالة الحرية الدينية للجميع.

أما المواد 1 و3 و21 و17، فقد تناولت المصالح البريطانية إذ جردت الأكثرية العربية الساحقة من حقوقها السياسية، وأعطت بريطانيا السلطة التامة في التشريع والإدارة، وتشجيع الحكم المحلي بقدر ما تراه هي موافقاً، والإشراف على العلاقات الخارجية لفلسطين، وتنظيم القوات اللازمة للمحافظة على السلام والدفاع عن البلاد، واستخدام طرق فلسطين وسككها الحديدية ومرافئها لتحركات القوات المسلحة.

أما المادة 25 فقد أعطت الدولة المنتدبة الحق، بموافقة عصبة الأمم، في أن ترضى أو توقف تطبيق ما تراه غير قابل للتطبيق من هذه المواد على المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن ومن ثم وافق مجلس عصبة الأمم على استثناء منطقة شرقي الأردن من تطبيق مواد صك الانتداب المتعلقة بإنشاء الوطن القومي اليهودي، كما وافق على تخويل بريطانيا المسؤولية الكاملة عن الانتداب على شرقي الأردن، وقد تم هذا الإجراء على الرغم من أن شرقي الأردن كان جزءاً من ولاية دمشق (أو سورية) إلى نهاية العهد العثماني، وجزءاً من سورية الداخلية إلى آخر العهد الفيصلي.

كان صك الانتداب وثيقة سياسية بالغة الخطورة، والمستند الذي برزت به بريطانيا سياستها الصهيونية، على أساس انه تعهد دولي

- ملزم فوضت عصبة الأمم إليها أمر تنفيذه، وقد تضمن هذا الصك مخططا مدروسا لإقامة الوطن القومي اليهودي الذي نص عليه تصريح بلفور وخصصت مواده الرئيسية لضمان المصالح الصهيونية والبريطانية، كما احتوى تصريح بلفور وتناقضاته نفسها:
- 1- فقد كان صك الانتداب تجاهلا صريحا لواقع فلسطين التاريخي والقومي، وقد أتضح من اللوحة التاريخية لهذا الكتاب بطلان ما أشارت إليه مقدمه الصك من " تأكيد الصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين"، واتخاذها أساسا لاعتبار فلسطين وطننا قوميا لليهود.
 - 2- وكان صك الانتداب تجاهلا للأكثرية العربية الساحقة التي لم يأت على ذكر وضعها وحقوقها، إلا بشكل منقوص جدا وعرضي، هذا بينما كان عددها في فلسطين وقت صدور الصك يفوق 90% من مجموع السكان، واليهود دون 10% ولا تكاد ترتفع أملاكهم إلى 2% من الأراضي.
 - 3- كان الصك خرقا لاتفاقية حسين-مكماهون التي تعهدت بريطانيا بموجبها باستقلال البلاد العربية بعد الحرب، على الرغم من الادعاء البريطاني بأن فلسطين قد استثيت من تلك الاتفاقية، وطعنا لكل التعهدات المتعددة الأخرى التي قطعتها بريطانيا والحلفاء للعرب في أثناء الحرب العالمية الأولى.
 - 4- كذلك، كان الصك مخالفا لميثاق عصبة الأمم " بحسب ما جاء في المادة (22) الذي جعل لرغبة السكان الأصليين المقام الأول

في اختيار الدول المنتدبة، فالعرب، وهم السكان الأصليون والأغلبية الساحقة، لم يختاروا بريطانيا، بل إن المنظمة الصهيونية العالمية هي التي اختارتها.

5- أما من وجهة نظر الحركة الصهيونية، فقد كان صك الانتداب تنفيذا لمطلبها المرحلي الأساسي آنذاك، وهو المصادقة الدولية على تصريح بلفور، وإنشاء الوطن القومي اليهودي بإشراف بريطانيا وحمايتها ذلك بأن تصريح بلفور كان عطفاً أو وعداً بريطانيا، أما صك الانتداب فقد اعتبر وثيقة ملزمة وهكذا، كان صك الانتداب وليد التآمر الاستعماري الصهيوني في إطار منظمة عصبة الأمم، تماماً كما جاء قرار تقسيم فلسطين بعد ذلك بربع قرن (1947) وليد التآمر الاستعماري البريطاني والحركة الصهيونية يكملان العمل الذي بدأه الاحتلال البريطاني، ودخلت فلسطين مرحلة جديدة من الكفاح الدامي المستمر، مقاومة للتهويد ومحافظة على عروبة البلاد.

وثيقة الانتداب على فلسطين

(أعلن مشروعه من قبل عصبة الأمم بتاريخ 6 يوليو 1921 وصودق عليه

في 24 يوليو سنة 1922 ووضع موضع التنفيذ في 29 سبتمبر)

المقدمة:

مجلس عصبة الأمم

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على أن يعهد بإدارة فلسطين التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدول إلى دولة منتدبة تختارها الدول المشار إليها تنفيذاً لنصوص المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم.

ولما كانت دول الحلفاء قد وافقت على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني قد وافقت أيضاً على أن تكون الدول المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة 1917 وأقرته الدول المذكورة لصالح إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين أو بالحقوق أو الوضع السياسي مما يتمتع به اليهود في أية بلاد أخرى.

ولما كان قد اعترف بذلك بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالأَسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد.

ولما كانت دول الحلفاء قد اختارت صاحب الجلالة البريطانية ليكون منتدباً على فلسطين.

ولما كان الانتداب على فلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس عصبة الأمم لإقراره ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد قبل الانتداب على فلسطين وتعهده بتنفيذه بالنيابة عن عصبة الأمم طبقاً للنصوص والشروط التالية.

ولما كانت الفقرة الثامنة من المادة 22 المتقدمة الذكر تنص على أن درجة السلطة أو السيطرة أو الإدارة التي تمارسها الدولة المنتدبة سيحددها بصراحة مجلس عصبة الأمم إذا لم يكن هناك اتفاق سابق بشأنها بين أعضاء عصبة الأمم.

لذلك فإن مجلس عصبة الأمم بعد تأييده الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يلي:

المادة الأولى:

يكون للدولة المنتدبة السلطة الفعلية في التشريع والإدارة باستثناء ما يكون قد قيد في نصوص هذا الصك.

المادة الثانية:

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقا لما جاء بيانه في ديباجة هذا الصك وترقية مؤسسات الحكم الذاتي وتكون مسؤولة أيضا عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس والدين.

المادة الثالثة:

يترتب على الدولة المنتدبة أن تعمل على تشجيع الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف.

المادة الرابعة:

يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن

القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ولتساعد وتشارك في ترقية البلاد على أن يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الإدارة.

يعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولانقة لهذا الغرض ويترتب على الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة جمع اليهود الذين ييغون المساعدة في إنشاء الوطن اليهودي.
المادة الخامسة:

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن ضمان عدم التنازل عن أي جزء من أراضي فلسطين إلى حكومة دولة أجنبية وعدم تأجيرها إلى تلك الحكومة أو وضعه تحت تصرفها بأية صورة أخرى.
المادة السادسة:

على إدارة فلسطين مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي الأخرى أن تسهل هجرة اليهود في أحوال ملائمة وان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة، حشد اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العمومية.

المادة السابعة:

تتولى إدارة فلسطين مسؤولية سن قانون للجنسية ويجب أن يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم.
المادة الثامنة:

إن امتيازات وحصانات الأجانب بما فيها مزايا الحكم القنصلية والحماية التي يتمتع بها الرعايا الأجانب في السابق بحكم الامتيازات أو العرف في المملكة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين.

غير أنه متى انتهى أجل الانتداب تعاد هذه الامتيازات في الحال برمتها أو مع التعديل الذي يكون قد تم الاتفاق عليه بين الدول صاحبة الشأن إلا إذا سبق للدول التي كان رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة في أول آب سنة 1914 أن تنازلت عن حق استرجاع تلك الامتيازات أو وافقت على عدم تطبيقها لأجل مسمى.

المادة التاسعة:

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل النظام القضائي القائم في فلسطين ضامنا تمام الضمان لحقوق الأجانب والوطنين على السواء.

وبكون احترام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية لمختلف الشعوب والطوائف مضمونا تمام الضمان أيضا بصورة خاصة تكون إدارة الأوقاف خاضعة للشرائع الدينية وشروط الواقفين.

المادة العاشرة:

تكون المعاهدات المبرمة بين الدول المنتدبة وسائر الدول الأجنبية بشأن تسليم المجرمين مرعية الإجراء في فلسطين إلى أن تعقد اتفاقات خاصة بذلك فيما يتعلق بفلسطين.

المادة الحادية عشرة:

تتخذ إدارة فلسطين جميع ما يلزم من التدابير لصون مصالح الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها ويكون لها السلطة في وضع ما يلزم من الأحكام لاستهلاك أي مورد من موارد الطبيعة أو الأعمال والمنافع العمومية الموجودة في البلاد أو التي ستؤسس فيما بعد أو السيطرة عليها بشرط مراعاة الالتزامات التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها.

ويترتب عليها أن توجد نظاما للأراضي يلانم احتياجات البلاد مراعية في ذلك من بين الأمور الأخرى الرغبة في تشجيع حشد السكان في الأراضي وتكثيف الزراعة.

ويمكن لإدارة البلاد أن تتفق مع الوكالة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على أن تقوم هذه الوكالة بإنشاء أو تسيير الأشغال والمصالح والمنافع العمومية وترقية مرافق البلاد الطبيعية بشروط عادلة ومنصفة ما دامت الإدارة لا تتولى هذه الأمور مباشرة بنفسها. غير أن كل اتفاق كهذا يجب أن يشترط فيه إلا تتجاوز نسبة الأرباح التي توزعها الوكالة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مقدار الفائدة المعقولة التي يعود بها رأس المال المستثمر وان كل ما يزيد على الفائدة من الأرباح يجب أن يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه الإدارة.

المادة الثانية عشرة:

يعهد إلى الدولة المنتدبة بالإشراف على علاقات فلسطين الخارجية وحق إصدار البراءات إلى القناصل الذين تعينهم الدول

الأجنبية ويكون لها الحق أيضا في أن تشمل رعايا فلسطين وهم خارج حدود منطقتها بحماية سفرائها وقناصلها.
المادة الثالثة عشرة:

تضطلع الدولة المنتدبة بجميع المسؤوليات المتعلقة بالأماكن المقدسة والمباني أو المواقع الدينية في فلسطين بما في ذلك مسؤولية الحفاظ على الحقوق الموجودة وضمان الوصول إلى الأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات النظام العام والآداب العامة. وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة أمام عصبة الأمم دون سواها عن كل ما يتعلق بذلك بشرط ألا تتحول نصوص هذه المادة دون اتفاق الدولة المنتدبة مع إدارة البلاد على ما تراه الدولة المنتدبة ملائماً لتنفيذ نصوص هذه المادة وبشرط ألا يفسر شئ من هذا الصك تفسيراً يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض أو التدخل في نظام إدارة المقامات الإسلامية المقدسة الصرفة المصونة حصاتها.
المادة الرابعة عشرة:

تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتحقيق وتقرير الحقوق والادعاءات المتعلقة بالأماكن المقدسة والحقوق والادعاءات المتعلقة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين وتعرض طريقة اختيار هذه اللجنة وقوامها ووظائفها على مجلس عصبة الأمم لإقرارها ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها دون موافقة المجلس المذكور.

المادة الخامسة عشرة:

يترتب على الدولة المنتدبة أن تضمن جعل الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتين للجميع بشرط المحافظة على النظام العام والآداب العامة فقط ويجب ألا يكون ثمة تمييز مهما كان نوعه بين سكان فلسطين على أساس الجنس أو الدين أو اللغة وألا يحرم شخص من دخول فلسطين بسبب معتقده الديني فقط.

ويجب ألا تحرم أية طائفة كانت من حق صيانة مدارسها الخاصة لتعليم أبنائها بلغتها الخاصة وألا تنتقص من هذا الحق ما دام ذلك مطابقاً لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الإدارة.

المادة السادسة عشرة:

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن ممارسة ما يقتضيه أمر المحافظة على النظام العام والحكم المنظم من الإشراف على الهيئات الدينية والجزئية التابعة لجميع الطوائف المذهبية في فلسطين ومع مراعاة هذا الشرط لا يجوز أن تتخذ في فلسطين تدابير من شأنها إعاقة هذه الهيئات أو التعرض لها أو إظهار التحيز ضد أي ممثل من ممثليها أو عضو من أعضائها بسبب دينه أو جنسيته.

المادة السابعة عشرة:

يجوز لإدارة فلسطين أن تنظم على أساس التطوع القوات اللازمة للمحافظة على السلام والنظام والقوات اللازمة للدفاع عن البلاد أيضاً بشرط أن يكون خاضعاً لإشراف الدولة المنتدبة ولكن لا يجوز لإدارة فلسطين أن تستخدم هذه القوات في غير

الأغراض الأنفة الذكر إلا بموافقة الدولة المنتدبة وفيما عدا ذلك لا يجوز لإدارة فلسطين أن تؤلف أو أن تستبقى أية قوة من القوات العسكرية أو البحرية أو الجوية.

ليس في هذه المادة ما يمنع إدارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين. ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت أن تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية ومرافئها لحركات القوات المسلحة ونقل الوقود والمهمات.

المادة الثامنة عشرة:

يجب على الدولة المنتدبة أن تضمن عدم التمييز في فلسطين بين رعايا أية دولة من الدول الداخلة في عصبة الأمم (ومن جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدول) ورعايا الدول المنتدبة أو رعايا أية دولة أجنبية أخرى في الأمور المتعلقة بالضرائب أو التجارة أو الملاحة أو تعاطي البضائع أو المهن أو في معاملة السفن التجارية أو الطائرات المدنية وكذلك يجب ألا يكون هناك تمييز في فلسطين ضد البضائع أو المهن أو في معاملة السفن التجارية أو الطائرات المدنية وكذلك يجب ألا يكون هناك تمييز في فلسطين ضد البضائع التي يكون أصلها من بلاد من بلدان الدول المذكورة أو تكون مرسلة إليها وتطلق حرية مرور البضائع بطريق (الترانسيت) عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة.

ومع مراعاة ما تقدم وسائر أحكام صك الانتداب هذا يجوز لإدارة فلسطين أن تفرض بالتشاور مع الدولة المنتدبة ما تراه ضروريا من الضرائب والرسوم الجمركية وإن تتخذ ما تراه صالحا من

التدابير لتنشيط ترقية المرافق الطبيعية في البلاد وصيانة مصالح السكان فيها ويجوز لها أن تعقد بالتشاور مع الدول المنتدبة اتفاقاً جمركياً خاصاً مع أية دولة من الدول التي كانت جميع أملاكها في سنة 1914 داخلية في تركيا الآسيوية أو شبه جزيرة العرب المادة التاسعة عشرة:

تضم الدول المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين إلى كل ميثاق من المواثيق الدولية العامة التي سبق عقدها أو التي تعقد فيما بعد بموافقة عصبة الأمم بشأن الاتجار بالرقيق والاتجار بالسلاح والذخيرة أو بالمخدرات أو فيما يتعلق بالمساواة التجارية وحرية مرور البضائع بطريق التوسط (الترانسيت) والملاحة والطيران والمواصلات البريدية والبرقية وللأسلحة أو بالامتلاكات الأدبية والفنية والصناعية.

المادة العشرون:

تتعاون الدول المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقرها عصبة الأمم لمنع انتشار الأمراض ومكافحتها بما في ذلك أمراض النباتات والحيوانات بقدر ما تسمح به الأحوال الدينية والاجتماعية وغيرها من الأحوال.

المادة الحادية والعشرون:

يترتب على الدولة أن تؤمن وضع وتنفيذ قانون خاص بالآثار القديمة على أساس القواعد المذكورة فيما يلي خلال الإثني عشر شهراً الأولى من هذا التاريخ ويكون هذا القانون ضامناً

- لرعايا جميع الدول الداخلة في عصبة الأمم المساواة في
المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية:
- 1- تعني عبارة (الآثار القديمة) كل ما أنشأته أو أنتجته أيدي
البشر سنة 1700 ميلادية.
 - 2- يسن التشريع المتعلق بحماية الآثار القديمة على أساس
التشجيع لا التهديد وكل من اكتشف أثراً دون أن يكون مزوداً
بالتصريح المذكور في الفقرة الخامسة وابلغ الأمر إلى احد
موظفي الدائرة المختصة يكافأ بمكافأة تتناسب مع قيمة ما
اكتشفه.
 - 3- لا يجوز بيع شئ من الآثار القديمة إلا للدائرة المختصة ما لم
تتنازل تلك الدائرة عن شرائه ولا يجوز إخراج أي شئ من الآثار
القديمة من البلاد إلا بموجب رخصة تصدير صادرة من تلك
الدائرة.
 - 4- كل من أتلف أو ألحق ضرراً بقطعة من الآثار القديمة عن
سوء نية أو إهمال يعاقب بالعقوبة المعينة.
 - 5- يحظر إجراء الحفر أو التنقيب للبحث عن الآثار القديمة إلا
بتصريح من الدائرة المختصة ويغرم المخالف بغرامة مالية.
 - 6- توضع شروط عادلة لنزع ملكية الأراضي ذات القيمة
التاريخية أو الأثرية سواء أكان نزع الملكية مؤقتاً أو دائماً.
 - 7- يقتصر في إعطاء التصريح لإجراء الحفريات على الأشخاص
الذين يقدمون أدلة كافية على خبرتهم في الآثار ويترتب على
إدارة فلسطين ألا تسير عند إعطاء هذه التصاريح على طريقة

تؤدي إلى استثناء علماء أمة من الأمم من التراخيص بدون
سبب مبرر

8- يقسم ناتج الحفريات بين المكتشف والدائرة المختصة على
أساس النسبة التي تعينها تلك الدائرة فإذا تعذرت القسمة لأسباب
علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدلاً من إعطائه قسما من
الآثار المكتشفة.

المادة الثانية والعشرون:

تكون الإنجليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين وكل
عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طوابع أو عملة تستعمل في
فلسطين يجب ألا تكرر بالعبرية وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب
ألا تكرر بالعربية.

المادة الثالثة والعشرون:

تعترف إدارة فلسطين بالأيام المقدسة "الأعياد" عند كل طائفة
من الطوائف في فلسطين أيام عطلة قانونية لأفراد تلك الطائفة.
المادة الرابعة والعشرون:

تقدم الدولة المنتدبة إلى عصبة الأمم تقريراً سنوياً بصورة تقنع
المجلس بتناول التدابير التي اتخذت أثناء تلك السنة لتنفيذ نصوص
الانتداب وترسل نسخة من جميع الأنظمة والقوانين التي تسن أو
تصدر أثناء تلك السنة مع التقرير.

المادة الخامسة والعشرون:

يحق للدولة المنتدبة بموافقة مجلس عصبة الأمم أن ترجى أو توقف تطبيق ما تراه من هذه النصوص غير قابل للتطبيق على المنطقة الواقعة ما بين نهر الأردن والحد الشرقي لفلسطين كما سيعين فيما بعد بالنسبة للأحوال المحلية السائدة في تلك المنطقة وإن تتخذ ما تراه ملائماً من التدابير لإدارة تلك المنطقة وفقاً لأحوالها المحلية بشرط ألا يؤتى بعمل لا يتفق مع أحكام المواد 15، 16، 18.

المادة السادسة والعشرون:

توافق الدولة المنتدبة على أنه إذا وقع خلاف بينها وبين عضو آخر من أعضاء عصبة الأمم حول تفسير نصوص صك الانتداب أو تطبيقها وتعذر حله بالمفاوضات يعرض على محكمة العدل الدولية الدائمة المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من ميثاق عصبة الأمم.

المادة السابعة والعشرون:

أن كل تعديل يجري في شروط هذا الانتداب يجب أن يكون مقترناً بموافقة مجلس عصبة الأمم.

المادة الثامنة والعشرون:

في حالة انتهاء الانتداب الممنوح للدولة المنتدبة بموجب هذا الصك يتخذ مجلس عصبة الأمم ما يراه ضرورياً من التدابير لصون استمرار الحقوق المؤمنة بموجب المادتين 13، 14 على الدوام بضمان العصبة ويستعمل نفوذه لأن يكفل بضمان الجمعية احترام حكومة فلسطين للالتزامات المالية التي تحملتها إدارة

الملاحق

فلسطين بصورة مشروعة في عهد الانتداب احتراماً تاماً وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في رواتب التقاعد والمكافآت.

المصدر: وثائق فلسطين، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية،
1987

وثيقة الانتداب على سوريا ولبنان

وضعتها الحكومة الفرنسية وأقرها مجلس عصبة الأمم في اجتماعها بلندن يوم 24 تموز/يوليو 1924

إن مجلس عصبة الأمم، ولما كانت دول الحلفاء العظمى متفقة على أن أرض سورية ولبنان التي كانت فيما مضى جزءاً من السلطنة العثمانية يعهد بها ضمن حدود تعيينها الدول المشار إليها إلى دولة متدبة موكل إليها نصح الأهالي ومعاونتهم وإرشادهم في إدارتهم، وفقاً لنص الفقرة الرابعة من المادة 22 من عهدة جمعية الأمم،

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد قررت أن الانتداب على البلدان المذكورة يعطى الحكومة الفرنسية التي قبلته،

ولما كان صك الانتداب المبين في المواد المذكورة فيما بعد قد وافقت عليه حكومة الجمهورية الفرنسية تتعهد بإجراء هذا الانتداب باسم جمعية الأمم طبقاً للمواد المذكورة،

ولما كانت نصوص المادة الثانية والعشرين الآنفه الذكر، الفقرة الثانية، تقتضي بأنه لما كانت درجة السلطة والمراقبة والإدارة التي تجربها الدولة المنتدبة لم يتفق عليها سابقاً بين أعضاء جمعية الأمم، فالمجلس الذي ينظم ذلك يضع نصوص الانتداب كما يلي موافقاً عليها:

1- تضع الحكومة المنتدبة في بحر ثلاث سنوات اعتباراً من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب دستوراً نظامياً لسورية ولبنان. يصاغ هذا الدستور بالاتفاق مع السلطات الوطنية، وتراعى فيه حقوق عموم السكان القاطنة في هذه البلاد ومصالحهم، وتشعر الحكومة المنتدبة في إيجاد الوسائل التي من شأنها أن تسهل تقدم سوريا ولبنان ورفيها كحكومتين مستقلتين، وتسيرهما بموجب روح هذا الصك إلى أن يتم الشروع في تنفيذ ذلك الدستور. ويجب على الدولة المنتدبة أن تنشط الاستقلال المحلي قدر ما تسمح به الأحوال.

1- يمكن للحكومة المنتدبة أن تبقى جنودها في البلاد للدفاع عنها. وقد خولت حق تنظيم جند من البوليس المحلي، للمحافظة على الأمن والدفاع عن البلاد كما تقتضي الأحوال، وذلك حتى تنفيذ الدستور وإعادة الأمن إلى نصابه، وتنظيم جنود البوليس المحلي من سكان البلاد فقط.

3- ترتبط هذه الجنود فيما بعد بالإدارات المحلية تحت إشراف

الدولة المنتدبة، ولا يجوز استخدامها لأغراض أخرى سوى الأغراض المعينة فيما تقدم إلا بموافقة الدولة المنتدبة. لا مانع يمنع سورية ولبنان من الاشتراك في نفقات القوات التي تضعها الدولة المنتدبة في البلاد. يحق للدولة المنتدبة في كل حين أن تستعمل الموانئ والخطوط الحديدية ووسائل النقل الموجودة في سورية ولبنان لسوق جنودها ونقل جميع المواد والمهمات والوقود اللازمة لها.

4- يعهد إلى الدولة المنتدبة بالسيطرة على جميع علاقات سورية ولبنان الخارجية، ولها حق إصدار البراءات إلى القناصل الذين يعينون من قبل الدولة الأجنبية. وتشمل الدولة المنتدبة بحمايتها السياسية والقنصلية الرعايا السوريين واللبنانيين الذين يعيشون خارج البلاد.

5- الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن أي جزء من أجزاء سورية ولبنان، وعن عدم تأجيرها أو وضعه تحت تسلط دولة أجنبية.

6- إن إعفاء الأجانب من الأمور الواجبة، وتمتعهم بالامتيازات الأجنبية وبقضاء القنصلات وحمايته التي كانوا يتمتعون بها إبان الدولة العثمانية، لا تطبق في سوريا ولبنان. غير أن محاكم القنصلات تداوم على القيام بوظيفتها إلى أن يتم تنفيذ النظام الجديد المنصوص عنه في المادة السادسة. إن الدولة التي كان أتباعها يتمتعون بالامتيازات الأجنبية المبينة أعلاه لأول أغسطس عام 1914،

والتي لم تتنازل عن هذه الامتيازات أو توافق على عدم تطبيقها لأجل محدود .

7-تضع الحكومة المنتدبة في سورية ولبنان نظاماً قضائياً يصون حقوق المواطنين والأجانب على السواء، يحافظ على أحوال الناس الشخصية وعلى مصالحهم الدينية، وخصوصاً إدارة الأوقاف التي تدار وفقاً للشريعة وإرادة الوقف.

8- تكون معاهدات تسليم الرعايا الأجانب المبرمة بين الدولة المنتدبة وبين سائر الدول الأجنبية، مرعية في سورية ولبنان إلى أن يتم عقد اتفاقات خاصة بهذا الشأن.

9-تضمن الدولة المنتدبة للجميع حرية التعبير وحرية القيام بجميع شعائر العبادة التي لا تخل بالأمن ولا بالآداب العامة، ولا يكون تمييز من أي نوع بين سكان سورية بسبب الجنس أو الدين أو اللغة.

10-تتجنب الحكومة المنتدبة التدخل في أعمال المجالس البلدية، وفي إدارة الطوائف الدينية، وفي إدارة المعابد المقدسة التي تخص أحد الطوائف، وقد تكفلت بالحفاظ على هذه المعابد.

11-تحدد سلطة الدولة المنتدبة في مراقبة البعثات الدينية في سورية ولبنان لأجل محافظتهم على الأمن وعلى الحكم بطريقة مرضية، ولا تحصر الدولة المنتدبة مساعي هذه البعثات بصورة من

الصور، ولا تقيد أعضائها بقيود بسبب قوميتهم، ما لم تخرج أعمالهم عن أصول الدين. يمكن لهذه البعثات الدينية أن تشتغل بأمور الإسعاف والتعليم تحت مراقبة الدولة المنتدبة أو الحكومة المحلية.

12- يجب على الحكومة المنتدبة ألا تميز بالمعاملة بين في سورية ولبنان بين أتباعها وبين أتباع غيرها من الدول الداخلة في عضوية جمعية الأمم، وتشمل هذه المعاملة الجمعيات والشركات الأجنبية على اختلافها؛ وألا تميز بين أتباع أي دولة أجنبية وبين أتباعها في الأمور التي لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطي الحرف والمهن أو في معاملة السفن البحرية أو الوسائط الهوائية. وكذلك الأمر يجب ألا يكون تمييز في سورية ولبنان بين البضائع التي يكون مصدرها أو محط رحالها بلاد تلك الدول المذكورة، ويجب إطلاق حرية المرور التجارية عبر المنطقة المشار إليها بشروط عادلة. يمكن للحكومة المنتدبة، بعد مراعاة ما ذكر أعلاه، أن تفرض الضرائب والرسوم الجمركية التي تراها ضرورية، أو أن توعد للحكومات المحلية أن تفرضها. ويمكن للدولة المنتدبة أو الدولة المحلية التابعة لمشورتها أن تعقد لأسباب جوارية اتفاقاً جمركياً خاصاً مع البلاد المتاخمة لها. ويمكن للحكومة المنتدبة، عملاً بشروط البند الأول من هذه المادة، أن تتخذ الوسائل الفعالة التي تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية لمن شاء، دون تمييز في تابعة الأشخاص الداخلة دولهم في عداد أعضاء جمعية الأمم، بشرط ألا تمس هذه الامتيازات بسلطة الحكومة المحلية. ولا تمنح هذه الامتيازات بصفة

احتكار عام. لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة في إيجاد الاحتكارات المالية التي من شأنها أن ترقى مصالح سورية ولبنان وتحفظ مظاهرها المالية والمحلية. ويمكن للحكومة أن تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة أو بواسطة شركة خاصة تعمل تحت إشرافها، بشرط ألا يوجد هذا العمل، لا عمداً ولا بالواسطة، احتكاراً خاصاً بالدولة المنتدبة أو رعاياها، أو يمنحها ميزة في الأمور الاقتصادية والتجارية والصناعية التي تفتقر فيها المساواة بين الجميع.

13-تحافظ الدولة المنتدبة، بالنيابة عن سورية ولبنان، عن كل اتفاق دولي عام عقد حتى الآن أو ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الأمم، بخصوص الإتجار بالرقيق والعقاقير والسلاح والمعدات الحربية وبالمساواة التجارية وحرية العبور والملاحة والطيران والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية، وبتخاذ الوسائل اللازمة لحماية الصنائع والآداب والفنون.

14-تصون الدولة المنتدبة، بقدر ما تسمح لها الأحوال الاجتماعية والدينية، اتحاد سورية ولبنان في الأمور التي تقرها جمعية الأمم لمنع الأمراض ومقاومتها، ومن جملتها أمراض الحيوانات والنباتات.

15-تتضمن هذه المادة بحثاً طويلاً في قانون الآثار لا فائدة من نشره، وهو شبيه بالمادة الخاصة بالآثار في صك الانتداب لفلسطين،

فليرجع إليها.

16- عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه في المادة الأولى، يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومات المحلية، تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التي أنفقتها الحكومة المنتدبة لأجل تنظيم الإدارة وترقية الموارد المحلية والقيام بالمشروعات العامة التي أفادت البلاد إفادة خاصة، وترسل نسخة عن هذه الترتيبات إلى مجلس جمعية الأمم.

18- تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الأمم تقريراً سنوياً حسب طلبه، تبين فيه التدابير التي اتخذتها أثناء السنة لتوفير شروط صك الانتداب، ويرسل مع هذا التقرير أربع نسخ عن جميع الأنظمة والقوانين التي تسن سنوياً.

19 تكون اللغة الفرنسية واللغة العربية اللغتين الرسميتين المستعملتين في سورية ولبنان.

20- يجب أن يوافق مجلس جمعية الأمم على كل تعديل يحصل في شروط هذا الصك.

20- يستعمل مجلس جمعية الأمم نفوذه عندما تنتهي مدة الانتداب، لتحافظ حكومة سورية ولبنان في المستقبل على علاقتهما المالية، ومنها الرواتب القانونية التي منحتها إدارة سورية ولبنان أيام

الملاحق

الانتداب.

21-توافق الدولة المنتدبة، إذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلية في عضوية جمعية الأمم بخصوص تفسير الشرط في صك الانتداب أو تطبيقه، على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولية المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهدة جمعية الأمم؛ هذا إذا لم يمكن حل هذا النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات.

* المصدر: وليد المعلم، سوريا 1918-1958: التحدي والمواجهة، دار بابل

للنشر، دمشق

5	المقدمة
11	الفصل الأول وحدة حركة تاريخ الوطن العربي الحديث
14	شمولية الغزو الأوربي الوطن
18	شمولية المقاومة العربية وتناسقها
30	الوحدة الفكرية العربية بين المغرب والمشرق
	الفصل الثاني: مبادئ ومنطلقات لبناء مدرسة عربية في فهم
47	تاريخنا
	الفصل الثالث: الدولة العثمانية وسيطرتها على الوطن العربي
69	
69	العثمانيون: أصلهم وتكوين دولتهم
69	التوسع العثماني في أوروبا
70	إحتلال الوطن العربي
70	الاسباب
72	إحتلال مصر والشام والحجاز
72	إحتلال العراق والخليج العربي واليمن
	الصراع العثماني البرتغالي في البحر الأحمر والبحر العربي
73	
75	السيطرة على اقطار المغرب العربي
	الفصل الرابع: الأوضاع الإدارية والحركات الإستقلالية العربية
79	
80	الولايات العربية
80	أ- العراق

80	- الأطماع الصفوية في العراق.....
82	- حكم المماليك.....
83	الوالي داود باشا.....
85	العراق بعد داود باشا.....
86	الوالي مدحت باشا.....
87	العراق قبل الحرب العالمية الأولى
88	2- بلاد الشام.....
89	حكم آل العظم في ولاية دمشق:.....
90	ولاية طرابلس (لبنان).....
90	فخر الدين الثاني وتوجهاته العروبية.....
92	الشهابيون وتصاعد الوعي العربي ضد الأتراك.....
	الفتن الطائفية لطمس الهوية العربية بعد الشهابيين
94	
	ظاهر العمر وحركته العربية الاستقلالية في ولاية صيدا)
96	(فلسطين)
99	نهاية ظاهر العمر ومصير بلاد الشام.....
101	3- مصر والسودان.....
101	أ- مصر في العهد العثماني الول.....
102	علي بك الكبير واستقلال مصر
106	ب- الاحتلال الفرنسي لمصر.....
108	ج- مصر في العهد العثماني الثاني.....
109	محمد علي باشا ومشروعه العربي النهضوي.....
113	نهاية محمد علي باشا ومشروعه النهضوي.....

115	د- السودان والثورة المهدية.....
117	الثورة المهدية.....
117	اسباب الثورة.....
118	الدعوة المهدية وعملياتها العسكرية.....
120	نهاية الثورة واحتلال بريطانيا للسودان.....
121	4- المغرب العربي.....
123	أ- الجزائر.....
124	1. عهد البالارياي.....
125	2. عهد الولاة.....
125	3. حكم الأغوات.....
125	4. عهد الدايات.....
126	ب- ولاية تونس
127	ج- ولاية طرابلس الغرب (ليبيا).....
128	العهد العثماني الأول.....
129	الوالي احمد القرمانلي وأسرته.....
134	العهد العثماني الثاني ومقاومته.....
135	د- المغرب الأقصى (مراكش).....
137	5. شبه الجزيرة العربية.....
137	أ. اليمن.....
138	اليمن قبل الاحتلال العثماني.....
143	الاحتلال العثماني الأول لليمن.....
145	محمد علي باشا واحتلال البريطانيين لعدن.....
147	الاحتلال العثماني الثاني.....

150	ب- نجد والحجاز.....
151	الدعوة الوهابية وآل سعود.....
153	الإمارة السعودية الأولى.....
155	حملة محمد علي وإسقاط إمارة السعوديين.....
156	الإمارة السعودية الثانية.....
	التطورات السياسية في نجد والحجاز حتى قيام الحرب العالمية
157	الأولى.....
159	ج- الخليج العربي.....
159	عمان والغزو الأوروبي
163	ساحة المقاومة.....
166	المقاومة العربية في إقليم الإحساء:.....
167	فطر.....
170	البحرين.....
172	الكويت.....
181	الفصل الخامس: الإستعمار الأوروبي والمقاومة العربية ...
	1- ضعف الدولة العثمانية والاحتلال الأوروبي للمغرب العرب
181	ومصر.....
182	2- الاحتلال الفرنسي والمقاومة العربية في الجزائر.....
188	3- الاحتلال الفرنسي والمقاومة العربية في تونس.....
189	4- الاحتلال البريطاني والمقاومة العربية في مصر.....
190	قناة السويس والديون المصرية.....
191	الاحتلال وثورة احمد عرابي.....
193	5- إحتلال ليبيا والمقاومة العربية.....

194	اسباب الاحتلال
195	الاحتلال والمقاومة
199	6- احتلال المغرب الأقصى والمقاومة المغربية.....
200	الاحتلال
200	العوامل الداخلية والخارجية للاحتلال
203	- المقاومة.....
203	المقاومة في فاس والصحراء والأطلس الوسط
205	المقاومة في جبال الريف بقيادة عبدالكريم الخطابي...
211	الفصل السادس: النهضة العربية
212	1- الحركة الفكرية وإحياء التراث العربي.....
221	2- الجمعيات والأحزاب السياسية العربية.....
223	3- المؤتمر العربي الأول عام 1913م.....
226	4- دور الحركة الشعرية العربية في التهيئة للثورة.....
229	5- ميثاق دمشق ومراسلات حسين مكماهون.....
232	6- غتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور.....
234	7- الثورة العربية عام 1916.....
237	قيام الحكومة العربية في دمشق
239	إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا
241	الاحتلال الفرنسي لسوريا والمقاومة
243	8- لبنان.....
248	9- فلسطين.....
248	مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث واحتلالها
249	المقاومة

251	 أسباب إنتفاضات العشرينات
251	 أسباب ثورة البراق عام 1929
252	 نتائج ثورة البراق
252	 ثورة 1936
254	 10- العراق
259	 11- الأردن
269	 الخاتمة
273	 المصادر والمراجع
58 - 3	 الملاحق

:F

في تاريخ الوطن العربي الحديث وقائع أثبتت ان حركة تاريخ هذا الوطن هي واحدة مترابطة و متشابكة في أحداثها حتى بعد ان فرضت عليه الحدود السياسية الداخلية التي كانت في أساسها وبمعظمها حدودا إدارية أوجدتها ضرورات التنظيم الإداري للدولة العثمانية . وبنظرة جغرافية سياسية نجد ان الوطن العربي يقع في منطقة استراتيجية مهمة في العالم ، ولذلك استهدفه الأوروبيون حتى قبل اكتشاف النفط فيه ، فحالما فرضت الثورة الصناعية ومتطلباتها نفسها على أوروبا اندفع الأوروبيون لاحتلال الوطن العربي قبل غيره من مناطق العالم مبتدئين بالجزائر عام 1830 و انتهوا بالعراق وبلاد الشام عام 1918 . وفيما بين هذين التاريخين احتلوا كل أجزاء الوطن العربي الأخرى واسقطوا الدولة العثمانية التي كانت تسيطر عليه قبلهم.

ومثلما كان الاحتلال الأوربي شموليا ، فقد كانت المقاومة العربية له شمولية أيضا في حركتها السياسية والعسكرية والاجتماعية على الأرض العربية، ابتداءً بمقاومة الجزائر ومرورا بمقاومة المغرب العربي ومصر والسودان والعراق وبلاد الشام والجزيرة العربية . كذلك فان النهضة العربية الحديثة كانت هي الأخرى شاملة ولم تقتصر على المشرق العربي كما يرى البعض ، بل شملت في فكرها ومفاهيمها العروية الاسلامية جميع أنحاء

الوطن العربي وفرضت نفسها على الساحة العربية وتراپطت فكرا ووقائع مع بعضها من المشرق إلى المغرب في كل مراحل التاريخ الحديث .

ان هذا الكتاب يعتمد المنهج القومي العروبي الإسلامي بالاستناد إلى الوقائع التاريخية في تدوين تاريخ الوطن العربي الحديث بعيدا عن المغالاة والتشويه .ولذلك ابتدأنا بفصلين عن هذا المنهج لتوضيح فلسفته ومبادئه واثبات ارتباطه بالوقائع والأحداث التي عاشها الوطن العربي في تاريخه الحديث .كما تعاملنا مع الوقائع التاريخية بنظرة أفقية شاملة لحركة التاريخ العربي على الأرض العربية، مع مراعاة الخصوصية الوطنية لكل قطر عربي دون التفريط بالحقيقة القائلة انه جزء من كل وان هذا الكل هو الأمة العربية.

من جانب آخر نجد من الضرورة ان ننبه الباحثين والمؤرخين إلى أهمية إعادة النظر في الحقبة الزمنية المحددة لنهاية التاريخ الحديث وبداية التاريخ المعاصر ، فقد تعارف الجميع على ان نهاية الحرب العالمية الأولى هي الحد الفاصل بين هذين التاريخين بسبب المتغيرات الكبيرة التي أفرزتها هذه الحرب في مطلع القرن العشرين . ولكننا الآن في مطلع القرن الواحد والعشرين ولم تعد الفترة المحصورة بين الحربين العالميتين (1918-1939) معاصرة

في أحداثها لجيلنا الحالي ، بل ان من عاشها وشهدها لم يبق على قيد الحياة إلا نادرا ، ولذلك يبدو انه من الصعوبة إدراجها ضمن التاريخ المعاصر وإنما التاريخ الحديث . والمتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها العالم بعد الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هذا التي أصبح فيها العالم قرية صغيرة هي التي يمكن اعتبارها تاريخا معاصرا.

لقد قسمنا كتابنا هذا إلى ستة فصول و خاتمة ،تناولنا في الفصلين الاول والثاني فلسفة المنهج الذي اعتمدناه في تدوين التاريخ الحديث للوطن العربي .ثم ابتدأنا الوقائع والأحداث في الفصل الثالث الذي تناولنا فيه نشأة الدولة العثمانية وسيطرتها على الوطن العربي .ثم ناقشنا في الفصل الرابع الأوضاع الإدارية للوطن العربي بولاياته والحركات الاستقلالية العربية والأطماع الفارسية في ظل الدولة العثمانية، والمقاومة العربية للهجمات الأوربية الأولى بعد حركة الاستكشافات الجغرافية في المغرب العربي واليمن والخليج العربي والتطورات الداخلية في نجد والحجاز ومناطق الخليج العربي. أما الفصل الخامس فقد تناولنا فيه احتلال الأوربيين للوطن العربي للفترة (1830-1918 م) والمقاومة العربية ضد الاحتلال. وفي الفصل السادس والآخر تناولنا النهضة العربية في الوطن العربي فكريا وسياسيا والثورة العربية عام 1916 ومواثيق البريطانيين للعرب وغدرهم وتخليهم عنها وإعلان نظام الانتداب في

سوريا ولبنان وفلسطين والعراق وتطبيق اتفاقية سايكس بيكو
ووعد بلغور والانتفاضات والثورات العربية ضد الانتداب البريطاني
والفرنسي في العراق وسوريا ولبنان وضد التحالف البريطاني
الصهيوني في فلسطين. وأرفقنا بالكتاب بعد الخاتمة ،وثائق رسمية
عن تلك المواثيق والاتفاقات . ومن الله التوفيق.

المؤلف

أ.د. محمد مظفر الادهمي

أ.ج

وحدة حركة

تأريخ الوطن العربي الحديث

في تأريخ الوطن العربي معالم واضحة وشواهد بارزة على ارتباط وتفاعل الأحداث مع بعضها رغم المساحة الجغرافية الواسعة التي يشغلها هذا الوطن. ولقد تجلت بدايات تلك الوحدة من خلال دور العرب المتميز في نشر الرسالة الإسلامية وإقامة الدولة العربية الإسلامية الموحدة. ولقد ارتبط الوطن العربي من مغربه إلى مشرقه بالتطورات السياسية والحضارية لتلك الرسالة . وانعكست عليه بشكل واضح في الأدوار التاريخية التي مرت عليه فيما بعد، فأصبح الحاضر متواصلاً مع الماضي الذي تنامي إشراقه بأعظم حدث في تأريخ الأمة العربية، وهو ظهور الإسلام. وذلك لعمق وشمول التغيير الذي أحدثه في الحياة العربية وللمستوى العالي من النضج الذي ارتقت إليه الأمة العربية . فقاد الرسول العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم العرب في أروع عملية تجدد حضاري أساسه الوحدة القومية للأمة التي بشرت الأمم الأخرى برسالة الإسلام الإنسانية. من جانب آخر ارتبط الحاضر في جانبه السلبي بالتراجعات والانتكاسات التي ظهرت في الماضي نتيجة الخلل الذي أصاب مسيرة الأمة ودولتها العربية الإسلامية مما سبب انحطاطاً

حضارياً كان له تأثيره على تشتهها مخلفا تناقضات سياسية واجتماعية عززها الغزو الأجنبي في التأريخ الحديث ،، وقد كان لواقع التجزئة هذا الذي فرضه الأجنبي أثره الكبير في إبعاد معظم المؤرخين والمفكرين عن النظرة الأفقية الشاملة والتصور الواضح لحركة تأريخ الوطن العربي في أدوار الانحطاط وفي محاولة الانبعاث من جديد . فركز الكثير من مؤرخينا وكذلك بعض المستشرقين على دراسة التأريخ العربي ضمن الحدود السياسية للدولة القطرية مفسرين الأحداث التاريخية لهذا القطر أو ذاك ضمن إطار تلك الحدود دون التواصل مع التاريخ العربي الموحد الشامل الذي تشكل أحداث القطر الواحد جزءا منه على امتداد الوطن العربي .

إن هذا النقد لا يعني أننا يجب أن لا نكتب عن تأريخ المغرب الأقصى لوحده أو فلسطين ضمن مكوناتها الحضارية أو تأريخ العراق وتطوره . لأننا لا يمكننا أن نتجاوز خصوصية كل قطر عربي ، فهي واقع يفرض نفسه ، لكننا في الوقت نفسه يجب أن لا ننسى أن هناك عوامل مشتركة تربط حركة تأريخ القطر العربي ببقية الوطن العربي، وبعبارة أوضح فإن من واجب المؤرخ العربي أن يتذكر دائماً أن البقعة التي يعيش عليها هي جزء من كل جغرافياً وتاريخياً ، وهذا الكل هو الأمة العربية التي عاشت وتعيش تواصللاً مستمراً بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها لذلك عليه أن يفهم تأريخ القطر الذي يعيش فيه من خلال فهمه لتأريخ الأمة العربية وحركته .

يتضح من هذا أن هناك وجهان للكتابة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر الأول هو دراسة حركة تاريخ الجزء باعتباره واحدا من كل ، وفي تقديري ان الطاهر عبد الله ، على سبيل المثال لا الحصر قد نحى هذا المنحى في كتابه (الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956) أما الوجه الثاني فهو دراسة وكتابة التاريخ العربي في إطار النظرة الأفقية الشاملة لحركة تاريخ الأمة على امتداد الوطن العربي من جناحه الغربي إلى جناحه الشرقي ، وحسب علمي فإن معظم مؤرخينا لم يحاولوا الدخول إلى تاريخنا العربي الحديث من هذا الباب رغم أهميته علماً أن هذه الأهمية ليست بالاعتيادية في عصر تكتب فيه المدارس الفكرية الأوروبية والصهيونية عن تاريخنا عموماً بمناهج تتخذ من التفسيرات الطائفية و العرقية أساساً لاستنتاجاتها بهدف تأكيد تمزق الأمة العربية .

لقد أردت من هذه المقدمة وعنوان البحث أن أعالج موضوعاً طالما عانينا منه في كتاباتنا عن التاريخ الحديث ، بل وحتى عند تأليف كتب التاريخ الحديث المنهجية لطلبتنا في جميع المراحل الدراسية وصولاً إلى الجامعة ، وهو الاقتصار في الكتابة على المغرب العربي الكبير وصولاً إلى مصر عند معظم المؤلفين المغاربة واقتصار المؤلفين المشاركة على المشرق في كتاباتهم دون تجاوز لحدود مصر وليبيا متناسين جزءاً كبيراً من الوطن العربي ، وفي هذه الدراسة سأقدم نموذجاً لحقبة تاريخية معينة من بدايات

التاريخ العربي الحديث تدل على وحدة هذا التاريخ ، انطلاقاً من الشعور بوحدة المصير واللغة والمصالح المشتركة رغم التمزق والغزو الأجنبي ، مؤكداً أن التأريخ العربي الإسلامي الموحد الذي لا يختلف العرب في فهم وحدته مشرقاً ومغرباً يشكل جذوراً أساسية لوحدة حركة التأريخ العربي الحديث مع وجود الخصوصية لكل منطقة أو إقليم أو قطر ، والتي كانت بارزة في كل حقبة وعصور تأريخ الوطن العربي منذ قدمه .

إن الفترة التاريخية التي سنأخذها نموذجاً لهذه الدراسة هي مرحلة الغزو الأجنبي والمقاومة العربية التي تمثل بدايات التأريخ الحديث ، ولكي تكون الصورة واضحة فإنه من الضروري العودة إلى نهاية العصور الوسطى العربية الإسلامية والتي يحددها سقوط الدولة العباسية سنة 1258 م عندما احتل المغول بغداد في المشرق العربي، وبالمقابل سقطت دولة الموحدين سنة 1268 في المغرب العربي والتي أعقبها فيما بعد سقوط غرناطة سنة 1492 حيث تصاعد الغزو الأوروبي للمغرب العربي واتجه إلى البحر الأحمر والخليج العربي باسم الاستكشافات الجغرافية الأوروبية . ثم توقف هذا الغزو أثر تدخل الدولة العثمانية وسيطرتها الشاملة على الوطن العربي عدا المغرب الأقصى والخليج العربي ، ثم جاء الغزو الأوروبي الشامل للوطن العربي في التاريخ الحديث والذي ابتداءً منذ سنة 1830 وحتى سنة 1918 عندما أكمل الأوروبيون سيطرتهم على الوطن العربي بكامله بنهاية الحرب العالمية الأولى.

لقد تجلت في تأرا الأوروبي:لعربي الحديث ثلاثة مظاهر تبين بشكل واضح وحدة التأريخ العربي في هذه المرحلة وهي شمولية الغزو الأوروبي للوطن العربي وشمولية المقاومة العربية التي عمت جميع أجزاء الوطن العربي لصد الغزو الأجنبي ، ثم الوحدة الفكرية التي تجلت في التعبير عن العقيدة العروبية الإسلامية من خلال الآداب والشعر والمناهج السياسية والتداخل بين المشرق والمغرب العربي.

1-شمولية الغزو الأوروبي :

من المعروف أن دوافع اقتصادية ودينية متعصبة قد لعبت دورها في الغزو الأوروبي للوطن العربي الذي يتميز بموقعه الاستراتيجي ، وبوجود المنافذ البحرية والموانئ المهمة فيه مثل سواحل البحر المتوسط الجنوبية والشرقية ، والبحر الأحمر ، وبحر العرب ، وخليج عمان ، والخليج العربي ، ولهذا لم يقتصر الغزو الأوروبي على المغرب العربي الذي ابتداء منه⁽¹⁾ . وتساعد أثر سقوط غرناطة سنة 1492 ليتوجه البرتغاليون لغزو البحر الأحمر والسواحل الجنوبية لجزيرة العرب والخليج العربي ، وقد ابتدأت أولى هذه الحملات بعد خمس سنوات فقط من سقوط غرناطة ، عندما

(1) بعد سقوط دولة الموحدين تصاعد الغزو الأوروبي للمغرب العربي رغم قيام دويلات ثلاث على انقاض دولة الموحدين هم الحفصيون في تونس وبنو بن الواد في المغرب الأوسط وبنو مريم في المغرب الأقصى ، لقد شهدت هذه الدويلات الثلاث بدايات الغزو الأوروبي الحديث للوطن العربي على يد الدول المسيحية الناشئة في بداية القرن الخامس عشر . وقد كان لعوامل التنافس ومحاولة الدويلات الثلاث السيطرة الواحدة على الأخرى أثره في ضعفها أمام الغزوات الأجنبية وقد شهدت السنوات 1509- 1515 استيلاء الأسبان على أهم موانئ الجزائر إضافة إلى موانئ في المغرب الأقصى .

قام فاسكوديكاما بحملته على السواحل الجنوبية للوطن العربي حيث وصل إلى الهند متمماً رحلة (بارتلمودياز) إلى رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي من أفريقيا ،، وقد حدد الملك عمانويل الأول 1495-1521 أهداف حملة ديكاما بالقول أن الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق⁽²⁾ .

لقد أدت حركة الاستكشافات الجغرافية إلى وصول البرتغاليين إلى البحر الأحمر واستعمالهم القوة العسكرية للسيطرة عليه ، وهذا ما فعله الفونس البوكيرك ذو النزعة الاستعمارية المتعصبة ضد العرب المسلمين ومن تبعه بعد ذلك فقد سيطروا على باب المندب وسواحل اليمن وعدن وتسللوا إلى البحر الأحمر الذي سيطروا عليه خلال السنوات 1517 - 1530⁽³⁾ . وتمكنوا كذلك من السيطرة على سواحل الجزيرة العربية الجنوبية ومضيق هرمز في الخليج العربي سنة 1507 وتوغلوا فيه⁽⁴⁾ .

وعندما جلى البرتغاليون عن البحر الأحمر سنة 1622 تبعهم الهولنديون في السيطرة التافس.ج العربي . ثم حل محلهم

(2) د . عبد الحميد البطريق ، تأريخ اليمن الحديث ، مصر 1969 ، ص 19 .

(3) قصي كامل شبيب ، مضيق باب المندب وأهميته الاستراتيجية في التاريخ الحديث والمعاصر ، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة

المستنصرية في تشرين الثاني 1979 م بإشراف الدكتور محمد مظفر الأدهمي ص 39 - 45 .

(4) البطريق ، المصدر السابق ، ص 19 .

البريطانيون عسكرياً في الخليج العربي وكان للفرنسيين نصيب في هذا التنافس .

لم تدم الهجمة الأوروبية طويلاً فقد توسعت الدولة العثمانية في الوطن العربي فبعد أن احتلت بلاد الشام سنة 1516 ومصر سنة 1517 ثم الحجاز وسيطرت على اليمن سنة 1538 واستولت على العراق سنة 1534 دخلت المغرب العربي الكبير بعد احتلالها لليبيا سنة 1551 وتونس ومن ثم الجزائر سنة 1529 ولم تتمكن من احتلال المغرب الأقصى المعروف آنذاك باسم مراكش .. لقد أوقفت السيطرة العثمانية الغزو الأوروبي مدة قرنين من الزمن أصبح الوطن العربي خلالها(عدا مراكش وبعض مناطق الخليج العربي) تابعاً لسلطة الدولة العثمانية .

لا بد لنا من التوقف عند هذه النقطة لا بداء رأينا فيها لأن بعض المؤرخين في المغرب العربي لا يعتبرون سيمسلمين.لة العثمانية على الوطن العربي حكماً أجنبياً بحكم الرابطة الدينية ولكونهم تدخلوا لصالح المغرب العربي ضد الغزو الأوروبي. إلا أن الأحداث التاريخية برهنت على أن السلطة التركية العثمانية قد تصرفت على أنهم أتراك أكثر من كونهم مسلمين . يضاف إلى هذا أن السلطة التركية العثمانية لم تكن مظهراً من مظاهر القوة أو الوحدة للوطن العربي، فالدولة العثمانية لم تكن دولة عصرية قياساً بما كان العالم يتجه إليه من تطور. وفوق هذا كله فإن الأتراك العثمانيين دخلوا المنطقة محتلين كما دخلها من قبلهم البويهيون

والسلاجقة والذين كان لهم دور كبير في أضعاف الدولة العربية الإسلامية أيام العباسيين . ولا تختلف هذه الصفة ، أي صفة الإحتلال عن الفرس الصفويين الذين كانوا في صراع دائم مع العثمانيين للسيطرة على العراق بشكل خاص والمشرق عموماً .

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل يعنى اعتناق البوهميين أو السلاجقة أو الأتراك أو الفرس للإسلام منحهم سمة الدخول إلى الوطن العربي لاحتلاله ليصبحوا هم الحكام بدلاً من سكانه العرب حملة راية الإسلام الأولى التي بشروا بها هذه الأقوام ؟؟ وإذا كان الأمر هكذا فمعنى ذلك أن المغول إلالخانيين ومن جاء بعدهم هم أيضاً ليسوا بغزاة لأنهم اعتنقوا الإسلام بعد غزوهم للعراق وسوريا . إن التفسير الموضوعي لهذه الظاهرة هو أن هذه الأقوام الغازية قد أخذت من الأمة العربية الاسلام ولم تقدم لها شيئاً ، لأن للأمة العربية حصانة ذاتية تقاوم فيها أيام ضعفها وذلك باحتوائها للمحتل من خلال اعتناقه الإسلام . فإذا كانت الأمة العربية قد حصنت نفسها أمام المحتل بهذه الطريقة ، فلا يعنى أنها ستستسلم لذلك المحتل .

إن الإحتلال التركي العثماني قد أدى إلى نقل العاصمة إلى خارج الوطن العربي فأصبحت القسطنطينية عاصمة الدولة وأصبح الوطن العربي مقسماً إلى ولايات عثمانية فرضت عليها العزلة . أما من الناحية الإقتصادية فقد استولت السلطة الجديدة على الأراضي الزراعية معتبرة أياها ملكاً للسلطان العثماني ، فوزعت

على القواد العسكريين وجبات الضرائب الثقيلة ، كما توقفت الحركة العمرانية بسبب الركود الإقتصادي وأهملت الأراضي الخصبة وانعدم الأمن ، وأهملت الأمور الصحية مما أدى إلى نقص في السكان بسبب انتشار الأوبئة . من جانب آخر ضعفت حركة التأليف بالعربية بسبب جعل اللغة التركية لغة الدواوين ، وتشير المصادر إلى أن مظاهر الأمن والاستقرار أخذت تضعف تحت الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن السادس عشر كما اضطرت المواصلات الداخلية والحياة الإقتصادية فعم الاستياء والإنحطاط في الوطن العربي ، وتحول هذا الاستياء تدريجياً إلى ثورات مسلحة ضد الحكم التركي الذي مارس جميع أنواع القسوة والتكيل ضد سكان الوطن العربي . ففي سنتي 1591 – 1592 على سبيل المثال اضطرت دمشق احتجاجاً على تعسف الدفتر دار محمود ، وتزعم الحركة القاضي مصطفى بن سنان ، وفي لبنان ظهر الأمير فخر الدين الثاني الذي حاول الاستقلال عن الأتراك ، كما انتفضت مصر ، وفي ليبيا ثار زعيم عربي في طرابلس وأقام له ملكاً هدفه طرد الأتراك وإقامة العدل ، وفي الجزائر ثارت قبائل زواوه ضد الأتراك ولم يتمكن أحد من البشوات أخمادها واخضاع القائمين بها⁽⁵⁾ .

بدأت الدولة العثمانية بالتدهور في أواخر القرن السابع عشر وظهر ما يسمى بالمسألة الشرقية أثر توقف التوسع العثماني بعد الحرب التي شنتها روسيا والنمسا ضدهم وتوقيع معاهدة كارلوفتز

(5) د . عبد الكريم كريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية ، الدار البيضاء 1978 ، ص 182 .

سنة 1699 ومنذ هذه الفترة أخذت الدول الأوروبية الكبرى تتوسع على حساب الدولة العثمانية وتتنافس على تقسيمها ، كما فقدت السلطة المركزية على الأقاليم العربية ، وقد مهد هذا الأمر للغزو الأوروبي الحديث للوطن العربي .

فغزا نابليون مصر سنة 1798 ثم أعقبته سلسلة متواصلة من عملية الغزو الأوروبي ابتدأت باحتلال الفرنسيين للجزائر سنة 1830 وتونس 1881 واحتلال البريطانيين لمصر سنة 1882 وليبيا 1911 ، وفرضت الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى سنة 1912 ثم احتل البريطانيون والفرنسيون العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية خلال الحرب العالمية الأولى وحتى نهايتها سنة 1918. وبذلك فرض الأوروبيون سيطرتهم التامة والشاملة على الوطن العربي .

يتضح من هذه الحقائق أن الغزوات الأجنبية على الوطن العربي لم تقتصر على جزء من أجزائه ، كما أنها لم تكن على مراحل متفرقة فإن ما تعرض له المغرب العربي من غزو أجنبي كان مترامناً مع ما تعرض له المشرق العربي ضمن أسباب ودوافع وعوامل واحدة ، وفي إطار ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية واحدة أيضاً . مع الأخذ بنظر الاعتبار الخصوصيات والقطرية التي تأثرت بتلك الدوافع والظروف ودارت داخل اطار حركتها .

2- شمولية المقاومة العربية وتناسقها :

ظهرت المقاومة العربية للغزو الأجنبي في كل أرض وطأها ذلك الغزو سواء في المغرب أم في المشرق ، ففي القرن

السادس عشر تصدت المقاومة العربية في المغرب العربي للغزو الأسباني والبرتغالي⁽⁶⁾ . وكذلك فعل اهل اليمن⁽⁷⁾ . ومثلهم فعل أهل الخليج العربي الذين تصدوا للبرتغاليين وثاروا عليهم⁽⁸⁾ . إلا أن تلك المقاومة اختلفت في صيغها وأساليبها من مكان إلى آخر ، فقد ظهرت بشكل مقاومة مسلحة في المغرب العربي وليبيا ومصر والخليج العربي أفرزت في الوقت نفسه فكراً عروبياً اسلامياً واضحاً في هذا المجال . في حين ظهرت بطريقة أخرى في العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية وهي المقاومة الفكرية ذات الطابع العروبي الاسلامي التي أفرزت فيما بعد المقاومة العسكرية .

ويمثل النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ذروة تصاعد المقاومة العربية وشموليتها بحكم شمولية الغزو الأجنبي ، وقد تبدو هذه النظرة غير مألوفة لدى البعض لأن الغزو الأوروبي للمغرب العربي ومصر والسودان قد تزامن مع السيطرة العثمانية في العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية والتي لا يعتبرها البعض احتلالاً شبيهاً بالاحتلال الأوروبي للمغرب العربي بحكم ظروف وعوامل عديدة أشرنا إليها سابقاً. ولا بد هنا من

(6) د . صلاح العقاد ، المغرب العربي ، مصر 1969 ، ص 19 - 27 .

(7) شبيب ، المصدر السابق ، ص 46 - 48 .

(8) د . عبد الأمير محمد أمين " دور القبائل العربية في صد التوسع الأوروبي في الخليج العربي " بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ

المنعقد في بغداد 1973 ، ص 650 - 687 انظر أيضاً عائشة السيار ، دولة البعارة في عمان وشرق أفريقيا في الفترة 1624 -

1741 ، بيروت 1975 .

التوقف مرة ثانية عند هذه النقطة قبل إعطاء المؤشرات التي تبين العلاقة المشتركة بين المشرق والمغرب العربي في مقاومته الغزو الأجنبي .

تعرض المغرب العربي لغزو أوروبي اتخذ صفة الحرب الصليبية ضد العرب المسلمين ، وقد كان لهذا الطابع الديني تأثيره في تقبل المغاربة المساعدة من الدولة العثمانية باعتبارها دولة مسلمة ، وأدى ذلك بالنتيجة إلى بسط سيطرة الدولة العثمانية غير المباشرة على المغرب العربي عدا الأقصى منه ، وبذلك لم يصطدم العرب المسلمون في المغرب العربي بالدولة العثمانية التي انتهت دورها عندما استقر الغزو الأوروبي فيه وبدأت لمقاومة العربية تناضل ضده بالقوة المسلحة ، في حين استمرت السيطرة العثمانية على العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية متخذة شكلاً آخر وهو السيطرة المباشرة التي تصاعدت في عدائها للعرب المسلمين عند استلام جمعية الاتحاد والترقي السلطة إلى الحد الذي حاول فيه العثمانيون طمس الهوية القومية العربية ولغة القرآن الكريم من خلال سياسة التتريك العنصري ، وقد أثار ذلك العرب المسلمين في المشرق العربي مثلما أثارت سياسة فرنسا العنصرية العرب المسلمين في المغرب العربي ، لذلك انتظم عرب المشرق داخل جمعيات سرية وعلمية أبرزها الجمعية العربية الفتاة التي نسقت مع الزعيم الديني الشريف حسين بن علي تأجيج الثورة المسلحة ضد

العثمانيين الأتراك⁽⁹⁾ وبهذا التحالف فقد اتخذت حركة المقاومة العربية في المشرق العربي طابعاً قومياً عربياً لم يهمل الاسلام كعقيدة ولم يعتبره شيئاً غريباً عن العروبة بل سلاحاً ضد الأتراك الذين نكلوا واعدوا العرب المسلمين في بلاد الشام. لقد اعتقد الشريف حسين والقيادات العربية أنهم بتقبلهم معونة البريطانيين سيكسبون دعم وسند دولة كبرى وعدتهم بالإستقلال التام . إلا أن تلك الدولة غدرت بهم لانها وفرنسا وبقية الدول الأوروبية الاستعمارية كانت تريد تنفيذ مخططاتها وتحالفاتها في إحكام السيطرة على كل الوطن العربي ، بعد أن سيطرت على الجزائر وتونس ومصر والسودان والخليج العربي ، لذلك احتلت بريطانيا وفرنسا العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية خلال الحرب العالمية الأولى في الفترة من 1914 – 1918 دون تحقيق الوعود⁽¹⁰⁾ وهي الفترة التي احتلت فيها إيطاليا ليبيا سنة 1911 واصلت فرنسا الحماية على المغرب الأقصى سنة 1912 حيث شهدت ليبيا والمغرب الاقصى مقاومة عنيفة للغزو الأجنبي .

إن هذه الخصوصية التي تميز بها المغرب العربي عن المشرق في تطور أحداثهما قد قادت العديد من الباحثين والمؤرخين

(9) انظر أيضاً النسخة المترجمة تحت عنوان : يقظة العرب (جورج انطونيوس) ، ترجمة الدكتور / ناصر الدين الأسد والدكتور / إحسان عباس ، بيروت 1978 ، ص 175 – 250 ، وكذلك محمد عزة دروزة ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، بيروت ، ص

350 – 510

(10) Antonius. op cit.,P.164-183, 243-275 .

إلى الوقوع في خطأ فهم هذه المعادلة فاعتبر الكثير ومنهم جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب و محمد عزة دروزه في كتابه نشأة الحركة العربية الحديثة ، إن تحرك الأمة العربية للانعتاق بمقاومتها السلطة الأجنبية ومحاولتها تكوين الدولة العربية الواحدة كان هدفاً قومياً مجرداً ومقتصراً على المشرق العربي ضمن المساحة الممتدة من العراق إلى مصر دون مغربة متناسين أن أعضاء الجمعية العربية الفتاة كانوا عرباً مسلمين وإن قائد الثورة العربية الشريف حسين كان عربياً مسلماً ومن عائلة الرسول العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وإن هدفه هو إعادة أمجاد الدولة العربية الإسلامية . بمعنى أن مفهوم العروبة لم يكن بعيداً عن روح الإسلام وحضارته عند قادة المقاومة في المشرق العربي . كذلك غاب عن ذهن بعض المؤرخين المغاربة أن عبد القادر الجزائري وغيره من قادة المقاومة العربية في المغرب العربي كانوا يؤمنون بعروبتهم ولا يفرقون بينها وبين الإسلام . يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله بهذا الصدد (إن الجهاد الذي أعلنه الأمير عبد القادر مثلاً لم يكن قاصراً على المفهوم الديني وحده وإنما كان يعني بالدرجة الأولى الدفاع عن الوطن والقومية (اللغة والحضارة والمستقبل) ⁽¹¹⁾ . ويضيف (فإذا تذكرنا حالة الوطن العربي خلال النصف الأول من القرن الماضي ، أي القرن التاسع عشر، نجد أن الأمير بحق رائد من رواد القومية العربية بمفهومها الحديث فقد كان

(11) د . أبو القاسم سعد الله ، منطلقات فكرية ، تونس 1976 ، ص 128 - 129 .

يدافع عن فكرة الحرية وعن أرض كانت وما تزال جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي⁽²¹⁾. هناك أمثلة عديدة تؤكد هذا الرأي فقد كان عبد القادر الجزائري يلقب نفسه الأمير العربي ، وقد لقبه بيجو في إحدى رسائله إليه بـ (سلطان العرب) . وقد رد مرة على شكوك بيجو بالإتفاق قائلاً (إن لنا ديناً وأخلاقاً عربياً تلزمنا المحافظة على قولنا)⁽³¹⁾. إن هذا يجرنا إلى السؤال التالي وهو : لو كان المغرب العربي قد تعرض لسياسة التتريك العنصري التي تعرض لها المشرق العربي ، فهل كان يسكت قادة المقاومة في المغرب العربي ومنهم على سبيل المثال عبد القادر الجزائري أو ابن خليفة التونسي أو عبد الكريم الخطابي ؟ وهل كانوا يقبلون بالتخلف والحكم التعسفي الذي مارسه العثمانيون الأتراك في المشرق العربي ؟ إن الجواب على ذلك هو النفي بالتأكيد ودليلنا القاطع على ذلك هو مقاومتهم لسياسة فرنسا العنصرية في المغرب العربي والتي كان الهدف منها طمس الثقافة العربية بنشر الثقافة الفرنسية ، وإجبار الشعب العربي في المغرب على التكلم بالفرنسية أو الإيطالية بدلاً من العربية ، وإثارة النعرات الطائفية والإقليمية والعرقية مثلما فعل البريطانيون والفرنسيون في المشرق العربي. صحيح أن الحركة القومية العربية قد اتخذت طابعاً منظماً وواضحاً

(21) المصدر السابق ، ص 118 .

(31) محمد عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، دار البقعة العربية 1964 ،

ص 272 ، 280

في المشرق العربي أكثر منه في المغرب العربي إلا أنها كانت فكراً وعقائدياً ذات اتجاه واحد وهدف واحد على امتداد الوطن العربي وإن ظهرت هناك خصوصيات معينة. وسنقدم فيما يأتي مؤشرات وأدلة تؤكد وحدة ترابط المقاومة العربية في الوطن العربي ضد الغزو الأجنبي :-

أ- عندما غزا نابليون مصر في سنة 1798 هب المغاربة يشاركون في الدفاع عنها ، وقد خشى بونابرت أن يلعب المغاربة دوراً في هزيمة قواته فاصدر في 13 أيلول من العام نفسه نداء يدعو المغاربة السفر إلى بلادهم خلال ثلاثة أيام إلا أن المغاربة لم يتركوا مصر ويقوا يدافعون عنها باعتبارها أرضاً عربية⁽¹⁴⁾ . إن هذا الشعور قد احتدم عند المغاربة أينما كانوا حتى أن الشيخ الكيلاني المغربي الذي كان مقيماً في الحجاز حث الناس على الجهاد وبذل الأرواح والمال من أجل مصر ، وقد استجاب لنداءاته الكثير من أهل الحجاز الذين ركبوا البحر وانضموا إلى أهل الصعيد والمغاربة المقيمين في مصر لمقاومة الغزو الفرنسي⁽¹⁵⁾ .

ب- في سنة 1911 هب الشعب العربي في تونس لمشاركة الشعب العربي في ليبيا دفاعه عن أرضه العربية ضد الغزو الإيطالي

(14) الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، 3 أجزاء ، بيروت ، ج 3 ، ص 19 .

(15) المصدر السابق ، ج 3 ، ص 57 وما بعدها .

فقامت حركة تونس الفتاة بقيادة علي باشا حانبة والشيخ عبد العزيز الثعالبي بعد المقاتلين العرب في طرابلس بالمتطوعين التونسيين ، وفي جمع التبرعات المادية والعينية لتموين المقاتلين وتسليحهم واسعافهم ، واسسوا الهلال الأحمر لحمل المؤن والأدوية إلى ليبيا كذلك قامت معارك طاحنة بين الإيطاليين والعرب التونسيين داخل تونس وأخرها معركة الجلاز المعروفة ⁽⁶¹⁾ . ولم يكن الغزو الإيطالي لليبيا هو وحده الذي أجج هذه المعركة وإنما احتلال الفرنسيين لمدينة فاس في المغرب الأقصى تمهيداً لفرض الحماية عليه ⁽⁷¹⁾ . من جانب آخر حاولت السلطات الإستعمارية الفرنسية تقييد حركة المجاهدين التونسيين نحو ليبيا بحكم المصالح الأوروبية في هجمتهم الشاملة على الوطن العربي ⁽⁸¹⁾ . ولا بد من الإشارة إلى أن المشرق العربي لم يكن بعيداً عن الغزو الإيطالي لليبيا فعندما سحب العثمانيون من جماعة الإتحاد والترقي في الجيش التركي من طرابلس بهدف القضاء على الثورات العربية ضدهم في اليمن ، مما كان عاملاً مهماً في احتلال الإيطاليين لطرابلس - تحرك النواب العرب في مجلس " المبعوثان " واستقبال الكثير منهم من جمعية الإتحاد والترقي تعبيراً عن الإحتجاج العربي في المشرق على ذلك ⁽⁹¹⁾ . ولم يكتف النواب العرب بالإستقالة بل انضموا إلى

(16) الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية ، رؤية شعبية قومية جديدة ، 1830 - 1956 ، ص 48 - 51 .

(17) المصدر السابق ، ص 49 - 51 .

(18) المصدر السابق ، ص 51 .

(19) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ، 1960 ، ص 172 - 131 .

جمعية الحرية والإئتلاف التي ضمت " الحزب العربي " وزادوا من نشاطهم في مقاومة الإتحادين العثمانيين⁽²⁰⁾ .

ج- لم يكن قادة المغرب العربي بعيدون عن حركة القومية العربية وتنظيماتها في المشرق العربي فعندما انعقد المؤتمر العربي الأول في باريس (سنة 1913) أرسل الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري برقية إلى المؤتمر قال فيها :

" أيها السادة الأفاضل العظام أعضاء المؤتمر العربي اتصلت بدعوتكم لآبناء الأمة العربية بكل فرح وسرور وأعو الله من صميم الفؤاد أن يثبت سعيكم وأني واحد منكم قلباً وقالباً وما دامت الأفكار شريفة والمقاصد عفيفة فلا شك من النجاح وأخبركم أن دعوتكم كان لها صوت رنان وقد انتشرت في جميع الأفاق وأتينا الجرائد الشرقية والغربية بما يسر خاطر ويبعث على الأمل بنجاح هذه النهضة العامة " وأخبر الأمير خالد أعضاء المؤتمر أنه كان يود الحضور بنفسه في " مؤتمرهم العظيم " لولا انشغاله بالاستعداد للسفر⁽²¹⁾ .

إن أهمية برقية الأمير خالد هي أنها لم تكن تعبر عن شخصيته فقط وإنما كانت كما بين في الرسالة تعبر عن الشعور العام المؤازر للمؤتمر من قبل الشعب العربي في المغرب العربي

(20) محمد مظفر الأدهمي ، المجلس التأسيسي العراقي ، دراسة سياسية ، أطروحة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد سنة 1972

، ص 24 .

(21) المؤتمر العربي الأول ، مجموعة وثائق ، ص 196 .

كما تبين الصورة الواضحة التي كانت في ذهن العرب من أجل بناء مستقبلهم سواء في المشرق أو المغرب .

د- بقدر ما كان المغرب العربي متوجها إلى المشرق العربي في دعمه لحركته القومية ، كان المشرق العربي يحمل الإتجاه ذاته . فعندما قامت الثورة العربية في 10 حزيران 1916 لم ينس قادة الثورة أن الوطن العربي يمتد إلى المحيط الأطلسي وليس عند مصر ، لهذا أمر الشريف حسين قائد الثورة بتوزيع منشور الثورة الأول ، الذي صدر في 26 حزيران في المغرب العربي وسلمت نسخ منه إلى العديد من قادة وعلماء ومفكري المغرب⁽²²⁾ . وقد هدف المنشور بمجمله إلى تقديم الوقائع التي توضح تفريط العثمانيين الأتراك بقيم الإسلام وأماكنه المقدسة ، والتأكيد على أن العرب هم وحدهم حماة الإسلام وكل القيم السماوية وتصدرت المنشور الآية الكريمة " ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين " وتطرق إلى عمليات التعسف التي يمارسها العثمانيون فقال : "كل هذا لمحض غايات معلومة تأبى إحساساتنا البحث فيها وتستدعي تفطر قلوب مسلمي المعمورة آسى وحزناً على دولة الإسلام وتمزيق ما بقى من سكان ممالكها بلا تفريق بين مسلمهم وذمهم فريق منهم بالصلب وأنواع الإعدام والآخر بإجلائه عن وطنه

(22) سليمان موسى " المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال أفريقيا " المجلة التاريخية المغربية ، يناير 1977 ، تونس ، ص 107 - 108 .

على الصورة المعهودة والحالة المشهودة . علاوة على ما أصيبوا به في أموالهم وأنفسهم ."

ثم عكف البيان على تبيان استهتار الإتحاديين العثمانيين بسيرة الرسول العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عندما وصفتها جريدتهم الإجتهد بـ " شر السير ..بمرآى ومسمع من وزير الدولة الأعظم وشيخ إسلامها وسائر علمائها ووزرائها وأعيان رجالها " وقدم البيان أمثلة على إهمال الاتحاديين للتعاليم الإسلامية في الصوم والصلاة وعدد البيان أسماء الذين أعدمهم جمال باشا الملقب بالسفاح وكيف تم تشريد عائلاتهم ومصادرة أملاكهم وأموالهم وأضاف البيان :

" وقلنا ربما لمن مسوغ إليه ، فكيف يمكن أن نتحل مسوغاً لجرأتهم على قبر الأمير الأبر والمجاهد التقى الزاهد مولانا الشريف عبد القادر الجزائري الحسنى وإهاتته وتحقيره . " .

ثم انتقل البيان إلى وصف رمي الكعبة المشرفة من قبل العثمانيين حيث سقطت إحدى هذه القنابل قرب الحجر الأسود واشتعلت النيران في ستائر الكعبة وقد استمر قصفهم للمسجد ولمقام إبراهيم يومياً مما أدى إلى استشهاد العديد من العرب المسلمين وقد أوضح البيان رأي الشريف حسين الممثل للثورة العربية بالقول:-

" نعم تترك الحكم في هذا الإستخفاف والإزدراء للعالم الإسلامي ولكننا لا نترك كياننا الديني والقومي ألعية في أيدي الاتحاديين وقد

يسر الله تبارك وتعالى للبلاد نهضتها كما وفقها بحوله وقوته لأخذ استقلالها " ⁽³²⁾ .

يتضح من بيان الثورة العربية الموجه للمغاربة أنه أراد أن يبين لهم أن الثورة مع أنها ضد العثمانيين وذات طابع عربي قومي - فهي تتمسك بالإسلام باعتباره جزءا من الوجود القومي العربي لذلك فهي ترفض التفريط بتعاليمه وأماكنه المقدسة كما بين للمغاربة أن الثورة العربية في المشرق العربي تعتبر الأمير عبد القادر الجزائري واحدا من قادة الأمة العربية لأن أهدافها واحدة وطريقها واحد . وإن إعتداء العثمانيين على قبر الأمير عبد القادر الجزائري يؤكد تخليهم عن قيم الإسلام وهم بذلك لا يختلفون عن الفرنسيين الذي يريدون طمس عروبة المغرب العربي .

و- مشاركة حفيدي الأمير عبد القادر الجزائري في الثورة العربية بدمشق نتيجة لإتخاذ الأمير عبد القادر الجزائري دمشق مقراً لسكناه بعد خروجه من السجن فقد نمت عائلته وترعرعت في بلاد الشام وكأنها تعيش في المغرب العربي ولم تكن عائلة الأمير عبد القادر لوحدها فقد عاشت معهم في دمشق أعداد كبيرة من المغاربة وقد أدى هذا التواجد إلى مشاركة حفيدي الأمير عبد القادر سعيد ، وعبد القادرة في الثورة العربية فقد كان لهما دور مهم في الحفاظ على سلامة دمشق عندما انسحب منها العثمانيون في 30 أيلول 1918 أمام تقدم القوات العربية فقد قام المغاربة بقيادة

(23) المصدر السابق ، ص 109 - 111 .

الحفيدين بالإنتشار في المدينة وحمايتها من السلب والنهب ، فكن لهما أثر فعال في نشر الطمأنينة بين السكان ⁽⁴²⁾ . ثم تولى الأمير سعيد الإدارة في المدينة ورفع العلم العربي على بناية السراي ، فكان أول من رفع علم الثورة العربية في دمشق وأعلن قيام حكومة عربية مؤقتة برئاسة باسم الشريف حسين وإبرق بذلك إلى جميع أنحاء سوريا ، وعندما دخل لورنس المدينة التقى بالأمير سعيد الذي أخبره قائلاً :-

" لقد الفنا أنا وأخي عبد القادر أحفاد عبد القادر الجزائري مع شكري الأيوبي سليل صلاح الدين حكومة وطنية ونادينا الحسين ملكاً على العرب على مسمع ومرأى من الأراك والألمان المدحورين. "

وقد كان ذلك بتخويل من مساعد الأمير فيصل بن الحسين الشريف ناصر ⁽⁵²⁾ .

إن في هذا القول عمقاً تاريخياً وشملاً قومياً عبر الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه ، فهو يمثل التقاء الإرادة العربية في مقاومة الغزو الأجنبي مهما كان لونه وهو يعب أيضاً عن الشعور بوحدة المستقبل والمصير وإن تباعدت المسافة الجغرافية بين مكة والجزائر .

(24) د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ، ملحق الجزء السادس ، بغداد 1979 ، ص

83 .

(25) لورنس ، أعمدة الحكمة السبعة ، بيروت 1963 ، ص 437 .

رفض لورنس ما قاله الأمير سعيد مما دفع الأمير عبد القادر إلى مهاجمته لقتله إلا أن أحد شيوخ القبائل أنقذ لورنس وقد قرر لورنس التخلص من الحفيدين فهاجمت الشرطة في تشرين الثاني 1918 بيت الأمير عبد القادر لإعتقاله هو وأخوه فقاوم الشرطة التي أطلقت النار وقتلته بينما سجن سعيد في سجن المزة عشرة أيام ثم نقل إلى حيفا وفي منتصف سنة 1991 أطلق سراحه وسمح له بالإقامة في بيروت⁽⁶²⁾.

لقد جرت هذه الأحداث قبل دخول الأمير فيصل بين الشريف حسين إلى دمشق والحقيقة أن التحرك البريطاني ضد حفيدي الأمير عبد القادر لم يكن هدفه ترسيخ حكم الأمير فيصل بقدر ما أريد منه إنهاء التحالف العربي للغدر بالحكم العربي وتصفيته ذلك أن الجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية الحليفة لفيصل تلقى قبل دخوله دمشق برقية تأمره أن يعمل طبقاً لاتفاقية سايكس - بيكو عند دخوله دمشق⁽⁷²⁾. وقد اعقبتها برقيات أخرى من دوائر بريطانية وفرنسية تقول :

" اخنقوا حركة فيصل في مهدها أو قفوا السيل العربي ، تذكروا اتفاقية سايكس - بيكو"⁽⁸²⁾

(26) الوردى ، المصدر السابق ، ص 84 - 86 .

(27) , phillip knightly and colin simpson , the secret life of Lawrence of Arabia 1971

PP. 116 - 117

(28) زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الأوسط ببيروت 1971 ، ص 79 .

لذلك واجه فيصل عند دخوله دمشق التعنت البريطاني عندما أخبره النبي أن عليه أن يتولى حكم سوريا بالنيابة عن والده تحت حماية فرنسا وأشرافها ، وإن لا علاقة له ببلدان وفلسطين⁽⁹²⁾ فكان ذلك الحدث الخطوة الأولى لأنها الحكم العربي في دمشق لصالح الفرنسيين بالإتفاق مع بريطانيا حين أجبر فيصل على مغادرة سوريا وإسقاط الحكم العربي فيها⁽⁹³⁾ .

إن هذه الحادثة تؤكد عمق الروابط العربية بين المشرق ومغربه وهي توضح أيضاً وحدة أهداف الغزو الأوروبي للسيطرة على الوطن العربي بأجمعه وليس المغرب العربي فقط .
وأخيراً لا بد من الإشارة إلى الصلات الوثيقة والرابطة العضوية والمصيرية بين المشرق العربي ومغربه من خلال الشاعر التي كان قادة ومفكرو المغرب العربي يكتونها نحو مشرقه فعبد القادر الجزائري عاش في المشرق قبل إعلان ثورته في الجزائر وسعى بكل جهده أن يقيم فيه بعد فشل ثورته ولم تكن إقامته الأبدية في دمشق تحمل طابع الخمول ،⁽¹³⁾ كذلك لم يكن وصول عبد القادر الجزائري إلى دمشق وتنقله في القدس والحجاز حدثاً عادياً فقد استقبله العرب القوميون والمفكرون بكل حفاوة وترحاب⁽²³⁾ ،
تقديراً منهم للثورة العربية في المغرب العربي ، وشعوراً منهم

(29) Knightly and simpson , op , cit PP. 116 – 117

(30) أحمد قدرى ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، دمشق 1956 ، ص 94 .

(31) الجزائر ، المصدر السابق ، ص 630 – 640 .

(32) المصدر السابق ، ص 596 - 608 .

بوحدة الأهداف كذلك أقام عبد الكريم الخطابي في مصر وكان له نشاط عربي واسع فيها ناهيك عن حركة العديد من المفكرين المغاربة إلى العديد من جهات الشرق العربي طلباً للعلم أو الإقامة أو العمل وإذا ما تتبعنا مقالة الدكتور ليلي الصباغ في بحثها الموسوم الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث⁽³³⁾ . لرئينا العديد من الأمثلة على ديمومة الاتصال العربي والمهم في هذا كله نقطة أساسية ، وهي أنه مع عدم إهمال الجانب الديني فإن الشعور القومي العربي كان الأساس في إقامة المغاربة في المشرق العربي وإلا لكانوا قد اتجهوا للإقامة في تركيا أو إيران أو الباكستان باعتبارها بلاداً إسلامية ولا شك أن هذا يعود إلى تمسك العرب وانسياحهم ضمن الحدود الطبيعية لوطنهم متجاوزين الحدود المصطنعة فهم يتقلون ضمن هذه الحدود الطبيعية دون تردد وكنهم بالتأكيد يشعرون بالغربة عند تجاوزها إلى بلاد أخرى .

الوحدة الفكرية العربية بين المغرب والمشرق :

دأب المؤرخون والمفكرون الذين كتبوا عن بدايات النهضة القومية العربية وفكرها على تحديد تلك النهضة بالحدود الجغرافية السياسية الممتدة من العراق إلى مصر تاركين الجزء الغربي من الوطن دون إشارة إليه ، مما يشكل قصوراً واضحاً في الكتابة عن تاريخ الوطن العربي في هذه المرحلة ويعود ذلك إلى عدم وضوح

(33) منشور في المجلة التاريخية المغربية ، كانون الثاني 1977 ، ص 78 – 98 .

فكرة النهضة القومية العربية فقد تصورها البعض شبيهة بالفكر القومي الأوروبي الذي اصطدم مع الدين في بداية العصور الحديثة حيث خاضت البرجوازية الأوروبية والحكومات الملكية القومية صراعاً دموياً مع الكنيسة التي أرادت الاحتفاظ بسلطتها الديوية كما كانت عليه في عصر الأقطاع في حين يشكل التراث الحضاري الإسلامي أساساً قوياً للنهضة القومية الحديثة إذ لا يمكن فهم العروبة إلا من خلال الإسلام مثلما لا يمكن فهم الإسلام إلا من خلال العروبة ، فاختيار العرب لحمل رسالة الإسلام لم يكن لسوء حالهم وإنما لقدرتهم على أن يكونوا قادة للإنسانية جمعاء ولأن مبادئ الإسلام الإنسانية تتجلى في سلوكهم وطباعهم وعاداتهم لذلك فقد شرفهم الله سبحانه وتعالى بحمل الرسائل السماوية الثلاث التي ختمها الإسلام .

من هذا المنطلق فإن الذين اعتبروا النهضة القومية العربية في المشرق بعيدة عن الإسلام كانوا مخطئين كذلك فإن الذين اعتبروا الكفاح المسلح للمغرب العربي دينياً صرفاً بعيداً عن العروبة هم مخطئون أيضاً . لقد نسي هؤلاء المؤرخون والكتاب أنه حينما كان عرب المشرق يدافعون عن وجودهم العربي الإسلامي من خلال الشعر والكتابة والتنظيمات السياسية كان المغرب العربي الكبير يسطر بدماء أبنائه ملحمة الدفاع عن وجوده العربي الإسلامي ضد الغزاة الأوروبيين ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هؤلاء المؤرخين قد نسوا أيضاً أن الخليج العربي هو جزء من

المشرق العربي وكان يدافع بالسلاح عن وجوده القومي العربي الإسلامي ضد البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين ولا شك أن هذا القصور ناتج عن غياب المنهج القومي في كتابة التاريخ العربي ذلك المنهج الذي يأخذ بعين الاعتبار حركة التاريخ ضمن الحدود الطبيعية للوطن العربي والذي لا يفهم العروبة إلا من خلال رسالتها الإسلامية الخالدة .

لقد كتب العديد من مفكري المغرب العربي الكبير عن العروبة والإسلام وعلاقتها ببعضهما البعض منهم إلى حد مناقشة وضع البربر المسلمين . فهم يجمعون على أن عروبة المغرب تقوم على اللغة والدين والتاريخ المشترك والأكثرية الساحقة من البربر تتكلم العربية و بها يتفاهم السوسي مع الريفي والشلح مع القبلي . يضاف إلى هذا أن البربر يحرصون على تعلم العربية لكونها لغة دينهم ولأنها اللغة العلمية القومية الوحيدة التي تساعد على تطورهم الفكري بينما لا تعني لهجتهم البربرية بأكثر من معنى للتخاطب⁽³⁴⁾ . ومن الأدلة التي تؤكد هذا الرأي فشل الظهير البربري الذي أراد منه الفرنسيون شق وحدة المغرب العربي ، ولا أريد الدخول في تأكيد رأي معظم المؤرخين والكتاب من أصل البربر عرب ، أما إبراهيم غافر فيقول أن الإسلام والعروبة هما العاملان الأساسيان اللذان أحيا المغرب وأخرجاه من ظلمات الاستعمار

(34) أنور الجندي ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا ، القاهرة 1965 ، ص 83 .

اللاتيني وساعده على تكوين وحدته اللغوية والدينية والسياسية⁽⁵³⁾ ويضيف أحمد توفيق المدني أن المغرب العربي لا يفرق بين العروبة والإسلام فالإثنان مفهوماً واحداً ، لا يكون المسلم إلا عربياً ولا يكون العربي إلا مسلماً ولنا نحو العربية والعروبة نفس التقديس الذي لنا نحو الإسلام⁽⁶³⁾ إن هناك أدلة كثيرة على وحدة الشعور القومي عند العرب جميعاً خلال المرحلة التي نبحثها وأن لم تكن هناك علاقة تنظيمية بين بعض أجزائه .

والتأججات الفكرية تؤكد ذلك ، فحينما كان الشعب العربي في العراق وبلاد الشام ومصر يتنظم داخل الجمعيات الأدبية والسياسية للحفاظ على وجوده القومي ضد سياسة التتريك العنصري ، وحينما كان الكواكبي يؤكد على أهمية اللغة العربية في الحفاظ على الأصالة القومية وعلى أن يكون للمسلمين قيادة عربية لمحاربة الوجود التركي ، وحينما كان إبراهيم البازجي ينشد في بلاد الشام :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب

فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

كان عبد القادر الجزائري ينشد :

(35) المصدر السابق .

(36) المصدر السابق ، ص 88 .

لنا في كل معركة مجال
ومن فوق السحاب لنا رجال
ورثنا سؤددا للعرب يبقى
وما تبقى السماء ولا الجبال
فالمجد القديم علت قريش
ومنا فوق ذا طابت فعال
ومنا لم يزل في كل عصر
رجال للرجال هم الرجال⁽⁷³⁾

كما كان الأمير عبد القادر يخاطب الجزائريين سنة 1846 باللغة
نفسها وبالمبدأ نفسه الذي يخاطب فيه الكتاب العرب الشعب العربي
في المشرق العربي ، فكان يقول :
" لقد أصبحتم تحت سلطة رومي يقاضيكم رومي ويدير شؤونكم
رومي لقد داس الرومي حرية مساجدكم ، واشترى أعراض نسائكم
، واستولى على أجود أراضيكم وأعطاهما إلى قومه . لقد حان موعد
استفاقتكم ! هبوا جميعاً واستجيبوا لندائي . إن الله قد وضع سيفه
الملتهب في يدي لنمض جميعاً إلى الأمام ونرو حقول وطننا بدماء
المعتدين⁽⁸³⁾ ."

(37) د . أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ص 119 .

(38) المصدر السابق ، ص 118 – 119 .

أليس في هذا القول تشابه مع ما قاله اليازجي من شعر وما أعلنه الشريف حسين في بيانه ضد الأتراك ، لقد فرق العرب في المشرق العربي بين العربي والتركي ، و فرق المغاربة في المغرب العربي بين العربي والرومي ، وكل منهما ينشد شيئاً واحداً هو مقاومة المعتدين وتحقيق الإستقلال ونيل الحرية والحفاظ على الوجود القومي العربي الإسلامي .

ومن المفكرين القوميين الجزائريين في هذه المرحلة حمدان خوجة (1773 - 1840) الذي يشكل مع رفاقه أحمد بوضربة وأبن مرابط وحمدان آغة وإبراهيم بن مصطفى حزباً قومياً تحت اسم " اللجنة المغربية " دعا إلى الاعتراف بالقومية العربية في الجزائر ، وكتب الخوجة بقول إن الأمة العربية قامت لترد العدوان الذي يهدد لغتها ودينها وعاداتها وتقاليدها ووجودها ، كما رفع مذكرة إلى لجنة التحقيق الفرنسية (1833) قال فيها إن بين الشعبين الجزائري والفرنسي حواجز لا يمكن اجتيازها لأنهما لا يتحدثان اللغة نفسها ولا يمارسان العادات نفسها ولا يؤمنان بالتقاليد نفسها ولا يدينان بالدين نفسه⁹³ وأكد خوجة من خلال كتاباته أن (الوطن العربي للعرب) وعبر عن ذلك في كتابه (المرأة) .

ومن المفكرين القوميين الجزائريين الآخرين العقبي والإبراهيمي ، فقد تخرجوا من معاهد مكة والمدينة ، وتأثر العقبي بأفكار (الجمعية العربية الفتاة) لذلك نفاه العثمانيون من الحجاز

(39) المصدر السابق ، ص 115- 116 .

ولم يعد إلا بعد الثورة العربية سنة 1916 حيث عينه الشريف حسين مديراً للمطبعة الأميرية وجريدة العقبة⁽⁴⁰⁾. أما الإبراهيمي فقد تأثر أيضاً بالاتجاه العربي لحركة القومية العربية عند إقامته في بلاد الشام كمدرس قبل عودته إلى الجزائر⁽⁴¹⁾. أما عن عبد الحميد بن باديس فقد ربط بين تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي في عهد الاحتلال فقال " إذا كنا نصرف أكثر جهدنا للتعليم العربي فذلك لأن العربية هي لغة الدين الذي هو أساس حياتنا ، ولأنها هي اللغة المطاردة في عقر دارها المغلقة مدارسها ويحارب القانون نشرها بين أبنائها " لقد كتب ابن باديس كتباً عن الوحدة العربية و(العرب في القرآن) وعن (محمد رجل القومية العربية) مما قاله في كتبه " أن العناية بالعرب حق على كل مسلم لارتباط تأريخهم بتأريخ الإسلام " وأضاف " هذه الأمة أهلها الله لحمل الرسالة الإلهية إلى العالم .. وأن القومية العربية موضوع الأطراف وحسبي أن أكون قد خدمتها من هذه الناحية التي هي خدمة الإسلام والقرآن⁽⁴²⁾ .

وإذا ما تناولنا الحركة الفكرية في تونس فإننا نجد فيها الملامح ذاتها التي ظهرت في الجزائر ومصر والمشرق العربي في مرحلة زمنية واحدة وكان الشيخ محمود قبادو (1814 – 1871) الملقب برائد الإصلاح في تونس أول من أكد على ضرورة التمسك

(40) صالح خرفي ، شعر المقاومة الجزائرية ، بيروت ، ص 133 .

(41) سعد الله، المصدر السابق ص 129 .

(42) المصدر السابق ، ص 135 – 137 .

بالثقافة العربية الإسلامية ، وساهم عملياً في ترجمة الكثير من الكتب العسكرية الأوروبية إلى اللغة العربية . اعتقد قبادو أن العلوم الطبيعية والرياضيات التي عرفها العرب المسلمون هي مدار التفوق الذي وصلت إليه أوروبا وتفوقت فيه على العرب وهو أيضاً سبب انحطاط الأمة العربية ، قلا سبيل من رقي الأمة العربية إلا باستعادة نهضتها⁽⁴³⁾ . وعندما احتل الفرنسيون تونس سنة 1881 شكل المفكرون العرب في تونس حركة العروة الوثقى ، وكان من بين أعضائها الأمير عبد القادر الجزائري ، وأصبح جامع الزيتونة مركزاً لشباب هذه الحركة⁽⁴⁴⁾ . وقد كان لتأثير مصر في تشكيل العروة الوثقى في تونس أثره في زيادة الروابط الفكرية عند المفكرين العرب في القطرين . فكانت للكواكبي مثل غيره من المفكرين علاقة قوية بالشيخ محمد السنوسي وبوحاجب⁽⁴⁵⁾ . ومن المفكرين البارزين الذين اتجهوا اتجاهاً قومياً عربياً في تفكيرهم البشير صفر ، فقد تصدى لمحاولات فرنسه ، تونس ، وألقى في سنة 1904 في المؤتمر الثقافي للجمعية الجغرافية محاضرة تحدث فيها (عن تاريخ الجغرافية عند العرب) وقد علقت جريدة الزمان الفرنسية على المحاضرة بقولها (أن لبشير صفر أثبت بجدارته واتساع ثقافته ، أنه لا يوجد فرق بين العربي والفرنسي من حيث الكفاءة والمقدرة .

(43) الطاهر عبد الله ، المصدر السابق ، ص 17 - 18 .

(44) فاضل بن عاشور ، الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، تونس ، 1972 ، ص 59 .

(45) الطاهر عبد الله ، المصدر السابق ، ص 32 .

وعندما دعا بعض الساسة المثقفين الفرنسيين ممن يدعون
الإشترابية للسيطرة على المغرب الأقصى باللين لا بالعنف ، شن
البشير صفر حملات صحفية عليهم في جريدة الحاضرة دفاعاً عن
عروبة الشعب العربي في مراكش⁽⁶⁴⁾ .

أما عن عبد العزيز الثعالبي الذي كان طالباً في جامع الزيتونة
ومعهد الخلدونية والذي أصدر سنة 1895 جريدة (سبيل الرشاد)
فقد كان معجباً بأفكار الكواكبي القومية . وقد أسس حركة تونس
الفتاة سنة 1908⁽⁷⁴⁾ . أي أنها تأسست في الفترة التي تشكلت فيها
الجمعيات العربية السرية في المشرق العربي مثل جمعية العربية
الفتاة (1911) والجمعية القحطانية (1909) والمنتدى الأدبي (صيف
1909) .

لقد تصدت تونس الفتاة إلى محاولات المستعمرين الفرنسيين بث
الدعوة عند الشباب العربي التونسي لتقوية الحضور الفرنسي في
المغرب العربي من خلال مؤتمر عقد في باريس سنة 1908 م
وحول تصدي كل من البشير صفر وخير الله بين مصطفى اللذين
حضر المؤتمر ، لهذه الدعوة ، فقد أكد الأول على عروبة تونس
وكونها جزء من الوطن العربي ، وطالب الثاني بتعريب التعليم ،
 وإنشاء مدارس ابتدائية عربية على غرار المدارس المصرية

(46) المصدر السابق ، ص 36-37 .

(47) محمد يوسف نحلة ، تطور الحركة الوطنية التونسية منذ الاحتلال الفرنسي 1881-1956 ، رسالة ماجستير
مقدمة إلى الجامعة المستنصرية في كانون الثاني 1981 وبإشراف الدكتور محمد مظفر الادهمي ، ص 85 ، ص
104 100 .

والسورية⁽⁸⁴⁾ . وقد كان لهذا التحرك أثره الكبير في تطور الفكر القومي لدى العرب التونسيين ، ففي سنة 1909 صدرت جريدة التونسي بالعربية وترأس تحريرها الشيخ / عبد العزيز الثعالبي⁽⁹⁴⁾ ومنذ ذلك التاريخ انفصلت الحركة الوطنية التونسية نهائياً وتأثير الثعالبي عن الفكر الثقافي الغربي ومعاداة الثقافة الغربية ومن المؤسف له حقاً ، أنه لا توجد إشارات أو دلائل عن العراقة بين أعضاء المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس سنة 1913 وبين العرب التونسيين الذي حضروا مؤتمر باريس سنة 1908 ليدافعوا عن عروبة تونس ، وليؤكدوا من خلال نقاشهم في المؤتمر اطلاعهم على التطور التعليمي والفكري في سوريا ومصر ولهذا الغرض لا بد أن نكون مؤسسو الجمعية العربية الفتاة في باريس (تأسست في باريس سنة 1911 وانتقلت إلى بيروت سنة 1913 وفي السنة التالية إلى دمشق) قد قرأوا وسمعوا عن مؤتمر سنة 1908 من خلال الصحف الفرنسية التي هاجمت البشير صفر وبن مصطفى بسب أفكارهما القومية . أن هذه النقطة تحتاج إلى بحث وتقصي ، لأن فيها من المؤشرات ما يوحى بوجود علاقة بين هذه الحركات السياسية والفكرية العربية .

(84) الطاهر عبد الله ، المصدر السابق ، ص 42 - 43 .

(94) شارل اندرية جوليان ، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي ، تعريب محمد مزالي والبشير بن

سلامة ، تونس (بدون تأريخ) ص 91

إن هذا الإتجاه الفكري العربي عند التونسيين وما صاحبه من مقارنة مشتركة مع الليبيين واتصالات وثيقة مع المصريين ومع حركة المقاومة في الجزائر ، جعلت المقاومة العربية في هذا القطر تتجه اتجاهاً قومياً عبر عنه على باش حانه عندما أعلن بكل صراحة ووضوح عن السير قدماً مع الحركات المناهضة للاستعمار في آسيا وأفريقيا مؤكداً أن الشباب العربي في تونس لن يقطع صلته بماضيه المجيد ولا يمكن أن يتخذ سياسة " تصطدم بالشعور الوطني والقومي الذي تتعاون على خدمته مع الصحافة الوطنية العربية ⁽⁵⁰⁾ . أما عن المغرب الأقصى والذي يطلق عليه حالياً المغرب أو المملكة المغربية ، فإن علاقاته بالمشرق العربي تمتد جذورها إلى العمق ، خصوصاً وأنه لم يخضع للنفوذ الأجنبي إلا فيما بعد ، فعندما تم للسلطان العثماني سليم الأول السيطرة على الشام ومصر والحجاز واليمن ونقل من هذه المناطق احمال الكتب إلى القسطنطينية العاصمة الجديدة غير العربية للدولة العثمانية ، وكسدت سوق اللغة العربية لعدم اهتمام الحكام الجدد فيها فاشترأت أعناق المشاركة إلى المغرب الأقصى وهم يسمعون بأنباء نهوض دولة عربية فيه مستقلة عن النفوذ التركي . وبدأ علماء تلك الأقطار يكتوبون الملوك السعديين ويهدون إليهم مؤلفاتهم ، وهاجر قسم من المفكرين إلى المغرب الأقصى من مكة والمدينة وبيت المقدس . وكان من بين من هاجروا شعراء مشاركة أخذوا يعقدون مناظرات في الشعر مع

(50) الطاهر عبد الله ، المصدر السابق ، ص 47 .

الشعراء المغاربة ، وفي مساجد مراكش والمحمدية التف الطلبة حول هؤلاء الأدباء المشاركة يأخذون عنهم ألوانا أدبية جديدة حيث رأوا فيها صورة حية لأولئك الشعراء الذين طالما أعجبوا بقصائدهم واستشهدوا بأبيات منها في مجال التدريس⁽⁵¹⁾ . إن الدولة السعدية التي تأسست في المغرب الأقصى سنة 1510 وتوسعت لتضم مراكش سنة 1525 التي أصبحت المقر الجديد للدولة السعدية ثم ضمت فاس سنة 1549 ، تمثل نهوضاً قومياً واضحاً يتمسك بالإسلام من خلال العروبة التي أصبحت أيام الخليفة أحمد المنصور السعدي عقيدة الدولة التي توجه سياستها الخارجية . ذلك أن المنصور كان يؤمن بوحدة العرب تحت سلطنة (العربية الهاشمية) والتأكيد على الهاشمية مع العروبة يعني التمسك بنسب الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أي العروبة بتراتها الحضاري في المشرق الذي جسده رسالة الإسلام . وفي توجه أحمد المنصور هذا تحد واضح للسلطة العثمانية التي احتلت المشرق العربي في تلك الفترة وادعت الخلافة لذلك أكد على ضرورة تخليص العرب من الأتراك دون التنصل من الإسلام ، وهو ما حدث بالضبط في المشرق العربي فيما بعد أيام النهضة القومية العربية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عندما تصدى المشاركة لسياسة التتريك العنصري .

(51) د . محمد حجي . الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، المملكة المغربية 1977 ، الجزء الأول ، ص 69 - 70 .

لقد أحكم المنصور صلاته بالمفكرين والفقهاء العرب فاستقدمهم ودعاهم إلى الكتابة عن دولته وأغدق عليهم الأموال والمكافآت ومنهم البكري والقرافي ومصطفى الحنابي والمقري ومحمد أمين الدفترى من مصر والشام والعراق ، كما أرسل الدعاة إلى المشرق بصفة سفراء وتجار وطلاب علم وحجاج ورحالة ، وغير ذلك منهم أحمد بن القاضي وعبد العزيز الثعالبي وأحمد الماسي وأحمد بن عبد الجليل⁽⁵²⁾ . ويقول أحمد بن القاضي أن العرب في المشرق أصبحوا يفخرون بالمولى أحمد المنصور (وصارت العرب في كل مملكة يفخرون بذلك على الترك بهذا الملك العظيم)⁽⁵³⁾ . ويضيف ابن القاضي أن المشاركة كانوا ينتظرون ساعة الخلاص من الحكم التركي على يديه . ولم يعد بعض عرب المشرق يقرّون بشرعية الخلافة العثمانية لأيمانهم أن العثمانيين هم من الممالك والموالي الذي دافع الله بهم عن المسلمين وأن نقلدهم أمور سلطة المسلمين هو أمانة ونيابة يؤيدونها إلى من هم أحق بها وهم العرب الشرفاء الذين هم من نسل الرسول⁽⁵⁴⁾ . وكان الدعاء لأحمد المنصور السعدي هو (أيد الله دولته الطيبة الأعراف ومملكه من

(52) د . عبد الكريم كريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية ، ص 184 – 186 .

(53) أحمد بن القاضي هو الرحالة المغربي الذي كتب عن تدهور الشرق الإسلامي الخاضع للأتراك في كتابه المنتقى المقصور ، وهو مخطوط قام بتحقيقه الأستاذ محمد رزوق (رسالة جامعية غير منشورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب الرباط) . وقد تناول في الصفحة 768 الموضوع أعلاه . وناقش تطلع المشاركة إلى دولة السعديين بقيادة أحمد المنصور في الصفحتين 767- 768 .

(54) د . عبد الكريم كريم ، المصدر السابق ، ص 186 – 187 .

السوس الأقصى إلى أقصى العراق (⁵⁵) . إن شعراء الدولة
 السعدية قد عكسوا تطلعات المنصور السعدي في تأسيس دولة
 عربية موحدة ، خصوصاً وأنه ضم السودان إليه ووصل إلى المناطق
 المتاخمة لحدود مصر التي اعتبرها الباب نحو الشرق ⁽⁶⁵⁾ . وبهذا
 الصدد أنشد الشاعر محمد بن علي الهوزالي قائلاً :
 لن أسلمت أرض الجنوب مقادها
 فعن كذب تلقي مقاليدها مصر
 وتزور وراء العراق فتهدى إليكم
 أعناق العدا خضع صغر
 وتخفق بالوادي المقدس راية
 عليك تهوي فيه الوبة حمر
 وفي قصيدة لعبد العزيز القشتالي قال :
 فأدرك مصر والعراق وبمم
 حرم الحي خير آل
 إن شرق البلاد يرجوك شوقاً
 مثلما يرتجى طلوع الهلال
 وعبر الشاعر الحسن بن أحمد المسيفوي عن المشاعر القومية
 المندفعة المؤمنة بحكم العرب بدلا من الترك وبوحدتهم العربية
 بالقول :
 فما دون درب الشام غير التفاتة

(55) المقري ، روض الاس ، ص 111 .

(56) القشتالي ، مناهل الصفا ، ص 164 .

وما دون بغداد العراق سوى فتر
فلسوف يطوى مغرباً ومشاركاً
ويزور دجلة والفرات بعسكر
وتحل بالحرمين ربعا زاكيا
فأوى الجدل ذي السجايا الطهر
ويؤكد الشاعر على أحمد المسيفوي تطلعات المنصور السعدي
بالقول :
وهذي الشام وهذي العراق

ستمسي لكم وهي دار القرار⁽⁵⁷⁾

ولم تهمل الدولة العلوية في المغرب الأقصى مسيرة
السعديين في مجال العلاقات مع المشرق ، رغم أنها لم تظهر
بالشكل الذي كانت عليه أيام المنصور السعدي ، فقد بقي اتصال
مفكري وعلماء المغرب بالمشرق ، ومنهم ابن سليمان الروداني
وابن الطيب الشرقي ويحيى الشاوي وغيرهم . وفي أيام العلويين
اتجه العديد من أدباء المغرب وعلمائه إلى مصر والحجاز وبلاد
الشام والعراق ، مثل العياشي واليوسفي وأحمد بن ناصر وأحمد
القادري ومحمد الفاسي شيخ الأفراني ومحمد بن الطيب العلمي

(57) لقد أورد الدكتور عبد الكريم كريم في كتابه المغرب في عهد الدولة السعدية هذه الأشعار في هامش صفحة 187 ، من كتابه هذا نقلاً عن كتاب مناهل الصفا للقشالي المنشورة فيه في الصفحات (142 ، 157 ، 159 ، 161) .

(85) وتذكر المصادر أن المشاركة كانوا ملمين ببعض العلوم غير المتداولة بالمغرب ، لذلك اتجه التاودي والزيادي إلى المشرق وطال مكوثهما هناك ، بل إن عبد القادر الكوهن مكث في المدينة ومات فيها (95) ، وشبه المؤرخون والرحالة المغاربة مدينة فاس بدمشق ، والرباط بالاسكندرية ومركش ببغداد ، واقتبس المغاربة أسماء بعض مدن المشرق مثل (البصرة) . وتوثقت أيام دولة العلويين روابط الدول التجارية وطرق المواصلات بين بغداد وتخوم الصحراء المغربية ، فكانت سجل ماسة مهبط القوافل العربية المنحدرة من البصرة والكوفة وماوى التجار المشاركة عموماً الذين يتوافدون للاستقرار في اكنافها . وبكفي أن تتصفح بعض مصنفات هذه الفترة لنلمس حيوية الروابط التي كانت قائمة بين المشرق العربي والبادية المغربية (96) . إن هذه الصلات قد سهلت وصول بعض دعوات المشرق الفكرية ، ومنها الدعوة الوهابية فتذكر بعض المصادر أن التصانيف الصوفية في المغرب الأقصى قد تقلصت أثر ظهور الحركة الوهابية التي أثارت موجة من النقاش عندما وصل

(58) عبد العزيز بن عبد الله " الحركة الفكرية في العهد العلوي " الجزء الأول مجلة رسالة المغرب الرباط ، نوفمبر 1951 ،

ص 12 - 13 .

(59) عبد العزيز بن عبد الله " الحركة الفكرية في العهد العلوي ، الجزء الثاني مجلة رسالة المغرب ، الرباط ، دجنبر 1951

، ص 19 ،

(60) عبد العزيز بن عبد الله " رسالة الحضارة المغربية " مجلة رسالة المغرب ، الرباط عشت 1952 ، ص 27 .

استفتاء ابن سعود إلى علماء فاس⁽⁶¹⁾ المدينة التي أصبحت مركزاً للعلويين بدلاً من مراكش السعديين ، ولا بد من الإشارة أخيراً إلى ما ذكره أبو العباس أحمد التيجاني من المغرب الأقصى من أن النهضة العربية التي ظهرت في المغرب في أوائل هذا القرن ، تعود إلى اطلاع المغاربة على الفكر المشرقي من خلال المقالات والصحف والمجلات والمؤلفات ، مثل صحيفة اللواء والعروة الوثقى وأم القرى وشعر البارودي وحافظ وعبد الله النديم⁽⁶²⁾ . أما عن ليبيا التي تفاعلت مع أحداث المشرق والمغرب العربيين ، فإن أول تجربة تنظيمية تمثل اليقظة العربية الحديثة فيها قد ظهرت بعد احتلال البريطانيين لمصر سنة 1882 ، وكانت وثيقة الصلة باليقظة العربية الحديثة في الأجزاء العربية الأخرى ، وقد دعت هذه الجمعية السرية إلى مقاومة الأطماع الفرنسية في تونس والجزائر ، وأكدت على ضرورة التعليم باللغة العربية ، كما نبهت أعضائها إلى أهمية الدفاع عن (الوطن واللغة والجنس والدين) وكان من أبرز أعضائها أحمد النائب وحمزة الدين وإبراهيم سراج الدين ، وهذا الأخير أصدر جريدة أسماها (الحجان)⁽⁶³⁾ . ولا شك أن مقاومة عمر المختار فيما

(61) عبد العزيز بن عبد الله " الحركة الفكرية في العهد العلوي " الجزء الثاني ، مجلة رسالة المغرب ، ص 20 .

(62) أنور الجندي ، المصدر السابق ، ص 107 .

(63) بدايات القضية العربية والنضال الشعبي في ليبيا 1882 – 1911 ، وقائع محاكمة أو تنظيم سياسي في ليبيا ،

أعداد وتقديم د. أحمد

صدقي الدجاني ، بيروت 1977 ، ص 13 – 17 .

بعد تمثل رمزاً بارزاً للإجماع العربي في تأييدها وفي توجهاتها العربية .

إن النتيجة التي تخرج بها من هذا البحث هي أن التدهور السياسي الذي شهدته الأمة بعد سقوط بغداد في المشرق العربي قد ساد الوطن العربي كله ، ولأن دولة الموحدين في المغرب العربي الكبير قد سقطت وتمزقت في الفترة نفسها من جانب آخر فإن الغزو الأجنبي الذي أعقب عملية التدهور السياسي لم يستهدف المغرب العربي لوحده ، كما أنه لم يقصد المشرق العربي فقط ، بل كان جزءاً من مخطط استهدف احتلال الوطن العربي بأكمله نظراً لأهميته الاستراتيجية المتعلقة بالترابط الجيوبوليتكي بين المغرب والمشرق ، فإذا كان المغرب قد شهد غزوات أوروبية باسم المسيحية والتعصب الديني مما تطلب التأكيد على الروح الإسلامية - فإن ذلك لا يعني ابتعاداً عن العروبة التي تمثل مع الإسلام التراث المشرقي الذي استلهم منه المغاربة العزيمة والقوة ، لهذا كان ذكر العرب يعني ذكر الإسلام ولا ينسى المغاربة عند ذكر الإسلام أن مادته هم أجدادهم وآباؤهم العرب أما عن المشرق فإن الغزوات الأجنبية التي استهدفتها متخذة من الإسلام برقعاً لفرض نزعاتها العنصرية استوجبت من المشاركة التأكيد على العروبة - التي فهموها على أنها لا تعني شيئاً بدون الإسلام ، لأنهما ركنا الحضارة وأساسها ومادة التراث الشرقي ، وعليه فإن ذكر العروبة يقترن بذكر الرسول العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي يمثل كل

العرب من خلال دعوته السياسية التي جسدت مبادئ العرب الإنسانية . وإن الحديث عن العرب لا ينفصم عن تراثهم الإسلامى الشرقى . وهذا الشعور ليس وليد العصور الحديثة من تأريخنا ، بل هو امتداد لمواقف عاشها العرب منذ أن بدأت الأقوام الأجنبية تحاول تمزيق وحدتهم ودولتهم العربية الإسلامية من خلال دخولها الإسلام . والأمثلة كثيرة على هذا ومن أبرزها الحركة الشعوية الفارسية وحركات الأتراك والبويهيين والسلاجقة الذين كانوا من العوامل الأساسية فى سقوط الدولة العربية الإسلامية سنة 1258 م . وبعد سقوط هذه الدولة وسيادة العناصر الأعجمية الغازية على العرب ، مارس المغول الاضطهاد ضد العرب وغيرهم من أقليات الوطن العربى ، إن هذا القمع الأجنبى . فى الشرق العربى عبر التاريخ هو الذى أفرز فى النهاية الثورة العربية الكبرى سنة 1916 ضد الأتراك العثمانيين ، والتي رفع لواءها الشريف حسين . ولهذا فإن هذه الثورة تمثل انتفاضة عربية إسلامية لاسترداد حق مشروع لا يمكن للإسلام أن يقوى ويحافظ على مبادئه بدونه، وهو حق العروبة فى كونها مادة الإسلام الأساسية.

وأخيراً فإنه رغم الأمتداد الواسع للوطن العربى والخصوصية التى تميزت بها كل منطقة عن الأخرى ، فقد كانت هناك صلات وثيقة جسدت وحدة حركة التاريخ فى الوطن العربى والتى تشهد نتائجها الواضحة فى عصرنا الحاضر .

٧٦

مبادئ ومنطلقات لبناء

مدرسة عربية في فهم تاريخنا وكتابته

تعتبر كتابة التاريخ وتدوينه واحدة من المهام الصعبة والخطيرة لأهمية التاريخ كعامل أساسي في بناء مستقبل الأمم والشعوب ، وتكتسب هذه الأهمية خصوصيتها لدى الأمة العربية التي تكونت بفعل موجات بشرية جزيرية سكنت وتحركت ضمن أرض جغرافية محددة وتخطبت بلغات متشابهة تبلورت بلغة واحدة هي اللغة العربية، تمثلت أرثا حضارياً عربياً يمتد في عمقه إلى بدء الخليقة والتدوين وبناء أولى الحضارات في العالم . لذلك أندفع المؤرخون والباحثون لسبر غور تاريخ هذه الأمة واستجلاء مكوناته الحضارية الدفينة ، فتعددت الآراء والمنطلقات والمناهج في النظرة إلى هذا التاريخ ، وتشعبت وجهات نظر المؤرخين الأوروبيين والمستشرقين مما كان له أثره على بعض نتائج كتابة التاريخ عند الباحثين العرب ، وكان للتجزئة السياسية والتيارات الفكرية والسياسة المتباينة التي خلقتها ظروف الحرب العالمية الأولى في الوطن العربي فعلها في ضياع وحدة الحد الأدنى للفهم المشترك لأسس كتابة التاريخ العربي .

ومع تعاقب نكبات الأمة ونكساتها وتعرضها للأخطار التي

تستهدف تشويهه وطمس هويته العربية، فقد وجد العديد من

المؤرخين العرب ضرورة كتابة التاريخ العربي برؤية جديدة بعيدة عن آثار الأقلام الأجنبية التي عشت بتأريخنا. كما نظر مؤرخون آخرون من زاوية ثانية ووجدوا أن الأمة مهما بدا فيها من تعرجات التحديات الخارجية ومحن التمزق الذي تفعله سياسات عالمية كثيرة ، فإن هذه الأمة تعيش نهضة شاملة ، والواجب القومي يحتم علينا الكشف عن حقيقتنا التاريخية الأصلية ، ومن هنا تبدو الحاجة ملحة إلى رؤية جديدة أو لقراءة جديدة لتاريخنا العربي .

وهكذا يتفق الجميع على أهمية الوعي التاريخي كمقوم وعامل موحد للعرب في أزماتهم (فحين تتعرض أمة لخطر فادح فهي ترجع إلى الوراء لتبحث عن ذاتها بنظرة نقدية ، وإنني أرى - كما يقول الدكتور / محمد أنيس - إن الأمة العربية تتعرض لأشد الأخطار الداخلية وخارجية)⁽¹⁾

ويؤكد الدكتور ، أحمد صدقي الدجاني هذا الرأي بالقول : " إن الأمة حين تمر بأزمات تستشعر أهمية الوعي التاريخي لأن تتبع مسار حوار التاريخ مع تحليل الواقع القائم هو الذي يمكننا من صنع المستقبل ")⁽²⁾

إن هذا لا يعني أن الجميع قد اتفقوا على هذا المسار أو ذاك في إيجاد خطوط يتفق عليها لكتابة التاريخ العربي ، فهناك من يرى أن

(1) محمد أنيس، " نحو رؤية جديدة لتاريخ العرب الحديث " (ندوة) مجلة المستقبل العربي، 1979، 7، ص169.

(2) أحمد صدقي الدجاني ، المصدر السابق ، ص170.

لا ضرورة لإعادة كتابة التاريخ ، ودعا هذا الفريق إلى الاستمرار في كتاباته التاريخية بعيداً عن (تأطير) تأريخنا العربي بأطر معينة⁽³⁾ ووجد آخرون أن التأريخ الغابر قد كتب وانتهى والمشكلة في المعاصر⁽⁴⁾. في حين وجد الماركسيون في التفسير المادي الطبقي للتاريخ وسيلتهم الوحيدة لفهم التاريخ العربي ، كما رأى مؤرخون ماديون آخرون في التفسير الطبقي (الكلاسيكي) خطراً في بحث تأريخ الأمة العربية ، في وقت فهموا القومية العربية من خلال فهمهم لتطور القومية الأوربية وما ارتبط بها من مبادئ رأسمالية أو برجوازية أو عنصرية⁽⁵⁾.

ولما كان التأريخ أداة هامة في استنهاض الأمة فقد شدد بعض المؤرخين اليهود والصهاينة على أن التاريخ مادة خطيرة لأنه مجموعة من الدماء والأحقاد والعداوات والحروب ، وقد تجسد هذا الفهم عند " ستيفلن زفايج " في كتابة آخر الرسائل⁽⁶⁾. ناهيك عن المناهج التي انطلقت من الطائفية والإقليمية والعنصرية وسيلة لتفسير التاريخ العربي . ولعل أشهر تلك المدارس مدرسة " أيلي خضوري " الأستاذ في جامعة لندن صاحب كتاب :

The Chatham House Version

(3) عبد الغني حسن " إعادة كتابة التاريخ العربي القومي " . استفتاء مجلة المعرفة ص 147 .

(4) ظافر ألقاسمي، المصدر السابق، ص 130-131.

(5) نزيه أبو نضال " مدخل نحو قراءة مادية للتاريخ العربي " . قضايا عربية، 1979. العدد الأول من السنة

السادسة ص 63-75 . انظر أيضاً ياسين الحافظ في المعرفة ص 82-89.

(6) ظافر ألقاسمي، المصدر السابق، ص 128.

لقد عقدت ندوات متعددة في أقطار عربية مختلفة لمناقشة إشكالية كتابة التاريخ العربي من جديد.

وقد حاول المؤرخون والباحثون في هذه الندوات تشخيص السليبات والأسباب التي تدعو إلى نظرة جديدة في كتابة التاريخ العربي واقتروا حلولاً لها. وسنحاول هنا إجمال ومناقشة معظم تلك الآراء والمنطلقات التي نعتقد بها لاقتراح أسس مدرسة عربية لفهم التاريخ العربي وقراءته من جديد : أجمعت الآراء على أن أحد أهم أسباب تشتت الكتابة التاريخية عند العرب هو الإقليمية في الكتابة⁽⁷⁾ ، أو إقليمية التأريخ كما دعاها البعض⁽⁸⁾، أي القطرية وهي بالتأكيد غير الوطنية⁽⁹⁾ التي نسميها (الخصوصية) وهي نقيض الإقليمية أو القطرية بمعناها المباشر والضيق ، فالإقليمية إضافة إلى نزعتها التجزئية قد تجاوزت في الكتابة التاريخية إلى ظاهرة تجزؤ التأريخ الوطني نفسه وعدم ترابطه⁽¹⁰⁾.

كما كان للإقليمية والقطرية التي ولدتها التجزئة في التاريخ الحديث والمعاصر انعكاساتها في دراسة التأريخ العربي الإسلامي رغم أنه تأريخ مشترك ومتداخل . ولما كان للتأريخ أهميته في توجيه الناشئة وعموم المواطنين فإن الكتب المدرسية تلعب دوراً خطيراً

(7) خيرية قاسمية " نحو رؤية جديدة لتأريخ العرب الحديث (ندوة) مجلة المستقبل العربي ، 1979، 7، ص 171 .

(8) إبراهيم عكاشة، المصدر السابق، ص 171.

(9) أحمد صدقي الدجاني ، المصدر السابق ، ص 171 .

(10) وداد القاضي وطارق البشري " التأريخ العربي: كيف نقرأه؟ كيف نكتبه؟ العربي، قبل العربي، 1981، 25، ص 135-137.

في تعزيز الإقليمية في أقطار عديدة من الوطن العربي⁽¹¹⁾ ، كما أن المواطن العربي يتعرض في عصر الثورة التقنية هذا للمؤثرات الإعلامية ضمن كيانات سياسية منفصلة يحاول كل منها أن يصطنع مبررات هويته المميزة دون وعي بهذه الإنزلاقات الخطيرة التي تهمل الجانب العربي الإسلامي .

ولا يعني هذا بالتأكيد محاولة منا للاعتراض على إصدار كتب تخص قطراً عربياً أو آخر ، لكن الاعتراض هو أن لا يظهر القطر وكأنه منفصل عما حوله فتبدو الحدود المصطنعة طبيعية بمعنى أن التاريخ الوطني يجب أن لا يشكل انفصالا عن التاريخ القومي ، بل يعزز تماسك تاريخ الأمة قومياً ما دام ينطلق من مبدأ التلاحم الوطني ضمن إطار التلاحم القومي ومن حقائق تاريخية، وتلك هي النظرة القومية الشاملة كما يسميها الدجاني وقاسمية⁽²¹⁾ ، أو النظرة الأفقية الشاملة كما نسميها ، والتي تتجاوز الحدود السياسية الطارئة على الوطن العربي وتراعي في الوقت نفسه الخصوصية الوطنية ، على أن لا تكونه تلك النظرية تجميعية تراكمية وإنما تفاعلية ضمن حركة تاريخ الأمة ووقائعه الحقيقية دون تزوير ، أما إذا كان للخصائص سبب في اختلاف بعض الأنماط الاجتماعية والسياسية فإن هذا التمايز لا يفقد الأمة طبيعتها الشمولية وحركة تأريخها الواحدة .

(11) إلياس مرقص و الحبيب الجناحي، المصدر السابق ، ص133-136 .

(12) ندوة نحو رؤية جديدة لتأريخ العرب الحديث، مجلة المستقبل العربي، 1979، ص 171-173.

إن الشواخص الجغرافية تحدد وبشكل واضح الحدود الطبيعية للوطن العربي وتبين في الوقت نفسه الأهمية الإستراتيجية لموقعة وسط خارطة العالم ولذلك جاءت أحداثه مترابطة مع بعضها عبر الزمن ، فقد نمت على أرضه حضارات آشور وبابل وأكد وسبأ وحمير وتدمر والأنباط والحضر و الفينيقيين ومصر والمغرب ، تلك الحضارات التي شيدتها الموجات البشرية التي خرجت من الجزيرة العربية والتي انصهرت في بوتقة العروبة والإسلام فيما بعد لتوحيدها لغة الضاد .

من جانب آخر فإن استهداف الأعداء للوطن العربي عبر التاريخ لم يكن يقتصر على جزء منه دون الآخر بسبب ترابطه حضارياً وبشرياً. وكان الأعداء يهاجمون أطرافه الشرقية والغربية والشمالية ليتوغلوا داخل الوطن العربي بهدف السيطرة عليه بدعوى مختلفة.

إن هذه الحالة قد جعلت من مقاومة الشعب العربي لتلك الغزوات تأخذ شكل هبة واحدة ، وخير مثال على ذلك المقاومة العربية للحركة الاستعمارية الحديثة التي أعقبت الثورة الصناعية في أوروبا ، والتي احتلت الوطن بأكمله خلال الفترة 1830- 1918⁽¹³⁾ باستثناء الخليج العربي الذي تغلغل فيه الأوروبيون المستعمرون منذ القرن السادس عشر مع ما يعرف بحركة الكشوف الجغرافية. لقد

(13) محمد مظفر الأدهمي " وحدة حركة تاريخ الوطن العربي بين مغربة ومشركة في التاريخ الحديث ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء العدد الأول ، 1984 ، ص 34-9 .

كانت المقاومة العربية لهذه الهجمة شاملة أيضاً⁽⁴¹⁾ مثلما كانت عليه بعد الحرب العالمية الأولى عندما شهدت سنوات العشرينات من هذا القرن موجة من الثورات العربية ضد الغدر البريطاني والفرنسي ، وضد السيطرة الأجنبية في الوطن العربي . ولا شك أن الشعور بوحدة المصير يلعب دوره في شمولية حركة التاريخ العربي ووحدته.

إن هذه الهجمة الاستعمارية الحديثة قد جزأت كما هو معروف الوطن العربي سياسياً وتحاول اليوم أن تجزئ التجزئة بمحاولات تفتيت الوطن العربي طائفيًا وعنصريًا وعرقياً ، وقد انعكس ذلك في مناهج معظم المؤرخين الأوروبيين وخصوصاً المستشرقين منهم ، لأن كثيراً منهم كانوا متأثرين بما حولهم من الأوضاع والنظم وبالأفكار الذي تسود الدراسات التاريخية الأوروبية⁽⁵¹⁾ فكان هدفهم استخدام التاريخ بشكل مشوه لخدمة أغراض معينة ، وليس الوصول إلى الحقيقة التاريخية التي تتناقض مع أهدافهم .

ولقد تأثر بعض المؤرخين العرب من دون وعي بتلك الكتابات التاريخية ووصل تأثير الغرب إلى درجة تجاوز أفكار المستشرقين والتمسك بمنهج التاريخ التي أفرزها التطور التاريخي للواقع الغربي الحديث مثل المنهج الماركسي أو كما يطلق عليه البعض المنهج

(14) د. محمد مظفر الادهمي : "منهج جديد في دراسة القومية العربية الحديثة مع محاولة لتحديد مراحل التاريخ الحديث " مجلة الفكر العربي المعاصر ، آب / أيلول 1981 ، ص 62- 76 .

(15) د. صالح أحمد العلي ، " حول إعادة كتابة التاريخ العربي " مجلة الباحث ، شباط 1981 ، ص 43 .

المادي الجدلي في محاولة الربط بين الواقع العربي والمنهج الشيوعي في كتابة التاريخ .

ومن الملاحظ أن أغلب المؤرخين العرب الذين أدلوا بدلوهم بشأن إعادة كتابة التاريخ قد رفضوا النظريات الجاهزة التي لا تتسجم مع واقع التاريخ العربي وحقائقه. إلا أن هذا الرفض قد دفع في الوقت نفسه إلى تحاشي وتجنب صياغة منهج بحث علمي نابع من فلسفة الواقع العربي وتحليله بدعوى رفض (مذهبه التاريخ)⁽⁶¹⁾ . في حين أن رفض مذهبه التاريخ لا يعني عرض الحقائق التاريخية بشكل مطلق دون رأي أو نقاش كما هو حاصل في المدرسة الانكليزية⁽⁷¹⁾ ، ذلك أن الواقع العربي يواجه تحديات متعددة تتطلب منه التصدي لها ، وكتابة التاريخ يجب أن تكون في خدمة هذا التصدي دون تغريط بالحقيقة التاريخية أو فرض نظريات أو مذاهب معينة أو قولبة التاريخ في إطار خاص لا ينسجم مع واقع الأمة العربية .

إن التصدي في حد ذاته هو جزء من تأريخ هذه الأمة وعمقها الحضاري ، وعليه فإن تحرير التأريخ من السطحية وتخليصه من فقدان الوعي الذاتي ، وإظهار الإتجاهات الإنسانية الأصيلة واستحضار أحداثه المشرقة هي حالة صحية توفر للأمة العربية القدرة على التصدي والإعتزاز بالنفس باتجاه توظيف طاقاتها نحو

(16) إعادة كتابة التاريخ القومي العربي، الجزء الثاني، مجلة المعرفة، ص 90- 91.

(17) ادوارد كار ، "ما هو التاريخ " ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل ، كانون الثاني ، 1980 ، ص 20 - 21 .

التطور والوحدة . والعودة إلى التاريخ المشرق واستحضاره هي ليست حالة سلفية أو غيبية أو مادية ، وإنما هي كتابة التاريخ برؤية عربية ترتبط بواقع الأمة وتطوره التاريخي ، ولا تمثل حالة قسرية أو فروق منهجية بعيدة عن الواقع ، خصوصاً إذا كانت هذه الرؤيا نابعة من إدراك الواقع ذاته بنظرة أفقية شاملة تراعي فيها الخصوصية الوطنية التي تنطوي تحت خيمة العروبة .

وعليه فلا خوف من انحراف كتابة التاريخ العربي على أساس قومي باتجاهات عصرية كما حدث في التاريخ القومي لأوروبا، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الظروف الموضوعية لتطور القومية التي هي غير الظروف الأوروبية.

إننا في هذا الحال لا نستخدم التاريخ العربي بهدف معين وإنما نفسره من خلال أحداثه المترابطة وضمن رقعة جغرافية واضحة وواحدة وبنظرة نقدية علمية وليست سردية ، وبإبعاد حضارة إنسانية ، إلا أن هذه الدعوة تحتاج إلى نقاش وأدلة تاريخية للوصول إلى مدرسة عربية موحدة في كتابة التاريخ . أو في الحد الأدنى الاتفاق على أسس تلك المدرسة لكي نوقف حالة التشتت والقطرية والمناهج الأجنبية التي لا تتلاءم مع تطور تاريخ الأمة ، ولعل أول تلك الأسس ما عبر عنه أحد المؤرخين في الحوار الذي أجرته مجلة المعرفة حول كتابة التاريخ العربي بالقول أن أهم خطوة هي إيجاد " تاريخ عربي متلاحم " ⁽¹⁸⁾ أو كما عبر عن ذلك

(18) سليمان الحنش، " إعادة كتابة التاريخ القومي العربي، الجزء الأول، مجلة المعرفة، ص 18 – 39.

أنور الرفاعي بالحاجة إلى وحدة التاريخ التي يجب أن تكون هدف وأساس عمل كل من يتصدى لإعادة كتابة التاريخ⁽¹⁹⁾.

إن كلمة " التلاحم " أو عبارة " وحدة التاريخ " لا تكفي لتوضيح المطلوب في استخدام هذه العبارة ، لأن هناك اتجاهين في تاريخ العرب المتلاحم ، الأول أفقي ينظر إلى الوطن العربي بشكل شامل ، والثاني عمودي ينظر إلى التأريخ من أعماقه ، ولا يفصل الاتجاهان بل يتلاحمان ويتوحدان . ومن هذا المنطلق يمكن أن نقول أنه تاريخ (أصيل متواصل) أي أن نضع مبدأ الأصالة والتواصل في النظرة إلى تأريخ الأمة ، وهو الشيء الذي يريد أن يصل إليه الأخوة المؤرخون العرب الذين استخدموا كلمة التلاحم أو عبارة وحدة التاريخ وما إلى ذلك .

ومعنى هذا التأكيد على تواصل العطاء الحضاري وأصالته عند الأمة العربية . لكن كتابة التاريخ عندنا لا تقدم دلائل واضحة عن هذا التواصل ، بل تتوقف عند محطات تسميها بالانقطاع الحضاري أو الانحطاط أو الفترات المظلمة مما أوجد فواصل زمنية لا تبرز وحدة التاريخ وتسلسله معتمدة في ذلك على أحداث جزئية لم تشمل الوطن العربي كله ، فقد أشر المؤرخون عموماً سقوط بابل وآشور في القرن السادس قبل الميلاد ، وحتى قيام الدولة العربية الإسلامية بظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي على أنها فترة ركود لدى الأمة بسبب التعرض للغزو الأجنبي ، وكذلك الفترة التي

(19) أنور الرفاعي ، المصدر السابق ، ص 124 - 125 .

أعقبت سقوط العباسيين ، والموحدين في القرن الثالث عشر الميلادي على أنها فترة تفكك الأمة العربية وتدهورها لكنهم غفلوا أنه لم يحدث قط إن سيطر الغزو الأجنبي على جميع الأرض العربية ولم يحدث مطلقاً أن ضمت دولة غير الدولة العربية الإسلامية جميع أجزاء الوطن العربي ، وإذا كان العراق وبلاد الشام ومصر أكثر مناطق الوطن العربي تعرضاً للغزو الأجنبي ، فإن الجزيرة العربية ككل لم تخضع قط لسيطرة دولة أجنبية. من جانب آخر فإن الغزوات الأجنبية التي تعرضت لها الأمة العربية (أطرافها) كانت مؤقتة ولم تفلح أية واحدة منها في البقاء مدة طويلة تكفي لتشويه المعالم الحضارية للأمة العربية)⁰² .

فغزو الفرنجة للوطن العربي، والمعروف بالغزوات الصليبية حسب تعبير الأوروبيين إنما كان محصوراً في رقعة جغرافية محددة لم تشكل أكثر من مدن قليلة من الجزيرة العربية وسواحل بلاد الشام وفلسطين وبعض الأردن.

وهناك من يعتبر تقدم المغول ودخولهم بغداد حداً فاصلاً بين سيطرة العرب وزوالها ، وبين الحضارة وانضمامها . يقول الدكتور / صالح أحمد العلي إن هذه الآراء تتطلب الفحص والتأمل لأن السيادة العربية ظلت فاعلة حية في الجناح الغربي من الوطن العربي الذي شهد ازدهاراً حضارياً بجوانبه المادية والفكرية ، إلى جانب ذلك فإن وجود المغول لم يبلغ الأسس القديمة للثقافة

(20) د. صالح أحمد العلي " حول إعادة كتابة التاريخ العربي " الباحث ، شباط ، 1981 ، ص 40 .

والحضارة واللغة التي ظلت حية قائمة فدان لها المغول أنفسهم وأخذوها فكانت العامل الأكبر في بقائهم وتقدمهم نحو الهند وفي بلاد القرم .

وهكذا فإن عناصر الوحدة في الحضارة العربية بقيت صامدة حية ، وكانت بالرغم من كل الظروف من القوة بحث استطاعت أن تخضع لها الغزاة وغم ما لهم من قوة عسكرية⁽²¹⁾. إن هذا لا يعني أن التفاعل الإنساني للأمة العربية مع الأمم الأخرى كان معدوماً فالأصالة والتواصل صفتان إنسانيتان ، لكنهما يؤكدان أن التفاعل لا يعني الانقياد وضياع الهوية ومقومات التواصل ، وتلك مسألة أهملها العديد من المستشرقين والباحثين العرب حين حاولوا إثبات أن العرب المسلمين قد اعتمدوا في عطاءاتهم الحضارية على الفكر الفارسي والإغريقي ، وإن الفكر العربي قائم على هاتين الدعامتين لأن العرب المسلمين كانوا نقلة حرفين . في حين تقول الحقائق التاريخية إن ما كان للفرس من ثقافة قليل جداً لم يتجاوز عدداً محدوداً من النقوش ، وقد خص ابن النديم في كتابه الفهرست الثقافة الفارسية بفصل ذكر فيه خمسة كتب فقط وهي (خدای نامه) أي سير الملوك في التأريخ و (جاء نامه) و (وایین نامه) في نظام التشريعات ووصايا بعض الملوك و (هزار آمانه) وکلیله ودمنه وهو كتاب هندي الأصل⁽²²⁾ . فكيف يمكن

(21) المصدر السابق، ص 29.

(22) المصدر السابق، ص 33.

أن يكون لهذا العدد اليسير من الكتب تأثير في الثقافة العربية ، ولم يصلنا حتى القرن الرابع الهجري إلا أبيات قليلة لا تتجاوز الصفحتين من الشعر الفارسي .

أما عن صلة العرب المسلمين بالفكر الإغريقي فإن العرب لم يضموا أقاليم ذات لغة إغريقية ولذلك كانت منابع الفكر الإغريقي بعيدة عنهم.

إن من معالم الفخر للعرب أنهم حفظوا كثير من جوانب التراث اليوناني - الإغريقي وعرفوه للناس وللأوروبيين فكان له الأثر الكبير في نهضة أوروبا في القرن السادس عشر⁽³²⁾ . لكن السؤال الذي يفرض نفسه هو ما هي مكانة الثقافة الإغريقية في بناء الفكر العربي الذي تركز على الجوانب الدينية والإنسانية ؟ وتتجلى المبالغة في أثر اليونان من ملاحظة حقيقة مهمة وهي أن الحركة الفكرية في صدر الإسلام تركزت في مدن لم يكن للثقافة اليونانية أثر فيها وهي المدينة والكوفة والبصرة ، ثم بغداد ونيسابور⁽⁴²⁾ .

إن التأكيد على هذا الجانب لا يعني التعصب ، وإنما لتأكيد عراقية وأصالة حضارة الأمة العربية وتواصلها وعدم انقطاعها عمودياً وأفقياً عبر التاريخ .

إن موضوع الأصالة والتواصل في تاريخ الأمة العربية يسحبنا إلى جانب مهم آخر كان له تأثيره في تشتت كتابة التاريخ العربي بين

(23) محمد مظفر الادهمي ، دراسات في تاريخ أوروبا الحديث ، الرباط ، 1984 ، ص 15 ، 18 .

(24) د . صالح أحمد العلي ، المصدر السابق ، ص 35 .

جناحي الوطن العربي ، مغربة ومشرقه ، ذلك هو مفهوم العروبة والإسلام والترابط بينهما وأثر الأحداث التاريخية وطبيعتها الجغرافية والبشرية في فهم تلك العلاقة سلباً أم إيجاباً ، خصوصاً في فهم تطور التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، فقد كان لطبيعة الصدام وعملية التحدي الأجنبي والتصدي لها الأثر الكبير في تعدد مناهج كتابة التاريخ العربي في المغرب العربي عنه في المشرق العربي .

فالمواجهة بعد سقوط الأندلس كانت في المغرب العربي الكبير مع الغرب الأوروبي الذي تلبس بالدين المسيحي رداء لتجميع الأوروبيين من أجل غزو الجناح الغربي للوطن العربي. وكان لا بد من التأكيد على الجهاد والإسلام في التصدي لذلك التحدي.

أما الجناح الشرقي، فقد كان الدين أيضاً رداء الأجنبي لغزوه، لكنه كان الإسلام بلباس طائفي أو عنصري، ولهذا كان لا بد من التأكيد على العروبة لجمع الشمل والتصدي لحماية الهوية العربية والإسلام بمبادئه العربية الصحيحة. لقد أراد الكثير من المؤرخين الأوروبيين لهذا الموضوع أن يكون حالة تمايز وتناقض وليس حالة الخصوصية الوطنية والظرف التاريخي وطبيعة المواجهة. في حين أن النظرة الأفقية الشاملة تبين أنه لم يكن هناك تناقض وتفاوت في الفكر والهدف . فالهجمة على الوطن العربي كانت شاملة، والتصدي والمقاومة كانت شاملة أيضاً لكن الأسلوب والتعبير اختلفا. كل حسب واقعه وظروفه فلم يجد العرب في المشرق في العروبة حياة بدون الإسلام ، ولم يفكر العرب في المغرب بالإسلام مجرداً عن العروبة

، بل أن التأكيد على الجهاد والحركات الصوفية لم تمنع من أن يعبر الفكر القومي العربي في المغرب الأقصى عن نفسه بشكل واضح قبل المشرق العربي ، ففي القرن السادس عشر أيام الدولة السعدية اتجهت سياسة الدولة زمن أحمد المنصور السعدي إلى الدعوة لوحدة العرب تحت سلطته (العربية الهاشمية) ووجد في سلطة العثمانيين الأتراك على الوطن العربي أمراً غير طبعي ، ولذلك يقول المؤرخ أحمد بن القاضي " وصارت العرب في كل مملكة يفخرون بذلك على الترك بهذا الملك العظيم " ⁵² . ويضيف ابن القاضي " ولم يعد بعض عرب المشرق يقرون بشرعية الخلافة العثمانية لإيمانهم أن العثمانيين هم من الممالك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين ، وإن تقلدهم أمور سلطة المسلمين هو أمانه ونيابة يؤدونها إلى من هم أحق بها وهم العرب الشرفاء الذين هم من نسل الرسول "

وكان الدعاء لأحمد المنصور السعدي :

" أيد الله دولته الطيبة الأعراف وملكه من السوس الأقصى إلى أقصى العراق " ⁶² .

(25) أحمد بن القاضي ، المنتقى المقصور ، مخطوط قام بتحقيقه الأستاذ محمد رزوق (رسالة ما جستير غير منشورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط) والمخطوط يتناول تدهور المشرق العربي الخاضع للأتراك .

(26) د . عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، الدار البيضاء، 1978، ص 186-187.

وصار الشعراء ينشدون القصائد القومية في بلاط المنصور ،
تلك القصائد التي عبرت عن المشاعر العربية القومية التي تؤكد
ترابط العروبة بالإسلام .

إن النظرة إلى العروبة والإسلام من منطلق أفقي شامل لا
تخلق حالة التناقض بين الاثنين لأنه لا إسلام بدون العروبة ولا
عروبة بدون الإسلام حضارة وثقافة. لكن النظرة التجزئية أو
القطرية أو الاتجاهات الطائفية أو القومية المجردة ، أو المدارس
الغربية أو الماركسية أو الصهيونية هي التي تحاول إيجاد الحاجز بين
التوأمين ، فالعرب في الجناح الشرقي للوطن العربي تعاملوا مع
الإسلام من خلال العروبة لأن العروبة هي الأرضية الصلبة لمبادئ
الإسلام وحضارته . وفي الجناح الغربي يلتقي الإسلام بالعروبة في
جوانبها التاريخية ، كما يقول عبد العاطي محمد أحمد ، كإطارين
فكرين يعبران عن نسقين متميزين لا منفصلين أو متناقضين للقيم
والشعارات⁽²⁸⁾ . لذلك كان عبد القادر الجزائري في نظر المؤرخين
الأوروبيين بطلاً للاستقلال والقومية العربية في الجزائر والممثل
البارز للعروبة ، وقد أهدته فرنسا سنة 1860 وساماً لدوره في
حماية آلاف المسيحيين أثناء مذابح الستين في لبنان ، وقد جاء فيه "
إلى أمير شمال أفريقيا ، والمدافع عن القومية العربية وحامي
المسيحيين المضطهدين " . ولم يتردد محمد عبد الكريم الخطابي

(28) عبد العاطي محمد أحمد " الإسلام والعروبة في المغرب العربي " مجلة قضايا عربية ، حزيران 1979 ،
ص 262 .

في المغرب الأقصى والبشير صفر في تونس ، وأبناء الخلدونية في أعلاء شأن العروبة . ويمكن القول أن الإسلام كان عنصر أساسياً في تكوين الإدراك القومي في المغرب العربي بسبب طبيعة المتغيرات في حركة التصدي الثقافية والسياسية للاستعمار الأجنبي والتي استهدفت طمس الهوية العربية والإسلامية من خلال سياسة الفرنسة بمحاولة إلغاء التحدث بالعربية وتشويه الإسلام ، وهي الحالة نفسها التي واجهها المشرق العربي أيام جمعية الاتحاد والترقي العثمانية من خلال سياسة التتريك التي كانت لها أهداف الفرنسة نفسها ولكن الدولة العثمانية كانت تتخذ من الإسلام ديناً فأصبحت العروبة عنصراً أساسياً في عملية التصدي .

إن الترابط العضوي بين العروبة والإسلام يدفع بالحديث إلى طبيعة الأمة العربية وواقعها قبل الإسلام فهناك الكثير من المؤرخين الذين يتعاملون مع تاريخ العرب قبل الإسلام على أنه كان فارغاً ومخجلاً من منطلق تقوية أسس ومستلزمات مشروعية الإسلام الدنيوية ، في حين أن اختيار العرب لحمل رسالة الإسلام لم يكن لسوئهم وإنما لقدرتهم على أن يكونوا قادة للإنسانية جمعاء ليغيروا وجهها في تلك المرحلة أما الممارسات السلبية والسينة العارضة في حياة العرب ، فهي خارجة عن طبيعة الأمة ، ولهذا ثارت عليها و تخلصت منها بفترة قصيرة . ولا يمكن للثورة أن تقوم دون أن تواجه الأمة صعوبات كبيرة وضائقة غير اعتيادية ، ولا يمكن للأمة أن تحمل رسالة الثورة دون أن تكون لها مكونات داخلية حية قادرة على أن

تجعلها تنور في ذاتها وفي ظاهرها لتأدية دورها في حمل الرسالة⁽³¹⁾. وهذه مسألة ترتبط أيضاً بالتواصل في عطاء الأمة العربية وتاريخها .

إن السيطرة الواقعية التي ترتبط بالحقائق التاريخية هي التي يمكن أن تجعل من التاريخ أداة حقيقة لتهوض المجتمع عن طريق الكتابة التاريخية سواء في الكتاب العام أو الكتاب المدرسي أو المنهجي الجامعي ، ولا بد من التخلص من مؤشرات ووقائع التاريخ الأوروبي الذي كتبه الأوروبيون ، وبأتي في مقدمة المواضيع التي كان التأثير بالتاريخ الأوروبي سبباً في إحداث اللبس وعدم الوضوح فيها هو موضوع القومية والدين والذي انعكس سلباً على موضوع العروبة والإسلام إلا أن ذلك لا يعني أننا نحمل وزر الأمور على الكتاب الأوروبيين أو المستشرقين لوحدهم فالباحثون والمؤرخون العرب عبر التاريخ قد كتب عدد منهم بتأثيرات سياسية أو مذهبية أو مصلحة ، وقليل منهم كان حريصاً على إظهار الحقيقة دون تحوير لصالح سلطة معينة أو اتجاه معين⁽³²⁾ . وهذه مسألة ترتبط أيضاً بما أثير في العديد من الندوات حول موضوع تاريخ الملوك وتاريخ الشعوب ، وملاحظة المناقشين أن تاريخنا وكتابه قد تأثرت بما كان الحكام والملوك وأصحاب السلطة يريدون تدوينه وحسب رغباتهم ،

(31) ندوة جامعة ناصر في طرابلس "نحو رؤية قومية لإعادة كتابة التاريخ العربي " مجلة الحوار، العدد 7 في 1977/11/13، ص 35-46.

وعابوا على البعض ربط أحداث المجتمع وتطوراتها بالخليفة أو الحاكم دون دراسة حقيقية للأوضاع الاجتماعية والسياسية لحياة المجتمع ذاته⁽²³⁾ . ولا شك أنهم صائبون في محذورهم هذا ، لكنه لا يمكن الأخذ بهذا الاعتراض بشكل مطلق لكي لا يكون هناك خلط بين القائد والحاكم وبين دور الفرد في المجتمع ودور البطل في التاريخ الذي قد يكون قائداً أو حاكماً أو خليفة . إن المؤرخين يجمعون على أهمية العلاقة بين الفرد والمجتمع ولا خلاف في ذلك ولكن هناك من يسقط دور البطل في التاريخ وفي حياة الأمة بدعوى أنه جزء من مرحلة برجوازية رأسمالية تتبنى الفردية على حساب الجماهير. وهذا هو إسقاط أوروبي آخر ليس عن طريق المستشرقين وإنما عن طريق الفكر الماركسي وبعض المدارس المادية التي اتخذها بعض العرب مناهج لكتابة التاريخ ، في حين أن الرجل القائد أو الرجل البطل هو ظاهرة مادية وروحية ترتبط بتطور تاريخ العرب منذ أقدم الأزمنة ، بل هو ضرورة لدفع الأمة إلى الأمام ، ولذلك نجد أن البطل أو القائد كان محور ملاحم وقصص وروايات التاريخ العربي ، ولعل ملحمة كلكامش خير مثال على قدم وأهمية هذه الحالة في حياة الأمة . إن المجتمع لا يمكن أن يتقدم بدون قائد أو قيادات، على أن يكون ذلك القائد جزءاً من المجتمع لا وصياً عليه، ولا يمكن أن يكون أباً عشائرياً متخلفاً⁽³³⁾ . ومن هذا المنطلق

(32) محمد المبارك ، إبراهيم عكاشة ، عبد الغني حسن ، شبلي العيسمي ، ندوة مجلة المعرفة .

يمكن أن نقول أننا لا يمكن أن نتقبل التاريخ الذي كتب على أساس حياة الملوك والحكام دون المجتمع ، لكننا في الوقت نفسه لا يمكن أن نعتبر الكتابة عن الخليفة عمر بن الخطاب ، مثلاً ، خدمة للخليفة عمر وحده وإنما هو تاريخ عصر عمر بن الخطاب الذي اقترن باسمه ، وهكذا يكون الأمر بالنسبة لبعده الرحمن الداخل في الأندلس أو الخليفة المنصور ببغداد ، أو الخليفة عمر بن عبد العزيز أو الخليفة هشام بن عبد الملك في دمشق . وتبقى للتاريخ السياسي والاقتصادي مكاتته في الكتابة عن المجتمع دون التفريط بعملية التوازن بين حقوق الفرد والقائد والبطل وبين حقوق المجتمع ، فكلاهما يشكلان محوراً أساسياً في كتابة تاريخ الأمة ، بمعنى أن إسقاط دور الفرد في المجتمع لا يخدم بالنتيجة المجتمع نفسه ، كما أن تغليب دور الفرد على المجتمع لا يؤدي إلى الحقيقة التاريخية المطلوبة .

إن هذا الموضوع يقودنا إلى حالة أخرى تلك هي تفسير التاريخ بعامل واحد أو تغليب عامل معين في تفسير التاريخ على العوامل الأخرى ، كأن يكون التركيز على العامل الاقتصادي ، أو أن يغلب التفسير الروحي الصرف أو السلفي على أية مقومات أو دوافع أخرى لحركة التاريخ .

أن البحوث والدراسات التي اتخذت من هذا الاتجاه طريقاً لتفسير التاريخ قد وقعت في مطبات وثرعات بسبب مجافاتها للحقيقة التاريخية لان محاولة فرض نظرية معينة على واقع غريب ، أو

محاولة تطويع الحقائق التاريخية لصالح فرضية هي عملية قسرية ومحاولة إجهاض للتاريخ . لان التاريخ حالة حية تعيش داخل المجتمع وعلى تعاقب الأجيال ولا يمكن لحركة هذا التاريخ أن تقوم على عامل واحد ، كما أنها لا يمكن أن تفهم بشكلها الصحيح بعيداً عن واقعها ، على أن نضع في حساباتنا أننا يجب أن لا نفسر الماضي بظروف الحاضر " لان محاكمة الأحداث يجب أن تجري بظروفها وبإطار حركة المجتمع آنذاك)⁴³ . أي بالعوامل التي نشأ فيها ووقع بسببها ، وإلا فإن التاريخ لن يكون وسيلة لخدمة الحاضر والمستقبل ، إذا لم ينتزع المؤرخ نفسه من محيطه وحاضره الذي يعيش فيه ، وتلك مهمة صعبة لا تجدها إلا عند المؤرخين الحقيقيين الذين يبحثون عن الحقيقة وتتاجها على المجتمع وأثرها في تطور الحاضر والمستقبل .

إن حالة محاكمة الماضي بظروف الحاضر هي ذات الحالة التي نحاكم فيها الماضي بمنهج غريب بعيد عن واقع ذلك الماضي . وقد وقع العديد من المؤرخين في أسر إطلاق الأحكام وتفسير الظواهر التاريخية بهذا الاتجاه فاعتبروا بعض الحركات السياسية والدينية في الإسلام ، حركات شعبية جماهيرية بقياس واقع الحاضر لا واقع الماضي الذي وجد فيها حركات تخريبية آنذاك .

وكثيراً ما أتهم قائد أو حاكم بالضعف أو بالتهور بمقاييس حاضر المؤرخ وليس بمقاييس الماضي الذي عاش فيه ذلك الحاكم أو القائد.

أن مهمة المؤرخ هي أن يصور لنا الحدث بأقرب ما وقع فيه من الحقيقة على أن لا يغمره بطروف مجتمع المؤرخ نفسه وإنما بالمعايير التي رافقت الحدث.

إن هذا الجدل ينقلنا أيضاً إلى موضوع الدولة العثمانية والموقف من تاريخها ، تلك الإمبراطورية التي سيطرت على معظم أجزاء الوطن العربي " عدا الغرب الأقصى والخليج العربي " ولمدة أربعة قرون . أن العديد من المؤرخين العرب يرى عدم صحة إغفال تاريخها، لكنهم لا يوضحون لنا هل المقصود تاريخ الدولة العثمانية أم تاريخ الأمة العربية أيام حكم العثمانيين رغم وجود الترابط بين الاثنين. إن الذي يهمننا كما اعتقد هو تاريخ العرب أيام حكم العثمانيين وللمؤرخين العرب وجهات نظر مختلفة ومتناقضة أحيانا منه ، فالاتجاهات التي ترى فيه تاريخا للإسلام تتحاز إلى العثمانيين وتدافع عنهم ، والاتجاهات التي ترى فيه سيطرة الأتراك على العرب باسم الإسلام وتطور تلك السيطرة إلى سياسة تترك العرب أيام الاتحاد والترقي تعيب عليه كونه تاريخا سلبيا للأتراك العثمانيين الذين تولوا قيادة المسلمين آنذاك في رقعة كبيرة في المنطقة . كما هاجم الأوروبيون العثمانيين في كتاباتهم لأنهم كانوا دولة توسعية اتخذت من بلادهم ميدانا لسيطرتها وأحرزت عليهم انتصارات كبيرة.

لقد لعب الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي دوره في هذه المواقف فمؤرخوا المغرب العربي لم يعيشوا السيطرة المباشرة للعثمانيين الأتراك كما أن المغرب الأقصى كان بعيدا حتى عن سيطرتهم أساسا . وفي الوقت الذي كان المغرب العربي يعاني من سياسة الفرنسة كان المشرق العربي يعاني من سياسة التتريك ، ولذلك ظهر الاختلاف في الموقف من الدولة العثمانية لكننا اذا ناقشنا الموضوع بتجرد وبنظرة نقدية علمية نجد أن الأمة العربية كانت تعيش أيام العثمانيين حالة ركود فكري وتأخر اقتصادي وأصبحت عاصمة العرب المسلمين لأول مرة بأيدي غير عربية فكانت الأستانة عاصمة العرب للمسلمين بدلا من بغداد ودمشق والقاهرة وفاس ومراكش وقرطبة وغرناطة ، يحكم فيها الأتراك الذين لا ينطقون بلغة القرآن الكريم .

ومقارنة لواقع هذه الدولة السياسي والاجتماعي والاقتصادي بواقع الدولة العربية الإسلامية أيام الموحدين والأمويين والعباسيين يبرز أمامنا الشخ الحضاري الكبير بين الحالتين ، إضافة إلى أن الأتراك العثمانيين قد تصرفوا في النهاية كأتراك وليس كمسلمين ، ولا أريد أن أقدم الأمثلة على ذلك وأكتفي بتحالفهم مع الأسبان ضد المغرب الأقصى أيام السعديين في القرن السادس عشر في وقت كان السعديون يواجهون التحدي الاسباني الذي يمثل أطماعا أوروبية في الوطن العربي .

لقد كانت الدولة العثمانية عبارة عن إمبراطور عسكرية لم تستقر لتبنى حضارة وإنما توسعت ثم توقفت لتبدأ منذ اللحظة الأولى لتوقفها مراحل تدهورها. ولهذا لا تجد الشواخص الحضارية فيها إلا من خلال فن العمارة التي تركزت في آسيا الصغرى (تركيا) موطن الأتراك العثمانيين مع بعض العناية بالفنون والموسيقى بينما أهملت المؤسسات العلمية العربية وتراثها الأصيل أمام وجود حكام وسلطين يتحدثون التركية ويعيشون بعيداً عن الأرض العربية التي أنبتت الإسلام ، إن هذا لا يعني بالتأكيد نكران دور العثمانيين في نشر الإسلام في بعض أجزاء أوروبا إلا أن هذا لا يبرر السيطرة على العرب وإهمال دورهم الحضاري . وما دمننا بصدد إيجاد أسس لمدرسة عربية في كتابة التاريخ فإنه من الواجب علينا أن نتوقف قليلاً عند هذا الموضوع لنناقشه بروح إيجابية للوصول إلى موقف موحد من خلال النظرة إلى تأريخ العرب أيام العثمانيين ، وليس تأريخ العثمانيين الأتراك أنفسهم .

لقد خرجت الندوات والمناظرات التي عقدت في مناطق عديدة من الوطن العربي ، وعلى بعض صفحات المجلات حول كتابة التاريخ العربي بتتائج متعددة وتوصيات إيجابية جيدة منها ضرورة كتابة التاريخ العربي باعتباره جزءاً من التأريخ الإنساني وإن حضارة العرب هي جزء من الحضارة الإسلامية ، وإن الإطار الحضاري للعروبة هو الإسلام . وأكدت النتائج على ضرورة إيجاد تأريخ متلاحم في عمقه يجد العطاء الحضاري للعرب عبر العصور

ومنذ التاريخ القديم . وقد ناقش الباحثون في هذا المجال جزيرة العرب وطبيعة حركة السكان منها كونها منبعاً للموجات البشرية ولحضارات وادي الرافدين والنيل والشام والمغرب العربي ورفض البعض منهم مصطلح السامية الذي أطلقه الأوروبيون في القرن التاسع عشر. واهتم المناقشون كثيراً بضرورة العناية بالمناهج المدرسية التي تعني بالتاريخ العربي وضرورة تربية النشء على تاريخ عروبي إسلامي شامل بعيد عن القطرية يراعي الخصوصية من خلال الفهم القومي لحركة تاريخ الأمة العربية وهو أمر لم يتحقق لحد الآن في العديد من مناطق الوطن العربي ، بل على العكس فإن العديد من مناهج التاريخ المدرسية في الوطن العربي ترسخ القطرية والإقليمية بشكل لا ينسجم مع طبيعة تاريخ الأمة العربية . وكان موضوع العروبة والإسلام من المواضيع الحساسة التي ناقشتها تلك الندوات إضافة إلى الإستشراق ودور الأجانب في كتابة التاريخ وتشويهه .

أن غياب المنهج العربي الواضح التابع من حقيقة التاريخ العربي الإسلامي هو أهم وأبرز أسباب تشتت الكتابة التاريخية. إنني لا أقصد بالمنهج فرض فلسفة معينة على أحداث التاريخ لتزوير وقائعه أو لاستخدامها من أجل إثبات صحة تلك الفلسفة أو النظرية كما هو حاصل في محاولات تطبيق المنهج الماركسي مثلاً. لكنني أريد الوصول إلى قاعدة مشتركة تنطلق من مبدأ أساسي وهو أن العرب أمة واحدة وجغرافية أرضهم هي الوطن العربي كله وهم

مبادئ ومنطلقات لبناء مدرسة عربية

الذين شرفهم الله سبحانه وتعالى بحمل راية الإسلام والتبشير بها .
صحيح أننا لن تتمكن من حصر وتحديد الباحثين والكتاب جميعاً بهذا
المنهج ، لكننا على الأقل نكون قد وضعنا لبنة أساس على طريق
فهم صحيح للتأريخ العربي بتحريره من السطحية التي فرضها
فقدان الوعي الذاتي وتخليصه من دس المؤرخين الأجانب وجهلهم
ومن التقليد الأعمى للنظريات الأجنبية . وبذلك نكون قد قدمنا خدمة
كبرى لأجيالنا اللاحقة.

bG

الدولة العثمانية

وسيطرتها على الوطن العربي

- العثمانيون: أصلهم وتكوين دولتهم:

ينتمي العثمانيون إلى قبيلة من قبائل الغز التركية تدعى قبيلة قابي. حيث خرجت هذه القبيلة من أواسط آسيا باتجاه الغرب تحت قيادة أرطغرل بك وساندت دوله الروم السلاجقه ضد أعدائها فمنحهم السلطان السلجوقي علاء الدين الأول منطقة تقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى (الأناضول) و التي تعرف اليوم بتركيا وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي. وبدأ العثمانيون بتوسيع أمارتهم خصوصاً في زمن عثمان بن أرطغرل بك الذي سميت الدولة باسمه الذي اعتنق الإسلام وتبعه الأتراك العثمانيون متأثرين بالروم السلاجقة المسلمين. وسرعان ما نمت الإسلامية و أصبحت إمبراطورية مترامية الأطراف امتدت إلى آسيا و أوروبا وأفريقيا ومنها الوطن العربي باستثناء المغرب الأقصى. ولا شك أن الصراع بين الدولة البيزنطية ودولة الروم السلاجقه قد اضعفهما مما ولد فراغاً سياسياً في آسيا الصغرى ساعد على أن يملأه العثمانيون لتصبح قاعدة لبناء إمبراطوريتهم.

التوسع العثماني في أوروبا:

اتجه العثمانيون في البداية لغزو و احتلال البلقان في أوروبا وكذلك السيطرة على بلاد الأناضول. وفي عهد السلطان محمد الثاني تمكن

العثمانيون من الاستيلاء على عاصمة البيزنطيين (القسطنطينية) عام 1453م وأطلق عليها اسم مدينة اسلامبول أو استامبول (اسطنبول حالياً) أي عاصمة الإسلام ولقب السلطان منذ ذلك الوقت باسم محمد الفاتح وبذلك تمكن العثمانيون من السيطرة على ضفتي البسفور أي الجانبين الآسيوي و الأوروبي، واعتبر هذا الحدث تحولاً مهماً و تاريخياً لصالح العثمانيين ضد البيزنطيين المسيحيين و كذلك في إتمام السيطرة على منطقة البلقان وأجزاء من أوروبا (الصرب، البوسنة و الهرسك، المور، البانيا، جمهورية جنوة والبندقية، ومملكة نابولي).

و خلاصة القول أن الفتح العثماني العسكري لأوروبا و الذي بدأ في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وبلغ ذروته في القرن السادس عشر قد تزامن مع انحسار الإسلام في الأندلس و سقوط غرناطة في أيدي الأسبان عام 1492.

من جانب آخر فإن التوغل العثماني في المجر و النمسا وغيرها من بلاد وسط أوروبا قد كان في أجواء مسيحية معادية تماماً، بينما كانت جبهتهم في حوض البحر المتوسط تضم أقطاراً عربية إسلامية تعاونت معهم لمقاومة الغزو الأوروبي خلال فترة الاستكشافات الجغرافية، ولكي يثار أهل المغرب العربي المسلمين لإخوانهم الذين أخرجوا من ديارهم في الأندلس.

احتلال الوطن العربي:

أ- الأسباب:

أصبح سليم الأول سلطاناً على الدولة العثمانية خلال الأعوام (1512-1520)، وقد أحدث هذا السلطان انقلاباً في الاستراتيجية العسكرية العثمانية عندما أوقف الزحف العثماني نحو الغرب الأوروبي وأتجه إلى غزو الوطن العربي وبعود سبب ذلك إلى ثلاثة عوامل رئيسية وهي:

1. أن لدولة العثمانية قد بلغت مرحلة الإشباع في فتوحاتها الغربية وكان عليها أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط و التوسع لا تبعد عنها كثيراً عن مركز الدولة (اسطنبول أوالاستانه) ولهذا فإنه كان من المعقول أن يقف مدى التوسع في أوربا عند المجر لكي تبقى الدولة مهيمنة على المناطق الأوربية التي استولت عليها.

2. تبنى الشاه إسماعيل الصفوي في إيران (1500-1524) حركة قومية طائفية قامت بنشر المذهب الشيعي في إيران و تصديره إلى البلاد المجاورة، وغزا إسماعيل الصفوي العراق عام (1850م) لوجود الأماكن المقدسة لآل البيت في النجف وكربلاء و الكاظمية. و توجه إسماعيل الصفوي إلى إثارة المشاكل بوجه العثمانيين الذين كانوا يعتنقون المذهب السني، وأصبحت إيران ملاذاً لأعداء العثمانيين، و شجعت الطوائف الشيعية في الدولة العثمانية على التمرد ففرقتهم السلطة العثمانية في البلاد ورد الشاه إسماعيل بإقامة مذابح عامة ضد ألسنه في إيران، وتطور هذا العداء إلى الحرب بين

الدولتين، انتصر فيها السلطان العثماني سليم الأول على الصفويين في معركة جالديران عام (1514م) ودخل تبريز عاصمة إيران آنذاك واستولى على أذربيجان وأخضع كردستان وديار بكر وشمال العراق وعاد إلى بلاده. ألا أن الأمر لم يحسم لأي طرف مما اقنع السلطان سليم بضرورة السيطرة على مصر وبلاد الشام لمنع التوسع الصفوي الإيراني.

3. ظهور الخطر الأوربي المسيحي المتمثل بالغزوات والاستكشافات البرتغالية خاصة والأوروبية عموماً الذي أستهدف أقطار المغرب العربي ومنها المنافذ البحرية في المنطقة سواء مضيق جبل طارق أو باب المندب حيث شن البرتغاليون حرباً عنيفة على التجارة العربية وعملوا على خنق العرب في مياههم الداخلية. مما أدى إلى الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين، دفع العثمانيين إلى التوجه نحو المغرب العربي لحمايته من أوروبا المسيحية، فاستولى العثمانيون على جزر عدده في البحر المتوسط منها جزر رودس وقبرص وكريت.

ب - احتلال مصر والشام والحجاز

كانت مصر وبلاد الشام تحت سيطرة المماليك وكانت الحجاز تحت السيادة الاسمية لدولة المماليك، وقد توفرت عوامل ساعدت على تأجيج النزاع بين العثمانيين والمماليك وبما يخدم

إستراتيجية سليم الأول في احتلال الوطن العربي، ومن أهم هذه العوامل أو الأسباب الخلاف على تخطيط الحدود بين الدولتين و إيواء المماليك لبعض الأمراء العثمانيين الفارين من السلطان سليم، حيث أراد سلطان دولة المماليك قانصوه الغوري أن يتخذ من وجود هؤلاء الأمراء لديه أداة لإثارة المزيد من المتاعب في وجه السلطان سليم، كذلك وقف سلطان المماليك الغوري موقفاً غير ودي من العثمانيين في حربهم مع الفرس الصفويين، ودخل في تحالف معهم.

لقد أدت هذه العوامل إلى نشوب الحرب التي أنزل فيها العثمانيون بالمماليك هزيمة ساحقة في معركة مرج دابق شمالي حلب عام (1516م) وكانت البداية لاحتلال العثمانيين لبلاد الشام بأكملها. وواصل السلطان سليم الأول زحفه نحو مصر فأحتلها عام (1517م) ودخل القاهرة و انتهت بذلك دولة المماليك. وخلال إقامة السلطان سليم الأول في مصر أعلن شريف مكة ولاءه للعثمانيين. وقد ترتب على بسط السيادة العثمانية سلمياً على الحجاز وصول العثمانيين إلى البحر الأحمر ومحاولتهم السيطرة على اليمن وقطع الطريق على البرتغاليين.

ج - احتلال العراق و الخليج العربي و اليمن:

توفي السلطان سليم الأول وخلفه في الحكم ولده سليمان الأول عام (1520م) و الذي لقب ب (سليمان القانوني) وقد بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج قوتها واتساعها، حيث استولى على

بلغراد وفتح جزيرة رودس، وأعلنت البندقية ولاءها له، واحتل بودابست وأصبحت المجر ولاية عثمانية لمدة (140) عاماً. إلا إن سليمان القانوني لم يتمكن من احتلال فينا عاصمة النمسا رغم زحفه على المدينة بجيش جرار.

أما بالنسبة على العراق، فقد بقيت إيران تشكل تهديداً مستمراً للدولة العثمانية خصوصاً بعد تولي الشاه طهماسب الحكم بعد وفاه والده الشاه إسماعيل الصفوي. فقد أثار الصفويون القلاقل في الأناضول (آسيا الصغرى) مما أضطر سليمان القانوني على الزحف بجيشه و احتلال المنطقة الممتدة من أرضروم و بحيرة وان، وتوغل في إيران وأعاد احتلال تبريز عام (1533م). فكانت المنطلق لاحتلال بغداد عام (1453 م) ومعظم العراق، حيث استولت القوات العثمانية على البصرة عام (1538م) ثم أمتد الحكم العثماني على منطقة الإحساء عام (1555م) وبقية مناطق الخليج العربي. وفي عام (1538م) وصل العثمانيون إلى اليمن فاستولى السلطان سليمان القانوني على عدن في هذا العام، وفي السنة التالية استولى العثمانيون على السواحل العربية اليمنية كجزء من الصراع مع البرتغاليين. لكن اليمنيين ثاروا ضد الحكم العثماني مما اضطرتهم إلى الجلاء عن اليمن عام (1635م)، ولكنهم عادوا إليها في القرن التاسع عشر الميلادي. وفي كل الأحوال فقد اقتصر نفوذ العثمانيين في اليمن على تهامة وجنوبي اليمن و صنعاء وما حولها.

ألا أن جبال اليمن الوعرة منعتهم من الوصول إلى صعدته و الجبال المحيطه بها.

د - الصراع العثماني البرتغالي في البحر الأحمر و البحر العربي و الخليج العربي:

في عام (1498م) وصل الرحالة البرتغالي فاسكو ديكاما إلى الهند فوطد البرتغاليون أقدامهم في الشرق. وحرصوا على أيجاد قواعد لهم في البحر الأحمر والبحر العربي و الخليج العربي ليتمكنوا من السيطرة على طرق التجارة ومنافذها، فاستولوا على جزيرة سو قطرة في خليج عدن وسيطروا على جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي. وقاموا بمهاجمة السفن العربية في هذه المناطق وإغراقها أو إحراقها أو الاستيلاء عليها، وحولوا التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي لأفريقيا، ففقد العرب مصادر رزقهم وتجارتهم. ولم تتمكن دولة المماليك في مصر و الشام من الوقوف بوجه الاستعمار البرتغالي و فشلت في طردهم، فكان على الدولة العثمانية التي احتلت محل المماليك في قلب الوطن العربي (مصر والشام) أن تقوم بهذه المهمة.

درس العثمانيون إستراتيجية الحركة الملاحية البحرية، ووجدوا أن اليمن عامة وعدن بشكل خاص هي القاعدة الأساسية التي تمكنهم من السيطرة على البحر الأحمر و البحر العربي و صولاً إلى الخليج العربي فأقاموا قاعدة بحرية في السويس لتكون منطلقاً للعمليات العسكرية في البحر الأحمر و البحر العربي والمحيط الهندي لمحاربة

البرتغاليين مما سهل سيطرتهم على سواحل اليمن و صنعاء وعدن و وفر للإمبراطورية العثمانية قواعد متقدمة للدفاع عن البحر الأحمر و قتال البرتغاليين في الخليج العربي. ففي سنة (1552م) أبحر من السويس أسطول عثماني كبير لاحتلال شرقي الجزيرة العربية وقطع خطوط الإمدادات المحلية على البرتغاليين. فأحتل العثمانيون مسقط في عُمان و حاصروا جزيرة هرمز لمدة شهر. كما شن العثمانيون هجمات من البصرة على البرتغاليين. وعلى الرغم من أنهم لم يحققوا انتصاراً حاسماً عليهم إلا أنهم منعوا البرتغاليين من الانتشار و التوسع في الجزيرة العربية وعدم الوصول إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة. كما تم سيطرة العثمانيين على البحر الأحمر قد مكنت السلطان سليمان القانوني من التحكم بطرق التجارة الدولية القديمة عبر مصر. خصوصاً و أن العثمانيين قد نجحوا في السيطرة على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر وجعلوا من مدينة جدة في ساحل الجزيرة العربية المقابل قاعدة لولاية باسم ولاية الحنش. وبذلك أصبح البحر الأحمر بحراً عربياً إسلامياً يحرم على السفن غير الإسلامية الإبحار فيه، وأصبحت اليمن القاعدة الأساسية للدفاع عنه. كما أصبحت للعثمانيين سيادة على مناطق الخليج العربي المهمة مثل عُمان و الإحساء و البحرين والكويت.

هـ - السيطرة على أقطار المغرب العربي:

لم يكن العثمانيون بحاجة إلى شن الحروب وإرسال الجيوش للقتال و السيطرة على المغرب العربي، لأن سكان هذا الجزء من الوطن العربي كانوا و منذ سقوط الأندلس و ظهور حركة الاستكشافات الجغرافية على صراع مع أوروبا المسيحية، وقد وجدوا العون والإسناد من قبل الدولة العثمانية كونها دولة مسلمة. فقد واصل المسلمون في المغرب العربي جهادهم ضد الأسبان، وأسس العرب المسلمون المنفيون من أسبانيا مستوطنات على طول السواحل المغربية على البحر المتوسط من تونس إلى المغرب الأقصى، وكانوا يغيرون منها ويهاجمون السفن الأوروبية وخصوصاً في مضيق جبل طارق و جزيرة مالطة، فقام الأسبان بالمقابل بالسيطرة على عدد من المواقع الحصينة في المغرب الأقصى و أرغموا كذلك حكام الجزائر الحفصيين على الخضوع و السماح لهم بإقامة قاعدة بحرية أسبانية في جزيرة بينون القريبة من ميناء الجزائر.

تصاعد الجهاد العربي الإسلامي ضد الأسبان وكان من أبرز القيادات العربية البحرية هما الأخوان عروج وخير الدين بربروسا اللذين تحالفا مع العثمانيين في قتال الأوربيين في هذه المناطق. وبعد قتل عروج أصبح خير الدين قائداً للأسطول العثماني في البحر المتوسط. إن تحالف أهل المغرب العربي مع الدولة العثمانية قد أدى إلى سيطرة العثمانيين على ليبيا عام (1556م) بعد أن استنجد بهم سكان ليبيا لتخليصهم من الأوربيين الصليبيين الذين عرفوا باسم فرسان القديس يوحنا. وقد قام في ليبيا حكم أسرة القرّة ما نلي

الذين كانوا تابعين للسلطة العثمانية أسمىاً ويتمتعون باستقلال داخلي. وعندما ضعفت الدولة القرمانليه وهاجمتها الأساطيل الغربية تدخلت الدولة العثمانية و أعادت ليبيا إلى سيطرتها المباشرة عام (1835م). وقد بقيت ليبيا ولاية عثمانية حتى عام (1911م) عندما غزاها الإيطاليون و أخرجوها من سيطرة الدولة العثمانية. وفي تونس استتجد حكامها الحفصيون بالعثمانيين بعد أن سيطر الأسبان عليها، فتمكن العثمانيون من احتلالها عام (1573م) و طردوا الأسبان و أقاموا نظام حكم خاص بهم بعد سقوط الدولة الحفصية على أيديهم و التي حكمت تونس من عام (1207 - 1574م) فقد عين العثمانيون حاكماً على تونس يلقب بالباشا، فمثلاً السلطان العثماني يساعده ديوان استشاري و موظف يدير الشؤون المالية يلقب (بالباي) وقائد يلقب بالأغا يتبعه ضباط للفرق العسكرية برتبة رئيس يلقب كل واحد منهم بـ(الداى). ومع مرور الزمن سيطر الدايات على الحكم من سنة (1590 - 1640م)، ثم ظهرت سلطة الباى التي غلبت على سلطة الدايات، وكان هؤلاء البايات يحكمون البلاد حكماً مستقلاً لكنه تابع أسمىاً للدولة العثمانية إلى أن احتلت فرنسا تونس عام 1881م.

أما الجزائر فقد دخلت إليها السيطرة العثمانية من خلال خير الدين بربروسا الذي كان له نفوذه في الجزائر، وضعف بعد وفاة أخيه عروج، فربط مصيره بالدولة العثمانية ووافق السلطان سليم الأول على إعطائه لقب أمير الأمراء و أمره بالجيش والمدفعية. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الجزائر ولاية عثمانية ممتازة. وفي عهد السلطان سليمان القانوني استدعى خير الدين إلى الأستانة وعين قائداً

للأسطول التركي في البحر المتوسط. ويمكن القول أن حكم
العثمانيين للجزائر بدأ عام (1546م) و انتهى عام (1830م) باحتلال
الفرنسيين لها.
وهكذا سيطرت الدولة العثمانية على أغلب الوطن العربي باستثناء
المغرب الأقصى (مراكش) الذي لم يخضع .

بُغ

الأوضاع الإدارية و الحركات الاستقلالية العربية في ظل الدولة العثمانية

قسمت الدولة العثمانية الوطن العربي الى ولايات ، وكل ولاية يحكمها (والي) يلقب بالباشا، وهو بمثابة نائب السلطان في حكم الولاية . لذلك فهو يقوم بتنفيذ اوامر السلطان ، وتكون مدة ولايته سنة واحدة قابلة للتجديد. ويوجد إلى جانب والي في سلطة الولاية (رؤساء الجند) وهم قادة الفرق العسكرية (الاوجاقات) التي تدافع عن الولاية ضد الغزو الخارجي كما توكل اليها مسؤولية حفظ النظام والأمن الداخلي .

ويتكون مجلس شورى والي المسمى (الديوان) من قادة الفرق ، وهم بمثابة مجلس شورى ورقابة على والي ، اذ لا يمكن للوالي ان يصدر امراً إلا بموافقة اعضاء الديوان . إلا أن هذا لا يعنى انهم كانوا السلطة الوحيدة فهناك القوى المحلية التي تلعب دوراً في التأثير على السلطة ، مثلما حدث في مصر حيث ان المماليك المحليين كان لهم تأثيرهم رغم زوال سلطتهم لأنهم اعرف بأهل البلاد وظروفها . وفي كل الأحوال كان والي هو صاحب السلطة العليا في الولاية وكان للولاية موظفين يقومون بإدارة أعمالها مثل وكيل والي (الكتخدا) والمسؤول عن الشؤون المالية (الدفتردار)

والمسؤول عن السلاح و الذخير (السلحدار) والمكلف بالخزانة العامة (الخزندار) وفي الجانب الإداري فان الولاية قد قسمت مع تطور نظام الحكم في الولايات إلى متصرفية برأسها متصرف مرتبط بالوالي ، وقائمقامية يرأسها قائمقام مرتبط بالمتصرف ، وناحية يرأسها مدير ناحية مرتبط بالقائمقام، وأخرها القرية ومسؤولها عادة شيخ القبيلة أو القرية
الولايات العربية:

1- العراق

الأطماع الصفوية في العراق

الصفوية هي عقيدة الولاء لإيران عبر انتماء مذهبي مرتبط بنوع من التشيع ظهر مع قيام الدولة في بلاد فارس منذ القرن السادس عشر . وتكمن خطورة الصفوية في انها منذ البداية تأطرت بإطار سرقت فيه من المذهب الجعفري اسمه فأساءت اليه لارتباط الصفوية بنزعه عرقية عنصرية وباطنية قائمة على الحقد والانتقام من العرب تحت شعارات الثأر ل (آل البيت) . وقد نشر الشاه اسماعيل الصفوي مذهبه هذا بقوة السلاح والدم في ايران . وكانت اهم الآليات التي اعتمدت عليها العقيدة الصفوية هي نشر فكرة مظلومية الشيعة في الارض العربية وعمدت الى تزوير الحقائق في شتى الطرق من أجل رفع شأن ايران وإهانة العرب بما فيها اختلاق القصص الكاذبة عن آل البيت والصحابة. وتذكر بعض المصادر ان الصفوية ذهبت إلى

أبعد من هذا بالقول بعدم صحة القرآن الكريم الذي جمعه الخليفة عثمان بن عثمان رضي الله عنه والادعاء ان القرآن الصحيح هو الذي كتبه وجمعه الامام على بن ابي طالب رضي الله عنه، ونتيجة الصراعات بعد وفاة الرسول (ص) أخفاه الامام على عند زوجته فاطمة الزهراء ابنة الرسول واستمر تداوله لدى آل البيت إلى أن اختفى مع الامام المهدي المنتظر وسيخرج هذا القرآن للخلق أجمعين مع ظهور المهدي في آخر الزمان.

لقد أفرغت الصفوية الفكر الشيعي من فلسفته ومضمونه واجتهاده الديني المعروف والموصوف بأعلى الرتب الفقهية والعلمية لتستخدم المذهب كواجهة سياسية لصالح إيران فأعطت الصفوية تصوراً مغايراً لمبادئ الإمام جعفر الصادق إمام المذهبين الحنفي والمالكي ونسبت إليه أفكاراً لم يطرحها لأنها تناقض تعاليم الإسلام وأصوله ومنها ولاية الفقيه التي جاء بفكرتها الخميني في إيران بهدف إعطاء رجال الدين والمرجعيات صفة القدسية مع الحط من منزلة رجال الدين في المذاهب الإسلامية الأخرى واعتبروا سب الصحابة ابوبكر وعثمان وعمر بمثابة ثواب وشفاعة لهم عند آل البيت وقد اتجهت الصفوية إلى إشاعة الفتنة الطائفية والكراهية بين المسلمين وأباحت قتل وتكفير من غير مذهبهم من المسلمين .

كان العراق من ابرز الأقطار العربية التي ابتليت بالأطماع الصفوية، وإذا ما عدنا قليلاً الى الوراء فإن العراق قد عاش حياة مضطربة ومتخلفة بعد احتلال المغول لبغداد عام 1258م / 656هـ وسقوط الدولة العباسية ، فقد حكمته اقوام ودول اجنبية ، والتي ابتدأت بدولة المغول الالمانية ، ثم دولة الخروف الابيض والخروف الاسود الى ان احتله الصفويون الفرس في زمن اسماعيل الصفوي عام 1508م وقد شكل هذا الاحتلال خطراً على الدولة العثمانية في حدودها الجنوبية خصوصاً وأن هناك صراع مذهبي بين الدولتين ، حيث ان اسماعيل الصفوي اشاع المذهب الصفوي في ايران بالقوة بعد أن كانت ايران سنية ، في حين ان الدولة العثمانية كانت سنية المذهب . وكان هذا احد العوامل التي دفعت السلطان العثماني سليم الأول إلى مهاجمة إيران والانتصار عليها في معركة جالديران عام 1514م ودخل عاصمتها تبريز وسيطر على شمال العراق بينما بقي جنوب العراق ووسطه تحت السيطرة الصفوية إلى أن جاء السلطان سليمان القانوني واحتل بغداد عام 1534م ليصبح جميع العراق تحت السيطرة العثمانية . لكن الصفويين الفرس هاجموا العراق عام 1633م واستولوا عليه لمدة خمس سنوات تقريباً الى ان استلم السلطان مراد السلطة في الدولة العثمانية فقاد حملة عسكرية وأعاد العراق إلى الدولة العثمانية عام 1638م .

إن سقوط الأسرة الصفوية في إيران لم يوقف الاطماع الإيرانية الفارسية في العراق ، فحالما ظهرت شخصية قوية في إيران مثل نادر الشاه تحرك هذا الأخير عام 1733م للسيطرة على العراق لكنه فشل ، وإعادة الكرة خلال الفترة 1743 – 1747 عندما هاجم البصرة وبغداد والموصل ، فقاومه العراقيون بقوة وفشل في اقتحام الموصل وبغداد رغم الحصار الطويل الذي فرضه عليها . كذلك فإن كريم خان الزيد وهو أحد القادة الإيرانيين قد هاجم هو الأخير العراق لاحتلاله .
حكم المماليك :

إن هذا الصراع الطويل قد دفع السلطة العثمانية الى تعيين ولاية أترك أشداء أقوياء لحكم العراق ، وقد جدوا في حسن باشا وولده أحمد غايتهم في الحفاظ على سلطتهم في العراق ، فقد اثبت حسن باشا منذ تعيينه والياً على العراق عام 1704م جدارة في حفظ النظام وتمكن (1704م – 1734 م) من السيطرة على الاوضاع في العراق بتكوينه قوة عسكرية من المماليك ، ومثله فعل خليفته ابنه احمد باشا، وأصبح لهؤلاء المماليك مكانة كبيرة لدى حسن باشا وولده احمد وذلك لدورهم المهم والرئيس في القضاء على الثورات المستمرة للقبائل العربية في العراق، ووصلت ثقة اسرة حسن باشا بالمماليك ان احمد باشا زوج ابنته الى قائد القوات المملوكية في العراق سليمان اغا وجعله نائباً عنه في الولاية.

أصبح حكم حسن باشا ومن بعده ولده احمد باشا مستقلا عن الدولة العثمانية من الناحية العملية ، بمعنى أن حكمها كان اسماً على العراق ولذلك حاولت السلطنة العثمانية إعادة سلطتها المباشرة على العراق عند وفاة احمد باشا عام 1747م بتعيين والي تركي جديد من اسطنبول ، لكن سليمان أغا الذي كان يقود حملة عسكرية في البصرة عاد إلى بغداد وأعلن انه الوالي الشرعي بعد أن ساند جنوده وطلب من السلطان العثماني إصدار أمر بذلك ، فقبل السلطان بسبب الظروف التي تمر بها علاقته مع إيران وخوفه من حدوث اضطرابات واصر أمرا بتعيينه والياً على العراق عام 1749 م ليبدأ حكم المماليك في العراق الذي استمر حتى عام 1831 م في نهاية حكم الوالي داود باشا، الذي كان من ابرز ولاة العراق في تلك المرحلة وقد شبهه البعض بمحمد علي باشا والي مصر كونه أصبح مستقلا عن الدولة العثمانية إلا في العلاقة الرسمية الاسمية.

حاولت الدولة العثمانية انهاء حكم المماليك في العراق عدة مرات لكنها فشلت ، خصوصاً وان بعض هؤلاء المماليك الولاة ومنهم سليمان باشا الكبير قد أقام علاقات جيدة مع البريطانيين من خلال شركة الهند الشرقية مستغلا تدهور الدولة العثمانية وضعفها وتغلغل النفوذ الأوربي فيها ، مما مكن سليمان باشا الكبير من البقاء والياً على العراق برعاية بريطانية لمدة 22

عاماً من الفترة (1780 - 1802) وجاء من بعده الوالي حافظ على باشا وسليمان الصغير إلى أن استلم الولاية داود باشا .
الوالي داود باشا (1817 - 1831)

كان آخر ولاية المماليك الاقوياء المستقلين في سلطتهم عن السلطان العثماني هو داود باشا ، ويعود اصله الى جورجيا حيث بيع في طفولته الى والي بغداد سليمان باشا الذي زوجه ابنته . وبعد وفاة سليمان باشا لم تعد له مكانة في الولاية فأصبح معلماً في أحد مساجد بغداد ، ومن خلال عمله هذا تكونت له علاقات مع شخصيات اجتماعية ببغداد ، إضافة الى تشكيله مجموعة من الاتباع المماليك مما ساعده على ان يصبح واليا على بغداد .

حكم داود باشا بشكل مطلق لاينازعه احد في سلطته لمدة اربعة عشر سنة تقريباً خاض خلالها حروباً ومعارك ضد القبائل العربية الثائرة وكذلك تمرد الأكراد شمال العراق ، وتمكن من اخماد تلك الثورات ، ولكن اخضاع الاكراد ادى الى اصطدامه بالإيرانيين الذين وقفوا مع الاكراد ضد داود باشا ، وكان لهذا أثره في تحجيم المطامع الإيرانية في العراق ومحاربتها . ولم ينته هذا الصراع إلا بتوقيع معاهده ارضروم بين العثمانيين والإيرانيين في مارس / اذار 1823م التي اعادت كردستان العرق إلى سلطة والي بغداد والدولة العثمانية .

إلى جانب هذه العمليات العسكرية عمل داود باشا على الاهتمام بالزراعة والتجارة والصناعة وإجراء الإصلاحات في العراق ، ويرى بعض الباحثين انه بعملية الإصلاح كان يحاكي محمد علي باشا في مصر الذي عاصره ، بل انه تصرف مثله في عدم الاهتمام بالسلطان العثماني عدا ذكر اسمه في الدعاء له في الصلاة وعلى المنابر . وعندما حل السلطان العثماني الجيش الانكشاري بدأ داود باشا بالإعداد لجيش جديد في العراق وجاء بضباط فرنسيين لتدريبه بعد أن رفض الانجليز ذلك وانشأ المصانع الحربية بإشراف خير سويسري لمد جيشه الجديد بالأسلحة والمعدات . وبدأ يخطط لجعل العراق ممراً مائياً تجارياً بين الهند وأوروبا عن طريق نهر الفرات وذلك باستخدام السفن التجارية .

ومن الملاحظ ان علاقة داود باشا بالانكليز لم تكن جيدة لذلك رفضوا مساعدته في تطوير قدراته ويعود ذلك الى موقف داود باشا من نشاط القنصل البريطاني واتصالاته بالأتراك وشيوخ القبائل وزعماء العوائل مما أثار مخاوف داود باشا ، وأعلن عام 1830 انه لا توجد حقوق أوربية ببغداد وقام بزيادة الرسوم الجمركية على البضائع البريطانية مما كان له اثره في الكيد والدس عليه من قبل البريطانيين لدى السلطان العثماني.

لقد تصرف داود باشا في العراق على انه سلطة مستقلة تماماً عن الدولة العثمانية الى درجة انه رفض دفع اموال الى

السلطان العثماني حينما طلب من ولاية الدولة العثمانية المساهمة في دفع الغرامة الحربية الكبيرة التي فرضت على العثمانيين نتيجة هزيمة الدولة العثمانية امام روسيا، وقام داود باشا بقتل المبعوث التركي للسلطان في ديسمبر / كانون الاول مما أجبر الدولة على إعلان تمرد داود باشا وإرسال جيش لقتاله . ففي عام 1831 أرسل السلطان محمود الثاني جيشاً الى بغداد اقتحمها بسهولة نتيجة تفشي الطعون فيها ، واستسلم داود باشا ونفي الى الحجاز حيث استقر للعبادة والتدريس في الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة الى ان مات فيها . وبانتهاء ولاية داود باشا عاد الحكم المباشر للدولة العثمانية على العراق منذ عام 1831

العراق بعد داود باشا

كان لغياب داود باشا عن حكم العراق اثره في اضطراب الأوضاع وقيام حركات التمرد ضد الدولة العثمانية التي عاد حكمها مباشراً على العراق، وكان لسياسة القضاء على مظاهر استقلال العراق عن السلطة المركزية قد أدت الى ارباك الولادة العثمانيين وضعفهم فبعد غياب داود باشا عام 1831م عجزت السلطة عن القضاء على ثورات القبائل العربية ولم تتمكن من وضع حد للقتال فيما بينها . ولاشك ان مساندة محمد علي باشا والي مصر الى هذه القبائل في ثوراتها واندفاعاتها كان له اثره في عجز الولاية عن مواجهتها ، ذلك أن محمد علي باشا كان

يطمح إلى ضم العراق بعد ان وحد مصر وبلاد الشام والحجاز
والسودان، أما الأكراد في شمال العراق فقد استمرت حريهم
مع الولاة الاتراك ايضاً وبمساعدة من ايران وشهدت الفترة (1831م - 1842م) معارك طويلة مع الاكراد الى ان عقدت في
مايو/ مايس . ايار 1842م معاهدة ارضروم الثانية بين الدولة
العثمانية وايران ، لكن هذه المعاهدة لم تنه تماماً الانتفاضات
الكردية ضد الحكم التركي المباشر
الوالي مدحت باشا (1869 - 1871م) :

في خضم هذه الاوضاع المضطربة عهد بولاية العراق
عام 1869م إلى شخصية إدارية وقيادية وإصلاحية هو (مدحت
باشا) الذي شهد العراق في عهده نهضة واستقراراً ، وكان من
انجازاته الادارية تنفيذ تقسيم العراق ادارياً الى ثلاث ولايات
للسيطرة عليه ففي عام 1874م استحدثت ولاية بغداد وولاية
البصرة ، وفي عام 1879 وبعد رحيل مدحت باشا بوضع سنوات
استحدثت ولاية الموصل.

أما عن إصلاحاته الأخرى فهي تطوير التعليم في العراق
والاهتمام بالرعاية الصحية من خلال إيجاد نظام الحجر الصحي
. وكان من أهم انجازاته إيجاد نظام (الطابو) في العراق بهدف
استقرار القبائل العراقية حيث تقوم إدارة الطابو(أي إدارة
تسجيل الأراضي) ببيع أراضي الحكومة بأسعار رمزية وبإقساط
سهلة الدفع إلى شيوخ القبائل للحصول على أراضي لقبائلهم

لزراعتها والاستقرار فيها ، فأصبح الكثير منهم ملاكا زراعيين وإقطاعيين . كما قام مدحت باشا بإنشاء مدينتي الرمادي في غرب العراق والناصرية في جنوبه لتشجيع على الاستقرار خصوصا القبائل الرحل غير المستقرة . واهتم مدحت باشا كذلك بطرق المواصلات بين العراق وأوروبا بعد فتح قناة السويس وطريق ربط العراق بسوريا وتركيا ومن ثم أوروبا. وقام مدحت باشا بإنشاء جريدة الزوراء وجلب مطبعة لها وادخل نظام الخدمة العسكرية . وهناك مشاريع أخرى توقف تنفيذها بعد نقل مدحت باشا إلى أدرنة عام 1871.

العراق قبل الحرب العالمية الاولى

__ إن الفترة التي اعقبت حكم مدحت باشا وحتى قيام الحرب العالمية الاولى هي فترة النهضة الفكرية والسياسية العربية في العراق وبلاد الشام ومصر خاصة والوطن العربي عامة ، ولذلك شهد العراق بولاياته بغداد والموصل والبصرة نهضة فكرية قادتها النخبة العراقية من أدباء وشعراء وصحفيين ومحامين ومعلمين.و كانت البداية مع إعلان الدستور العثماني في 23 كانون الأول 1876 والذي اعتبر تنويعاً لحركة الإصلاح العثماني ، وأطلق عليه المؤرخون العهد الدستوري الأول (المشروطية الأولى) لان العمل بهذا الدستور قد توقف بعد فترة

قصيرة من البدء به ولمدة 32 سنة إلى أن أعيد العمل به بعد الانقلاب الذي قاده جمعية الاتحاد والترقي عام 1908م وسمي بالعهد الدستوري الثاني (المشروطية الثانية) والذي استمر نافذاً إلى سقوط الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م .

كان العراق جزءاً من الدولة العثمانية فشملة العهد الدستوري لكنه عانى من الاضطهاد والتعسف بعد إيقاف العمل بالدستور. من جانب آخر كانت النهضة الفكرية تتطور خلال هذه الفترة ولذلك وعندما أعيد العمل بالدستور عام 1908 استقبلت بغداد أخباره وإجراء الانتخابات لجمع البرلمان باهتمام إلا أن هذا الاهتمام لم يكن حماسياً، وعموماً كان هناك تساؤل وترقب حول طبيعة الانتخابات والدستور لان المجتمع كان يجهل هذا الأمر خصوصاً وان العهد الدستوري الأول لم يشهد انتخابات وإنما اختير النواب من قبل المجالس الإدارية . وفي كل الاحوال فان العراقيين فهموا الدستور على انه وسيلة للتخلص من ظلم الولاة والموظفين الاتراك . وعندما اجريت الانتخابات النيابية في الولايات العراقية ظهرت الدعوات لانتخاب المرشحين العرب بدلاً من الاتراك بعد ان ظهرت السياسة العنصرية التركية لجمعية الاتحاد والترقي . وشهد العراق صدور عدد كبير من الصحف والمجلات ونشطت الحركة الفكرية بشكل واضح مع ظهور احزاب وجمعيات سياسية ذات طابع عروبي يدعو لحقوق العرب القومية و الحكم الذاتي لهم داخل إطار الدولة العثمانية

وكانت هذه الحركة الفكرية السياسية جزءاً من النهضة العربية التي شملت بقية اجزاء الوطن العربي والتي قادت لاحقاً الى قيام الثورة العربية عام 1916 م وشارك فيها الضباط والسياسيين العراقيين. ومع قيام الحرب العالمية الاولى واحتلال العراق من قبل البريطانيين ودخولهم بغداد في 11 اذار 1917م انتهى حكم الدولة العثمانية فيه لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ العراق بعد عام 1918م.

2- بلاد الشام

قام العثمانيون بتقسيم بلاد الشام الى ثلاث ولايات : هي ولاية حلب وتضم شمال بلاد الشام و ولاية طرابلس وتضم طرابلس و حمص وحماة وسط بلاد الشام وولاية دمشق وتضم سنجق صيدا و سنجق بيروت والقدس ونابلس وغزة وتدمر جنوب بلاد الشام .وقد بقي هذا التقسيم معمولاً به الى سنة 1560 حين استحدثت ولاية رابعة أطلق عليها ولاية صيدا (فلسطين) التي فصلت عن ولاية دمشق .

كانت السلطة العثمانية تميل الى تعيين ولاة اترك بدلاً من ولاة محليين من العرب لكن ذلك لم يمنع من تعيين ولاة عرب من سكان الولاية ذاتها بعد ان ظهرت شخصيات وعوائل قوية في الولايات العربية فرضت نفسها من خلال موقعها الاجتماعي او من خلال قوتها المحلية وكان لهذا الأمر أثره في ظهور الحركات الاستقلالية العربية التي اضعفت من سلطة الاتراك

العثمانيين وجعلتها مجرد سلطة اسمية كما حدث في بلاد الشام ومصر .

حكم آل العظم في ولاية دمشق :

لم تقف هذه العائلة بوجه الأتراك العثمانيين ، ولكنها
بكسب رضاهم حافظت على عروبة ولاية دمشق ، بل إن
السلاطين العثمانيين اضطروا إلى الرضوخ للأمر الواقع ودعم
هذه الأسرة العربية في حكمها لسوريا بدلا من المجيء بولاة أو
حكام أتراك لان هذه الأسرة أثبتت جدارتها في ضمان الأمن
والاستقرار بعد أن كانت سوريا عرضة لصراعات واضطرابات
سببها القوات الانكشارية التركية التي لم يعد لها عمل بعد توقف
التوسع العثماني وانتهاء العمليات العسكرية فأصبحت هذه
القوات العسكرية وبالأعلى الدولة العثمانية .
كان السلطان العثماني حريصاً على استقرار دمشق لأنها
تتحكم بطريق الحج الآتي من تركيا ومن شمال سوريا ، ولان
على حاكم ولاية دمشق أن يحمي الطريق الى الحجاز من
هجمات البدو من خلال قوات عسكرية ترافق الحجيج الى مكة
المكرمة ويؤمن لهم ايضاً حاجتهم من طعام وشراب . ونظراً
لصعوبة هذه المهمة فقد كان السلطان العثماني مضطراً إلى
تبديل الباشوات الذين يحكمون ولاية دمشق الى ان وجد

السلطان ضالته في أسرة آل العظم العربية السورية التي تمكنت من القيام بواجبها مما أدى إلى إطالة مدة ولاية العائلة والتزام السلطان بهم رغم ان السلطنة لم تكن تميل إلى حكم العوائل خشية تزايد نفوذها وتمردهم عليها . لقد حافظ باشوات آل العظم على الاستقرار في ولاية دمشق وظهرت شخصيات قوية منهم تمكنت من دحر وإخضاع حركات التمرد مما أدى إلى استمرار حكم آل العظم لحوالي اثنان وستون عاماً (1724 - 1786) رغم ضيق السلطنة العثمانية بهم بسبب اتساع نفوذهم .

ولاية طرابلس (لبنان)

يشكل لبنان جزءاً طبيعياً من بلاد الشام، وقد شملته الهجرات العربية من شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام و بعد ظهوره و انتشاره ، لذلك أصبح لبنان عريب اللغة والثقافة و التراث الحضاري منذ عهد الدولة العربية الإسلامية التي تعرض لبنان خلالها لغزوات من خارج الوطن العربي و منها الغزو الفرنجي (الصليبي) على سواحلها، لكنه لم يستمر طويلا و قضى عليه .

وعندما أصبح لبنان تحت الحكم العثماني، حضر الأمير اللبناني فخر الدين المعني الأول إلى دمشق على رأس جماعه من أمراء لبنان للترحيب بالسلطان سليم و تقديم فرائض الولاء له، فخلع السلطان سليم لقب (سلطان البر) على الأمير فخر الدين.و عندما

قسمت بلاد الشام إدارياً تجزأت لبنان بين ولايتي طرابلس ودمشق
و. عموماً فإن هذه التقسيمات الإدارية الداخلية لبلاد الشام لم تمنع
من ظهور إمارة عربية في وسط لبنان و جنوبه أقامها الأمير فخر
الدين المعنى . وقد بلغت هذه الإمارة أوجها زمن حفيده فخر الدين
الثاني 1590-1630 و انتهت بموت آخر أمرائهم احمد المعنى عام
1697 ، ثم خلفهم الأمراء الشهابيون الذين سيطروا على لبنان حتى
منتصف القرن التاسع عشر . و قد شكلت هذه الإمارات و خصوصاً
إمارة فخر الدين الثاني طموحاً عربياً واضحاً للتخلص من الهيمنة
التركية.

فخر الدين الثاني و توجهاته العروبية :

شهدت فترة حكم الأمير فخر الدين المعنى الثاني تألقاً لبنانياً
عروبياً واضحاً ، حيث تحالف مع جميع أمراء لبنان من الشهابيين و
غيرهم ، و بنى القلاع و رمم المتهدم منها و ازدهر الاقتصاد و الأمن
في عهده و استورد المدافع من أوروبا و تطورت علاقاته معها . و
اتسم عهده بالتسامح الديني و انعدام الطائفية . كما بدأ يعد جيشه
لثورة ضد الأتراك العثمانيين و التخلص منهم. و استولى على بعلبك
عام 1610م وهدد باحتلال الشام. تنبّهت الحكومة التركية العثمانية
إلى سياسة فخر الدين الثاني واعتبرته خطراً على عليها شأنه شأن
والده قرقماس و جده فخر الدين الأول، فأرسل السلطان العثماني
جيشاً برياً و أسطولاً بحرياً للقضاء عليه، فغادر فخر الدين لبنان
لعدم قدرته على مواجهة هذا الجيش و التجأ إلى إيطاليا ثم اسبانيا ،

ورفض دعوات الأسبان له لان يصبح واليا على إحدى المناطق الاسبانية مقابل أن يغير دينه من الإسلام إلى المسيحية . وعندما حصل تغير في حكومة اسطنبول و استبدل والي دمشق ، عاد فخر الدين الثاني إلى لبنان و استقبله اللبنانيون بحفاوة و استرجع حكمه و سلطته على امارته عام 1618م . ولم يكتف بهذا بل بسط سلطته خارج حدود إمارته فأصبحت سوريا الشمالية تحت حكمه. و في سنة 1623م أقطعه السلطان العثماني سنجق نابلس و عجلون و فتحت الطريق أمامه إلى فلسطين و شرقي الأردن مما أثار والي دمشق مصطفى باشا فهاجمه و لكن فخر الدين دحره في عنجر، و كان السلطان العثماني في حينها مراد الرابع البالغ من العمر اثنتي عشر عاماً فأصدر أمراً سلطانياً اعترف فيه بالأمير فخر الدين الثاني والياً على المناطق العربية التي تمتد من حلب إلى مصر و منحه لقب (سلطان البر و أمير عربستان)

قام فخر الدين بتطوير إمارته العربية عمرانياً و اقتصادياً و أقام العلاقات مع دول أوروبية ، و كان لتسامحه الديني أثره في التغاف الناس حوله من مختلف الطوائف و الأديان مما أثار الشك فيه مره ثانية من قبل الأتراك العثمانيين فأمر السلطان مرادا لرابع عام 1633م ،أي بعد عشر سنوات من منحه لقب سلطان و أمير من قبل السلطان نفسه ، والي دمشق احمد باشا بمقاتلة الأمير فخر الدين والقضاء عليه ، وهاجم الأسطول العثمانيين الموانئ و الحصون و دارت معارك عنيفة قتل فيها ابن فخر الدين الأمير علي ،

ولم يتدخل أصدقاءه الايطاليون و غيرهم ولم يقدموا له المساعدة ،
فاضطر إلى الالتجاء لإحدى القلاع ، ولكن الأتراك طاردوه إلى أن
أسروه مع ثلاثة من أبنائه و اقتيد إلى اسطنبول ، حيث أشيع كذباً انه
أرثد عن الإسلام فاصدر المفتي الأكبر أمر بإعدامه و نفذ عام
1635م ، كما قتل أولاده أيضا ، ولم يبق من ذريته غير ولده الصغير
حسين الذي أصبح فيما بعد سفيرا في الهند.
الشهابيون و تصاعد الوعي العربي ضد الأتراك :

تدهورت أحول لبنان بعد انتهاء حكم المعنيين و سادت
الفوضى و النزاعات مما اضطر وجهاء لبنان إلى الاجتماع عام
1697م و انتخبوا الأمير بشير الشهابي أميرا عليهم ، وهو ابن أخت
الأمير احمد المعنى آخر أمراء المعنيين لكن السلطنة العثمانية
رفضت هذا الترشيح و طلبت من والي صيدا إبلاغهم أن ينصب الأمير
حيدر الشهابي ابن بنت احمد المعنى و عمره اثنتي عشر عاماً ، وان
يستلم سلطة الإمارة حالياً بالنيابة عن المرشح الأول بشير الشهابي
لحين بلوغ حيدر سن الرشد. و قد تم تنفيذ هذا القرار و أصبحت
عاصمة المعنيين القديمة دير القمر مقراً للإمارة الشهابية
حكم الأمير بشير إلى سنة 1706م ثم تولى الأمير حيدر الحكم
إلى سنة 1732 و تبعه ابنه ملحم الذي تولى عن الامارة و انصرف
إلى حياة الزهد فارتبكت العائلة الشهابية و تنازع الأولاد و الأعمام
على السلطة إلى أن بلغ الأمير يوسف بن ملحم الشهابي سن الرشد

فاستلم الإمارة و تنازل أعمامه له ، و أعلن حاكماً على لبنان
بموافقة الباب العالي .

ظهر في فترة حكم الأمير يوسف قائدان آخران في بلاد الشام
هما ظاهر العمر الذي كان حاكماً لصغد و عكا ، و احمد الجزار الذي
أصبح حاكماً على عكا من بعده و اشتهر في صموده أمام غزو
نابليون لمدينة عكا و تقهره أمام أسوارها . فذاع صيت الجزار و
توسعت سلطته من فلسطين إلى سوريا و لبنان، فأنعم السلطان
العثماني عليه بان أصبح والياً لدمشق. و أصبح مهيمناً على شؤون
لبنان لحوالي ربع قرن من الزمن بعد أن تحالف مع الجنبلاطين
لكنه اصطدم بالشهابيين واعدم أميرهم يوسف الشهابي شنقاً بعد
أن هزمه في معركة قب الياس سنة 1788، وانتخب الأمير بشير
الشهابي بأمر الجزار حاكماً على لبنان. كان الأمير بشير الشهابي
طموحاً و حاول توسيع سلطته خارج لبنان لكن قوة سلطة الجزار
منعته واضطر لمغادرة لبنان إلى مصر بعد أن غضب منه الباب
العالي العثماني.

توثقت علاقة الأمير بشير بوالي مصر محمد علي باشا صاحب
المشروع النهضوي العربي بعد أن لجأ إليه فتوسط له محمد علي
عام 1821م لدى السلطان ليغفو عنه ، فعاد الأمير بشير الثاني إلى
لبنان و لعب دوراً مهماً في مساعدة إبراهيم باشا ابن محمد علي
باشا في حملته على بلاد الشام لتوحيد مصر و بلاد الشام ، فقد
سهل له دخولها ، واشترك جنوده اللبنانيين مع الجنود المصريين في

معارك فتح عكا و طرابلس وحمص و دمشق ، وتسلم أبناء الأمير إدارة هذه المدن بعد فتحها من قبل إبراهيم باشا .
إن ارتباط الأمير بشير مصيرياً بمحمد علي باشا قد أنهى سلطته و سلطة أبنائه عندما اندحر محمد علي أمام التحالف الانجليزي الروسي النمساوي البروسي العثماني ، وحددت سلطته بمصر وراثياً حسب معاهده لندن 1840م وانتهى بذلك مشروعه العربي النهضوي ، ولذلك وفي تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه استسلم الأمير بشير الثاني للانجليز و أقام في مالطة مع عائلته و عدد من حاشيته ، ثم انتقل إلى اسطنبول و توفي سنة 1850م، وفي سنة 1947م نقل رفاقه إلى قصره في عاصمته الجديدة (بيت الدين) .

ويعتبر عصر الأمير بشير الثاني جزءاً من عهد النهضة الفكرية العربية، ففي زمنه تم تأسيس العديد من المدارس و المعاهد العلمية و أرسل البعثات إلى القاهر وشيد معهداً طيباً. و تعتبر اعماله نواة النهضة العربية الفكرية والثقافية في لبنان .

الفتن الطائفية لطمس الهوية العربية بعد الشهابيين :

خلف الأمير بشير الثاني، أمير شهابي ضعيف هو بشير الثالث، و دام حكمه أكثر من سنة ثم عزله الأتراك العثمانيون لنتهي سلطة الشهابيين بوقوع الانقسامات و الفتن الطائفية.

إن عودة حكم الأتراك العثمانيين بعد عزل بشير الثالث عام 1842م و تعيين والياً هنجارياً من الجيش التركي على لبنان من اجل العمل على طمس هويته العربية ، قد صاحبه إثارة للفتن الطائفية ،ومن أبرزها الفتنة الدينية عام 1857م بين الدروز و الموارنة و التي أوقعت مذابح بين الطرفين في صيدا وحاصبيا و راشيا وزحلة ودير القمر و قرى أخرى عديدة مجاورة لبيروت بل إن المذابح امتدت إلى سوريا، و قد لعب القنصل الفرنسي في بيروت دوره في تأجيج هذه الفتنة ، تمهيداً لكي يعلن الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث تدخله في لبنان ، باحتلال مؤقت أمدته ستة أشهر و بموافقة إنجلترا وروسيا و النمسا و أدولة العثمانية لإنهاء المذابح و بحجة حماية الموازنة الكاثوليك .

إن هذا الصراع الطائفي و الديني قد أدى إلى تكريس هذا الواقع بتقسيم لبنان إلى قائممقامية شماليه مسيحية و قائممقامية جنوبية درزية ، وكلاهما مسؤول أمام والي صيدا المقيم في بيروت . ولكن هذا التقسيم زاد المشكلة سوءاً و تفاقم الصراع و القتال و التدخل الأجنبي و منها التدخل الفرنسي عام 1860م.وأخيرا تقرر إرسال لجنة أوربية إلى بيروت و الاستانة في يونيو / حزيران 1861قامت بصياغة نظام جديد في لبنان تقرر بموجبه أن تحكم لبنان حكماً ذاتياً تحت رئاسة حاكم مسيحي من غير اللبنانيين تعينه الدولة العثمانية لمدة ثلاث سنوات بعد موافقة الدول الأوربية عليه ،

وعرف باسم (المتصرف) يعاونه مجلس إداري من اثني عشر عضواً يمثلون الطوائف الرئيسة .
و اختير داود باشا الارمني متصرفاً ، كما قسمت متصرفية لبنان إلى ست مقاطعات على رأس كل منها قائمقام . وبذلك يكون هذا النظام الإداري أول دستور للبنان منذ عام 1864م وحتى قيام الحرب العالمية الأولى، لكنه كان دستوراً من أجل التقسيم القائم على أساس الطائفة والدين.



ظاهر العمر وحركته العربية الاستقلالية في ولاية صيدا (فلسطين) :

هو ظاهر عمر الزيداني من قبيلة عربية تدعى بنو زيدان كانت تسكن بين دمشق و حلب . وكان الامير بشير شهاب الاول قد اقام عمر والد ظاهر شيخاً على بلاد صفد. ولد ظاهر حوالي عام 1689م ونشأ نشأة عربية إسلامية ، واتصف بالشجاعة و الذكاء وكانت سمعته حسنة فحصل من باشا صيدا، وهو عربي من آل العظم، على التزام طبرية فحكمها منذ عام 1733م ، وتميز حكمه بالعدل والأمن والاستقرار مما ساعده على التوسع خارج طبرية وبعلم باشا صيدا الذي لم يكن يرفض طلبات ظاهر العمر ، كما ان سكان المناطق التي يضمها إليه كانوا يستقبلون وصوله إليهم بالفرح لما اشتهر به من العدل و الرحمة والقدرة على حمايتهم من السلب و النهب . فذاع صيت ظاهر العمر في فلسطين وبدأت الوفود تأتيه مطالبة اياه ان يكونوا تحت سلطته او ان يزيل عنهم ظلم حكامهم وملتزميهم الأتراك . ومن الواضح جداً ان ظاهر العمر كانت حركته عربية استقلالية لأنه سعى بكل الوسائل لضم اكبر مساحة ممكنه من بلاد الشام تحت سلطته ليخلصهم من ظلم الحكام الاتراك .

أن هذا المبادئ التي آمن بها ظاهر العمر ومارسها قد جعلت منه رمزاً عربياً للعدل و المساواة والشجاعة و الأمن وحماية الناس ، وعززت من قوته وقدراته في ضم مناطق أخرى

من بلاد الشام ، فتمكن من أن يحصل على التزام صفد عام 1739م التي كانت في حينها قلعة حصينة ، كما ضم بلاد بشارة الواقعة بين جبل الدروز (الشوف) وبلاد صفد عام 1742م واستخدم القوه والحرب في ضمها عندما وقفت بوجهه المعوقات . وتمكن من ان يحصل على موافقة ولى صيدا في التزام صفد والشوف .

ان اتساع نفوذ ظاهر العمر قد أثار ضده الباشوات العثمانيين القدامى وبدأوا يحيكون له الدسائس لدى والي صيدا والسلطة العثمانية ، لكنه لم يأبه مما أوصله بالنتيجة إلى الصدام مع السلطة التركية العثمانية . وكانت البداية الفعلية لهذا الصدام حين قرر ظاهر العمر ان يأخذ (التزام) مدينة عكا بحجة حمايتها من القراصنة المالطيين ، لكن والي صيدا رفض اعطاءها له . وعندما استشار أخاه سعد نصحه بان يأخذ عكا بالقوة معللاً ذلك بان السلطان العثماني لا يهتم من يكون الملتزم او المتولي بقدر أهمية دفع الضرائب المقررة له واستقرار المنطقة ، إضافة إلى أن قوة ظاهر وتأييد الناس له لن تجعل من السهل على باشا صيدا قتاله ، وان قرر ذلك فأن ما يمتلكه ظاهر من قوة تمكنه من دحره .

اقتحمت قوات ظاهر العمر مدينة عكا عام 1744م وخرج ملتزمها منها فأكرمه ظاهر ثم انتقل ظاهر الى عكا وجعلها مقراً لسلطته . وعندما علم باشا صيدا بالأمر لم يتمكن من التحرك ضد

ظاهر لكنه اظهر له العداء واخذ يتربص به وكانت هذه بداية الصدام بين باشوات صيدا من آل العظم وظاهر العمر ، خصوصاً وان هذا الأخير قد وسع نفوذه بعد عكا فضم الناصرة وحيفا والبلاد المجاورة لها ، مما حرم والي صيدا محمد باشا من الكثير من العوائد والموارد فاستعان بصهره سليمان باشا الذي كتب إلى السلطان العثماني يطلب الموافقة على قتال ظاهر العمر. وعندما وافق السلطان على ذلك قام سليمان باشا ومحمد العظم بحصار ظاهر وقواته في طبرية لمدة ستة أشهر لكنه تمكن من فك الحصار وهزيمة قواتهم وقتل سليمان باشا ومحمد العظم في المعركة فأرسل ظاهر العمر جيشاً إلى صيدا تمكن من السيطرة عليها وطرد نائب الباشا منها واعلى توليه عليها ، وطلب من السلطان العثماني إصدار فرمان بذلك ، فوافق السلطان بعد ان وصلته الأموال الكثيرة والهدايا الوفيرة من ظاهر وأصدر الفرمان (الأمر السلطاني) بان يصبح ظاهر العمر والياً على صيدا والإقطاعات التي كانت بيده قبل دخوله صيدا . ولكن الموافقة لم تكن سوى عملاً مؤقتاً ريثما تستعد السلطنة العثمانية للقضاء على ظاهر العمر ، لأنهم استاءوا وخشوا من هذا النفوذ الذي امتلكه ظاهر خصوصاً بعد ان طور جيشه وحصن أسوار عكا وأبراجها لمقاومة أي عدو له بما فيه القوات العثمانية .

حاول السلطان العثماني التخلص من ظاهر العمر باغتياله لكنه فشل لان بعض المناصرين لظاهر ابلغوه بنية السلطان ولذلك اصدر السلطان أمراً لظاهر بالتخلي عن ولاية صيدا وتسليمها إلى الوالي التركي الجديد الذي تم تعيينه درويش باشا ، وهو ابن والي دمشق عثمان باشا الصادق وكان ابنه محمد باشا عثمان الصادق قد عين والياً لطرابلس .ولان السلطان كان يعلم ان ظاهر العمر لن يتخلى عن سلطته بهذه السهولة ، فقد أمر الباشوات الثلاث (الاب والابنين) ومعهم باشا حلب وأمير الدروز بالقضاء على ظاهر العمر وأسرته . إلا أن ظاهر العمر تمكن من دحر القوات المتحالفة ضده وأوقع بها هزيمة نكراء أضعفت من شأن عثمان باشا وولديه . ثم تابع ظاهر انتصاراته بطرد درويش باشا من صيدا وقام بتعيين نائب له فيها بعد أن حصنها وعاد إلى عكا ظافراً منتصراً . واستمر بتوسيع إمارته العربية فضم كلاً من يافا والقدس والخليل تلبية لطلبات من أهلها . وابلغ السلطان العثماني المهزومة قواته بذلك ، فاضطر إلى الموافقة على طلبه بإصدار إرادة سلطانية بالموافقة على كل الإجراءات التي قام بها ظاهر مقابل خمسمائة كيس من الأموال دفعها ظاهر له. وهكذا ظهرت إلى الوجود قوة عربية في فلسطين خاصة وعموم الشام عامة تحدث الأتراك العثمانيين وجعلت من نفسها مثلاً بارزاً لعزيمة العرب وقوتهم في حكم ديارهم بأنفسهم ..

إن الاتجاه العروبي الرافض للهيمنة التركية قد كان من العوامل المهمة التي وثقت العلاقة بين ظاهر العمر وعلى بك حاكم مصر، وكان هذا الأخير يحذر ظاهر من مؤامرات السلطة العثمانية ، واهدي استعدادة للوقوف إلى جانب ظاهر العمر ضد والي الشام عثمان باشا لذلك أرسل على بك الكبير قوات عسكرية من مصر لنجدة ظاهر في حربه مع عثمان باشا والي دمشق ، كان لها الأثر في تحقيق الانتصارات على القوات العثمانية وتشجيع ظاهر في الاستيلاء على بيروت بمساعدة الأسطول الروسي الموجود في البحر المتوسط ، وطرده حاكمها العثماني احمد باشا الجزار ، حيث أن روسيا كانت في حالة حرب وعداء مع الدولة العثمانية ، ولذلك دعمت وشجعت الحركات الاستقلالية العربية في بلاد الشام ومصر . من جانب آخر فأن وقوف على بك الكبير مع ظاهر باشا كان هدفه أيضاً تأمين حدود مصر من جهة بلاد الشام لتبقى بمنأى من أي خطر عثماني يأتيها منها إضافة إلى ان دعمه لظاهر باشا سيساعد في القضاء على القوات العثمانية التي تتجمع حول الباشوات الأتراك في بلاد الشام .

نهاية ظاهر العمر ومصير بلاد الشام :

كانت القوات المصرية التي جاءت إلى الشام وساندت ظاهر العمر قد عادت إلى مصر بقيادة المملوك محمد بك أبو الذهب بعد تحقيق الانتصار على الأتراك العثمانيين إلا أن أبو

الذهب أعلن تمرده بعد عودته إلى مصر ضد رئيسه علي بك الكبير عام 1773م ففر هذا الأخير إلى حليفه ظاهر العمر في بلاد الشام بفلسطين ، فتحالف أبو الذهب مع الباشوات الأتراك في الشام وقاد حملة جديدة إلى فلسطين عام 1775م ليتعقب علي بك و تمكن من الاستيلاء على الجزء الجنوبي من إمارة ظاهر العمر ، ولكن وفاته المفاجأة جعلت جيشه ينسحب عائداً إلى مصر . كان هذا الاندحار العسكري لظاهر العمر أمام أبو الذهب حافزاً قوياً للقضاء على ظاهر ، فأرسلت الدولة العثمانية حملة كبيرة حاصرت عكا و استولت عليها وطاردت ظاهر العمر إلى أن قتل على يد أحد حراسه بتحريض من الأتراك العثمانيين في شهر أغسطس / آب 1775 م

أما عن مصير بلاد الشام بعد ظاهر العمر ، فإن السلطان العثماني قد أعاد إلى السلطة المملوك المصري الهارب الى الشام زمن علي بك (احمد باشا الجرار) مكافأة له على خدماته في القضاء على حركة الشيخ ظاهر العمر ، فأصبح والياً على دمشق وطرابلس وصيدا واتخذ من عكا مركز له ، وبذلك أصبح الجزار الحاكم الفعلي على بلاد الشام

كانت سياسة الجزار الوحشية والقاسية مع عرب بلاد الشام أثرها في قيام ثورات مستمرة في دمشق وبيروت وصيدا وغيرها في المدن إلى ان تم تعيين والي جديد على دمشق عام 1789م. ثم أصبحت البلاد بعد ذلك تحت الحكم الفرنسي عندما

غزا نابليون بلاد الشام و صمدت أسوار عكا أمام جيشه الذي تغشت فيه الأمراض واضطر إلى الانسحاب من بلاد الشام إلى مصر، فعادة سطوة احمد باشا الجزائر الذي ادعى انه كان السبب في دحر قوات نابليون ، لكن حكمه لم يدم بعد ذلك طويلا فقد توفي عام 1804 واستطاع قائد جيشه سليمان باشا أن يحكم جنوب بلاد الشام لمدة خمسة عشر عاماً 1804-1819 بينما حكم الولاية الأتراك ولاية دمشق واستمر الشهابيون في حكم لبنان. إلا أن خليفة سليمان باشا عبدالله باشا قد أعاد إلى أذهان أهل جنوب بلاد الشام قسوة ودموية احمد الجزائر. استقرت الأوضاع في بلاد الشام وعاشت برحاء وأمان عندما فتحتها جيوش محمد علي باشا والي مصر بقياده ولده إبراهيم باشا ، حيث استقلت بلاد الشام عن الدولة العثمانية وتوحدت مع مصر فكانت أول خطة لحلم نهضة عربية مستقلة استمر لست سنوات 1833-1839م لكن تخالف الأوروبيين مع العثمانيين ضد محمد علي واحتلالهم لبلاد الشام قد أجهض هذا الحكم العربي فعادت بلاد الشام إلى حكم العثمانيين المباشر بعد أن حددت معاهده برلين عام 1840م حكم محمد علي باشا وراثياً في مصر فقط .

3- مصر والسودان

كان اندحار ممالك مصر في معركة مرج دابق شمالي حلب عام 1516م البداية لاحتلال العثمانيين لبلاد الشام بأجمعها

ومن ثم مواصلة السلطان العثماني سليم الاول زحفه نحو مصر
فاحتلها عام 1517م ودخل القاهرة لينهي بذلك دولة المماليك
في مصر وبلاد الشام .

أصبحت مصر وأجزاء من السودان تحت سلطة الدولة
العثمانية منذ القرن السادس عشر وحتى احتلال نابليون بونابرت
لها عام 1798م في أواخر القرن الثامن عشر ، ثم عادت وبعد
اتهاء الاحتلال الفرنسي لها لتصبح هي والسودان تحت حكم
محمد علي باشا والي مصر الذي كان يتبع أسمياً إلى الدولة
العثمانية والذي أصبحت مصر والسودان تحت حكم عائلته وراثياً
وفقاً لمعاهده لندن عام 1840م . وخلال حكم سلالة محمد
علي باشا احتلت بريطانيا مصر عسكرياً عام 1882 والسودان
عام 1889 بعد القضاء على الثورة المهدية لينتهي حكم الدولة
العثمانية الاسمي عليها وليستمر مع الاحتلال البريطاني حكم
سلالة محمد علي باشا على مصر والسودان.
أ- مصرفي العهد العثماني الاول :

تصارعت على السلطة في مصر بعد احتلالها من قبل
العثمانيين قوتين رئيسيتين نافستا الوالي العثماني في حكمه ،
وهما قادة الجند من الاوجاقات والبكوات المماليك . وكان
المماليك انفسهم يتنافسون فيما بينهم على منصب (شيخ البلد)
وهو حاكم القاهرة الذي يعتبر من أعلى المناصب و يليه أمير

الحج ، يقابلهم منصب الباشا أو الوالي الذين كانوا ضعيفاً أمامهم وخصوصاً في القرن الثامن عشر .
ان الصراع على المناصب الإدارية قد كان له تأثيره على الشعب العربي في مصر إذ تدهورت الزراعة والتجارة وزادت مقابل ذلك الضرائب التي يفرضها شيخ البلد ومع ذلك فقد ظهرت من بين المماليك شخصيات قوية تمكنت من السيطرة على مصر بعد تصفية الشخصيات والقوى المقاومة لهم وكان أولهم على بك .
علي بك الكبير واستقلال مصر (1728-1773) :

ولد على بك سنة 1728م في قرية أماسيا في بلاد الأناضول ، والده قسيس رومي ، وقد خطف على بك وهو في الثالثة عشر من عمره وبيع في القاهرة باسم (يوسف) وتزوج مسيحيه أسلمت على يديه . كان على مملوكاً لإبراهيم كتحدا ، وفي شبابه ظهرت شخصيته القوية وطموحه وقسوته وتقلد المناصب حتى أصبح أميراً للحج وكبيراً للمماليك وأخيراً تقلد منصب (شيخ البلد) عام 1763م وقام بالتخلص من جميع منافسيه في السلطة او في المواقع الاجتماعية بما فيهم قادة القبائل العربية . وكان من بين الذين تخلص منهم عبد الرحمن كتحدا الذي نفاه الى الحجاز وقتل صالح بك فتخلص من منافسين قوين له في مشيخة البلد .
أما عن القوى العربية المحلية التي ثارت ضده ، فقد أرسل لها حملات عسكرية وقضى عليها وعلى زعمائها مثل

سولم بن حبيب وهمام بن يوسف الهواري .واعتمد على بك
الكبير في حملاته هذه على مساعده محمد بك أبو الذهب، كذلك
كان احمد الجزار من مساعديه الذي اشتهر بالبطش و القسوة
ضد عرب الدلتا الثائرين .

سيطر على بك الكبير على مصر بأجمعها ولم يبق أمامه
سلطة قوية سوى الدولة العثمانية والوالي العثماني في القاهرة
لكن الظروف خدمته عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب مع
روسيا وشعر بحاجتها إلى قوات من مصر عندها قام بخلع الوالي
عام 1768م وأعلن نفسه مكانه مع استرضاء السلطة العثمانية
بالهدايا والأموال ولم يكتف علي بك بهذا بل طالب بان لا ترسل
الدولة والي من اسطنبول إلى مصر ثم أعقبها بهدايا وأموال
وخيول مصريه أخرى للسلطان العثماني ورجال دولته مع رسائل
من علماء مصر ومشايخها وعلى رأسهم الشيخ حسن الجبرتي ،
يطلب فيها أن تنظم بلاد الشام إلى سلطته متحججاً بان والي
دمشق عثمان باشا يعاديه ويأوي المصريين الفارين من حكمه
ويعاونهم للعودة إلى مصر للتخلص منه ، لكنه لم يرده جواب
من السلطان العثماني.و استغل على بك الكبير طلب السلطنة
العثمانية بتهيأة قوات عسكرية لدعم الدولة في حربها مع روسيا
فقام بإعداد جيش ضخم وكبير كان هدفه احتلال بلاد الشام
وليس معاونة السلطة العثمانية، مما أثار مخاوفها منه ومن
احتمال تعاونه مع روسيا التي كانت تحقق الانتصارات على

الدولة العثمانية والتي كانت تشجع القوى المحلية في الولايات العربية للثورة ضد الحكم العثماني .

ان شكوك الدولة العثمانية قد دفعتها إلى التخطيط لاغتيال على بك ، لكنه اكتشف هذا الأمر وقام رجاله بقتل من كلف باغتياله وصور لقادة المماليك على أنها مؤامرة ضدهم جميعاً فأستمالهم وأعلن استقلال مصر عن الدولة العثمانية وابلغها بعدم إرسال والي عنهم إلى القاهرة. ولم يتوقف على بك الكبير عند هذا الحد بل عمل على منع إرسال الأموال المقررة سنوياً من مصر إلى السلطة العثمانية ، وقام بسك النقود باسمه ودون عليها تاريخ استقلال مصر عن الدولة العثمانية (1183هـ).

كانت طموحات على بك الكبير واسعة فقد أراد تكوين دولة عربية تضم مصر والسودان و الحجاز وبلاد الشام وقال ان ضم الحجاز إلى مصر سيؤمن طريق الحج للمصريين والمغاربة والسودانيين وأهل الشام ، وكان يهدف من هذا أيضاً تحويل تجارة جنوب شرق آسيا والهند إلى البحر الأحمر وبرزخ السويس بدلاً من مرورها عبر رأس الرجاء الصالح في جنوب أفريقيا ، وبدأت خطوته الأولى بالاستيلاء على ميناء جدة لجعله مركزاً للتجارة مع الهند ولمراقبة الملاحة في البحر الأحمر وعزل الوالي العثماني منها ونصب احد أعوانه والياً عليها وهو المملوك حسن بك الجداوي . اما عن الحجاز نفسها فقد استغل على بك الخلاف القائم في الحجاز حول مركز (الشرافة) فيها بين الشريف احمد

القائم عليها وبين ابن عمه الشريف عبدالله الذي يجد نفسه
احق بالشرافة من ابن عمه. فسافر إلى مصر واستجد بعلي بك
الكبير الذي جهز جيشاً كبيراً بقيادة محمد ابو الذهب واستولى
على الحجاز وأقصى الشريف احمد الموالي للأتراك العثمانيين
واحل محله ابن عمه الشريف عبدا لله ونودي بعلي بك الكبير في
الحرمين الشريفين باسم سلطان مصر وخاقان البحرين عام
1770م .

لم يبق أمام علي بك الكبير بعد تحقيق هذه الانتصارات
إلا أن يتوجه إلى بلاد الشام التي كانت تعيش حركة استقلالية
عربية بقيادة ظاهر العمر معادية للسلطة التركية العثمانية مما
وثق العلاقة بين علي بك و ظاهر العمر ضد الباشوات الأتراك
العثمانيين ، وهي حجة لتحقيق هدفه الأساسي في تكوين
دولته التي يحلم بها ولتبقى جيوش العثمانيين بعيدة عن مصر .
في أواخر عام 1770م أصبحت قوات علي بك الكبير
جاهزة بقيادة محمد ابو الذهب ومعاونه فأعلن علي بك ان
قواته ستتقدم للاستيلاء على بلاد الشام من اجل القضاء على
عثمان باشا والي دمشق لأنه يقوم بإيواء خصومه وأعدائه
وإعدادهم للهجوم على مصر ، ولأنه يعامل أهل الشام معاملة
سيئة مما جعلهم يتذمرون من حكمه .
أحرز محمد بك أبو الذهب انتصارات عديدة في بلاد الشام
بمعاونة قوات الشيخ ظاهر العمر ، وتمكنت قواتهما من

الاستيلاء على غزة وبافا ونابلس والد و أرملة وصيدا ، ثم دخلوا دمشق في شهر ابريل /: نسيان 1771م. وبسبب خلافات بين القادة لم تتقدم القوات بعد دمشق رغم أمر على بك ، بل انسحب محمد بك أبو الذهب من بلاد الشام عائداً إلى مصر مما فسخ المجال للقوات العثمانية ان توجه الضربات إلى ظاهر العمر. كما أن هذا الانسحاب قد أساء إلى سمعة على بك فظهر النزاع واشتد بينه وبين مملوكه وقائد قواته العام محمد أبو الذهب الذي أصبحت له قوة تضاهي على بك الكبير، فاضطر هذا الأخير إلى مغادرة مصر مع جماعته ولجأ الى صديقه ظاهر العمر في عكا ، حيث بدأ بتجهيز قوات بمعونة ظاهر العمر وقائد الأسطول الروسي في البحر المتوسط و توجه إلى مصر لإعادة سلطته فيها . وفي 26/ ابريل / نيسان 1773مواجه على بك بجيشه جيش محمد أبو الذهب في معركة كان النصر فيها لهذا الأخير وجرح على بك فنقله أبو الذهب إلى القاهرة وقدم له الرعاية الطبية في 8 مايو / أيار 1773 وأصبح محمد أبو الذهب حاكم مصر الفعلي بالرغم من تعيين والي عثماني على مصر في 8 يونيو / حزيران 1773م وهو الوزير خليل باشا الذي لم يكن سوى اسم أمام سلطة محمد ابو الذهب ، وقد قام أبو الذهب بالقضاء على إمارة الشيخ ظاهر العمر في عكا بعد ان أغراه السلطان العثماني بان يكون والياً على الشام ومصر

مكافأة له .إلا أن أبوذهب توفي في العام نفسه الذي قضى فيه على أماره الشيخ ظاهر 1775م.

ساعات أحوال مصر في عهد خلفاء أبو الذهب وانتشر الظلم والفساد إضافة إلى الخلافات بين المماليك وخصوصاً في عهود كل من إسماعيل بك وإبراهيم بك ومراد بك ، مما اضطر الدولة العثمانية إلى التدخل بحملة عسكرية عام 1786م فعاد إبراهيم ومراد من الصعيد ليستلما السلطة وتقلدا منصب شيخ البلد وأمير الحج بالتناوب مع وجود الوالي العثماني الضعيف حتى فاجأتهما الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت عام 1798 م .

ب - الاحتلال الفرنسي لمصر(1798):

لعبت عوامل عديدة دورها في احتلال فرنسا لمصر ويأتي في مقدمتها تنافسها مع عدوها الذي لا يقهر بريطانيا، فقد أرادت فرنسا أن تجعل من البحر المتوسط بحيرة فرنسية لا تنازعها فيه بريطانيا، وأن تكون مصر قاعدة فرنسية لغزو الهند التي تستعمرها بريطانيا. والسبب في اختيار الفرنسيين لمصر هو موقعها الجغرافي، فهي تربط بين البحر المتوسط و البحر الأحمر من خلال منطقة السويس، كما أنها تتوسط القارات الثلاث أوروبا واسيا وأفريقيا، وأن تحطيم الأسطول البريطاني وغلق طرق التجارة البريطانية و السيطرة عليها هو أفضل بكثير من مهاجمة بريطانيا نفسها. من جانب آخر كانت الحكومة الفرنسية تريد إبعاد

نابليون بونابرت عن فرنسا لتزايد شعبيته بعد انتصاراته في إيطاليا. وهكذا نجد أن التنافس الأوروبي على الوطن العربي ومناطق آسيا مثل الهند للحصول على المواد الأولية للصناعة والموارد الأخرى وفتح أسواق لتلك الصناعة الأوربية كانت السبب الرئيسي في تقاسم دول أوروبا السيطرة على الوطن العربي بشكل خاص وآسيا وأفريقيا بشكل عام.

في 3 تموز (1798م) استولت القوات الفرنسية على مدينة الإسكندرية بقيادة نابليون بونابرت ، وفي أواخر الشهر نفسه احتل الفرنسيون القاهرة . ورغم أن نابليون قد وزع منشوراً على المصريين أدعى فيه أنه أقرب إلى المسلمين ، وأنه جاء لإنقاذهم من المماليك الذين أعلنوا عصيانهم على السلطان العثماني ، هذا السلطان الذي تحبه و تحترمه فرنسا وتخلص له ، ألا أن القوات الفرنسية استباححت القاهرة و دخلت الأزهر بخيولها و سرقوا و قتلوا ودمروا المكتبات ومزقوا المصاحف وربطوا خيولهم في قبة الأزهر.

استقر نابليون في قصر محمد الألفي في محلة الأزبكية بمدينة القاهرة و بدأ بتنظيم الإدارة و طريقة حكمه لمصر، ولكنه أصيب بصدمة كبيرة عندما قام الأسطول البريطاني بقيادة الجنرال نلسن بمفاجأة الأسطول الفرنسي الذي كان راسياً في خليج (أبو قير) على الشواطئ المصرية، فهاجمه في شهر آب (1798م) وحطم وأغرق معظم السفن الفرنسية، فكانت هزيمة كبيرة لنابليون

و لفرنسا. كما أنها أدت إلى انقطاع الاتصال بين نابليون و بين فرنسا.

كانت الدولة العثمانية ما تزال تعتبر مصر جزءاً من أراضيها بعد احتلال نابليون لها وعندما علمت بتحطم الأسطول الفرنسي في أبي قير تشجعت لاستعادة سيطرتها على مصر، فعقدت معاهدة مع عدو فرنسا الأول بريطانيا عام (1799م) تمهيداً لطرد الفرنسيين من مصر. ولما وصلت هذه الأخبار إلى نابليون قررت مهاجمة الدولة العثمانية قبل أن تهاجمه فقام بغزو بلاد الشام واحتل في طريقه غزة وبافا و حاصر عكا التي صمدت أسوارها و أهلها بوجهه لمدة شهرين، وتفشى المرض بجيشه ففشلت حملته عليها.

عاد نابليون إلى مصر بعد أن وصلته أنباء قيام ثورة شعبية ضده بدأت من الأزهر في حي البولاق ولعب رجال الأزهر دوراً كبيراً فيها. ويذكر أمين سعيد في كتابه تاريخ مصر السياسي أن أهالي القاهرة قاتلوا الفرنسيين في كل شارع ومنزل وقاوموا مقاومة باسلة، ولكن الثورة انتهت لأن نابليون واجهها بالمدفعية والأسلحة الحديثة.

ومع عودة نابليون إلى مصر تدهورت الأوضاع الداخلية في فرنسا وتكون حلف أوربي ضدهما مكون من بريطاني و النمسا وروسيا و الدولة العثمانية، فغادر نابليون مصر سراً إلى فرنسا. وترك

قواته تحت قيادة الجنرال كليبر الذي انسحب أمام تقدم القوات العثمانية والبريطاني.

ج- مصر في العهد العثماني الثاني :

بعد مغادرة نابليون بونابرت لمصر ، دخل الجنرال كليبر ، الذي حل محله في قيادة القوات الفرنسية ، في مفاوضات مع الدولة العثمانية للانسحاب من مصر أسفرت عن توقيع اتفاقية العريش في يناير / كانون الثاني 1800م ونصت على خروج الفرنسيين بجميع أسلحتهم من مصر خلال ثلاثة أشهر وعلى نفقة الدولة العثمانية وبحل الجيش التركي محل القوات الفرنسية في المراكز التي كانت تحتلها ، لكن بريطانيا رفضت السماح بخروج الفرنسيين من مصر إلا كأسرى حرب ، مما اضطر الجنرال كليبر قائد القوات الفرنسية الى مهاجمة القوات التركية التي وصلت إلى عين شمس في طريقها إلى القاهرة ومزق شملها ، واستمرت المناوشات بين الأتراك العثمانيين والفرنسيين إلى أن اغتيل الجنرال كليبر على يد شاب سوري هو سليمان الحلبي في 14 يونيو / حزيران 1800 م تخلفه القائد الفرنسي مينو .

إن إصرار الفرنسيين على الخروج من مصر بشكل مشرف قد اقنع الحكومة البريطانية بصعوبة طرد الفرنسيين من قبل القوات التركية العثمانية دون تدخل بريطانيا ، فأرسلت حملة عسكرية في شهر آذار / مارس 1801 م تمكنت من إلحاق الهزيمة بالجيش

الفرنسي وزحفت القوات البريطانية إلى القاهرة مما اضطر القائد الفرنسي الى تسليمها والجلء عن مصرفي شهر سبتمبر / أيلول 1801م .

بعد خروج الفرنسيين من مصر بقيت القوات البريطانية فيها مع بعض القوات العثمانية ، من جانب آخر ظهر التنافس بين الأتراك العثمانيين والمماليك للسيطرة على الحكم في مصر .وأخيرا اضطر البريطانيون للخروج من مصر عام 1803م نتيجة ضغوط فرنسا والدولة العثمانية بعد ان حاولوا التحالف مع المماليك للبقاء فيها . وقد استمر هذا التحالف المملوكي البريطاني لدرجه ان الانجليز عادوا لغزو مصر عام 1807م فقاومهم الشعب العربي في مصر وهزمهم مرتين في رشيد ، مما اضطرهم الى الانسحاب الى الإسكندرية ومغادرة مصر .

محمد على باشا ومشروعه العربي النهضوي(1805-1848 م) :

إن عودة العثمانيين إلى حكم مصر قد صاحبتة تحديات جديدة من قبل أمراء المماليك الذي تعاونوا مع البريطانيين ، لذلك قاموا بإبعادهم وإضعافهم بعد خروج الانجليز ، وقد تمرد المماليك ضد الولاة العثمانيين في مصر لكنهم لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم .

أدى استمرار الصراع بين الولاة العثمانيين والمماليك إلى حالة من الفوضى وكان آخرها زمن الوالي خسرو باشا الذي ثار الجنود عليه بسبب تأخر رواتبهم فهاجموا المدينة القديمة في القاهرة

واحتلوا البيوت وقتلوا بعض السكان ، فأحتج أهل القاهرة وأعلنوا الإضراب واتصل علماء الأزهر بالوالي وطلبوا منه إخراج الجند من المدينة وعدم السماح لأي منهم بدخول القاهرة ونقلهم إلى الجزيرة كما طالبو الوالي العثماني بعدم فرض الضرائب إلا إذا أقرها العلماء ووجهاء الناس . لكن الوالي لم يستجب فقرروا عزله وعينوا محله محمد علي الألباني ، وهو قائد للفرقة الألبانية التي شاركت مع الحملة العثمانية في طرد الفرنسيين من مصر وعرف بذكائه ودهائه. واشترط العلماء والوجهاء على محمد علي أن يحكم بالعدل والشرعية وأن يوقف المظالم وأن لا يقوم بعمل إلا برأي العلماء إلا إن الوالي العثماني رفض الاعتراف بهذه الإجراءات فحصلت معارك بين الطرفين انتهت باضطرار السلطان العثماني تعيين محمد علي والياً على مصر يوم 9 يوليو - تموز 1805 م .

كان أول عمل قام به محمد علي هو التخلص من المماليك الذين كانوا يناصبونه العداء ويخلقون له الفتن والاضطرابات ، فأقام احتفال في قلعة القاهرة لمناسبة إرسال أول حملة عسكرية خارج مصر الى الجزيرة العربية برئاسة ابنه طوسون ، ودعا إلى الحفل قادة المماليك وأمراءهم فكان تجمعهم في القلعة وسيلة لإبادتهم فيها ، كما طارد أتباعه المماليك في كل مصر وانهوا قوتهم ووجودهم . وانصرف محمد علي بعد ذلك إلى تكوين جيش من أبناء مصر .

لقد كان محمد علي باشا يخطط لمشروع نهضوي عربي لا يشمل مصر لوحدها وإنما الجزيرة العربية وبلاد الشام والسودان

والعراق وذلك بقيام دولة عربية موحدة ذات أسس حضارية وتنموية مع انه لم يكن عربياً ، ولكن مشاعره وثقافته الإسلامية دفعته بهذا الاتجاه لدرجة ان ولده إبراهيم كان يصرح بأنه عربي وهو جزء من هذه ألامه ويقول (ان شمس مصر قد طهرت دمي وإحالاته دماً عربياً) وكان إبراهيم باشا قد عاش في الأرض العربية وتعلم اللغة العربية الفصحى ودرس التاريخ العربي .

قام محمد علي بتطوير جيشه وإنشاء أسطول مصري واهتم بإقامة الصناعات الوطنية المصرية ونشر الثقافة العربية وجعل من مصر منطلقاً لإنشاء دولة عربية موحدة تضم مصر والجزيرة العربية والسودان وبلاد الشام والعراق. وكانت أولى الحملات التي استهل بها محمد علي باشا القرن التاسع عشر حملته على الجزيرة العربية خلال السنوات 1811-1818م حين أبحر إسطوله من السويس في شهر / أيلول بقيادة ابنه احمد طوسون لقتال الوهابيين مستغلاً طلب السلطان العثماني في محاربتهم ، وقد حشد في الحملة الجنود الأتراك والألبان القدماء للتخلص منهم .

تمكنت قوات محمد علي من الاستيلاء على المدينة المنورة ومكة المكرمة والطائف وسائر مدن الحجاز لكنها لم تتمكن من القضاء على حكم آل سعود فأرسل ابنه إبراهيم باشا لقيادة الحملة فأستطاع الاستيلاء على الدرعية عاصمة آل سعود في 9 سبتمبر / أيلول 1818م واستسلم أميرها عبدا لله بن سعود وقيد أسيراً إلى مصر ثم الاستانة . وبعد سقوط الدرعية تمكنت قوات

محمد على باشا من بسط نفوذها على نجد والحجاز والعديد من مناطق الخليج العربي وتهامة وعسير وإلى حدود اليمن . بعد أن انتهت مهام قوات محمد على في الجزيرة العربية وجه حملة عسكرية جديدة بقيادة ابنه إبراهيم باشا لضم السودان التي تشكل هي ومصر وحدة طبيعية وتاريخية واقتصادية ، كما كان له هدف آخر وهو القضاء على المماليك الذين التجأوا إلى السودان بعد مذبحة القلعة . ففي 18 يوليو / تموز 1818م بدأت الحملة العسكرية ، لكن ابنه إبراهيم باشا مرض وعاد إلى مصر ليواصل إسماعيل باشا المعركة إلى أن قتل ، فحل محله صهر محمد على باشا الدفتردار . وقد استولت قوات محمد على باشا على مناطق واسعة من السودان ودخلت العاصمة السودانية في 21 يوليو/ تموز 1821م.

كانت أهم فتوحات محمد على باشا هي حملته إلى بلاد الشام وتوغله في الأراضي التركية بعد ان ضعفت الدولة العثمانية أمام القوى الأوروبية الطامعة إضافة إلى بوادر النهضة العربية الفكرية والسياسية الراضية للهيمنة التركية والظلم التركي ، ولذلك كانت الظروف مواتية للقيام بالحملة لان العرب مسلمين ومسيحيين كانوا يتطلعون لمن ينقذهم ، بل ان بعض الأمراء العرب ومنهم الأمير بشير الشهابي في لبنان كانت تربطه علاقات ودية مع محمد على باشا . ومن العوامل الأخرى التي دفعت محمد على باشا لفتح

الشام هو حماية مصر من الغزو الآتي من الشرق ومن الأتراك
العثمانيين أنفسهم .

لم يكشف محمد علي باشا عن دوافعه هذه في فتح الشام
وإنما أعلن سبباً لا يشير السلطان العثماني ضده وهو قتال والي عكا
عبدالله باشا الذي كان يطمح في جعل بلاد الشام تحت سلطته
وكان يدس الدسائس على محمد علي باشا لدى السلطان وقد
تحجج محمد علي باشا بان عبدالله باشا رفض إعادة الذين هاجروا
إلى عكا من مصر هرباً من مشاركتهم في حملة الإعمار التي قام
بها محمد علي باشا في الأقاليم المصرية، كذلك رفض عبد الله باشا
تسديد الديوان المترتبة عليه لمحمد علي باشا وساند مهربي
البضائع إلى مصر .

أبحر الأسطول المصري بقيادة إبراهيم باشا محملاً
بالمدفعية وثلاثين ألف مقاتل من ذوي التدريب الجيد واحتل في أول
خطوة له يافا في نوفمبر / تشرين الثاني 1831م فاستقبله الناس
بحفاوة وانظم حاكم يافا لهم ، وشارك بحارة يافا في أسطول
إبراهيم باشا في فتح عكا بعد ذلك، وانضمت غزة إلى الفاتحين.
وعندما تقدمت قوات محمد علي باشا بقيادة ابنه إبراهيم برآ انظم
إليها مقاتلين من فلسطين لتحاصر عكا برآ وبحراً في عام 19
ديسمبر كانون الأول 1831 م الى ان سقطت في أواخر 1832 م
ونقل والي عبدالله باشا إلى القاهرة أسيراً من جانب آخر قاد الأمير
بشير الشهابي حاكم جبل لبنان قوة من فرسانه شاركت في معركة

عكا، كما كلف ابنه خليل بتجنيد اللبنانيين ومنع الحملة التركية من الدخول عن طريق منطقة طرابلس .

تمكنت قوات محمد على بعد ذلك من فتح بيروت وطرابلس وبعلبك فأصبحت بلاد الشام الجنوبية والوسطى تحت سيطرة محمد على باشا . ثم زحفت قواته إلى دمشق بعد أن انظم إليها المتطوعين الفلسطينيين والسوريين فاستولت في طريقها على طبرية وصفد والقنيطرة ثم دمشق التي رحبت بقوات محمد على باشا وبعد ذلك حمص وحماة وحلب والإسكندرية وإنطاكية والسويداء واللاذقية وبذلك أصبحت بلاد الشام بأجمعها جزءا من الدولة العربية الجديدة بقيادة محمد على باشا التي أصبحت حدودها حتى أضنة شمالا إلى السودان جنوباً وحدود ليبيا والبحر المتوسط غرباً والعراق شرقاً .

نهاية محمد على باشا ومشروعه النهضوي :

لم يكن محمد على باشا يرغب بالصدام عسكرياً مع الدولة العثمانية ولذلك اقترح عقد اتفاق يتضمن ثلاث نقاط:

1- ان تعترف السلطة العثمانية بالإدارة المحلية الجديدة لمحمد على باشا في حدود المناطق التي سيطر عليها وترك حكمها له

2- ان يدفع محمد على باشا جميع الأموال التي كانت تحصل عليها السلطة العثمانية من البلاد التي فتحها وسيطر عليها .

3- اعتراف محمد علي باشا بسيادة الدولة العثمانية على دولته الجديدة

تظاهرت السلطة العثمانية التركية بقبول التفاوض ، لكنها أرادت كسب الوقت لحشد جيش في قونية لمهاجمة قوات محمد علي باشا . من جانب آخر أبدت الدول الأوربية الرغبة في الوقوف إلى جانب السلطنة العثمانية ضد محمد علي باشا ، لأنها وجدت في مشروعه النهضوي الذي يوحد منطقة كبيره وإستراتيجية من الوطن العربي تهديداً لمصالحها وأهدافها في تقاسم أملاك الدولة العثمانية وبالذات الوطن العربي بعد أن أصبحت تطلق عليها (الرجل المريض) .

أدرك محمد علي ان السلطنة العثمانية تراوغ وتطيل المفاوضات من اجل الهجوم على قواته ، فأستأنف زحف جيشه وانتصر على جيشهم الذي كان محتشداً في قونية بعد معركة حاسمة استسلم فيها قائد الجيش الصدر الأعظم واستمر جيش محمد علي في زحفه وهدد بدخول العاصمة اسطنبول ، فاستنجد السلطان العثماني بروسيا والدول الأوربية فتجمعت أساطيل روسيا وانجلترا وفرنسا في الدردنيل مطلع عام 1835م .

رافق هذا التجمع مباحثات بين السلطة العثمانية ومحمد علي وتوسط الفرنسيون فيها أدت بالنتيجة إلى إصدار السلطنة العثمانية بياناً بالاتفاق على ان تصبح (ولايات مصر ودمشق

وحلب وعكا وبيروت وطرابلس) بعهدة والي مصر وان تصبح ولاية الحبشة وجدة بعهدة نجله . ولكن هذا البيان لم يكن سوى مظهراً لما هو غاطس تحت الأرض لان السلطنة العثمانية كانت تعد العدة لنقل القتال إلى منطقة جزيرة الفرات ما بين النهرين، وقد قامت قواتها بمساعدة ضباط ألمان بالتحرك نحو ولاية حلب لكن قوات محمد علي تصدت لها وانتصرت عليها في يونيو/ حزيران 1839م وهرب قائد الجيش التركي فتقدمت قوات محمد علي وسيطرت على منطقة الجزيرة السفلى . من جانب آخر قام قائد الأسطول العثماني احمد فوزي باشا بتسليم الأسطول الى محمد علي في الإسكندرية .

قررت الدول الأوربية . إنجلترا وروسيا والنمسا وفرنسا وروسيا اتخاذ خطوات عملية لوقف محمد علي باشا عند حده وإنهاء دولته ومشروعه الحضاري العربي النهضوي ، وبعد مداولات أوربية عقدت معاهدة لندن في 5 يوليو / تموز 1840م ونصت على تحديد حكم محمد علي باشا في مصر وان يكون حكمه وراثياً ، وفي حالة رفضه ذلك تقوم الدول الأوربية بتقديم المساعدة للسلطان العثماني لتنفيذ المعاهدة بالقوة. وعندما رفض محمد علي باشا تنفيذ المعاهدة قطعت الدول الأوربية علاقاتها الدبلوماسية معه وهاجمت أساطيل الدول الأربعة بيروت في 9 سبتمبر / أيلول 1840م إضافة إلى حملة برية بقيادة بريطانية . وقد تعاونت القوتين البحرية والبرية في احتلال بيروت

وحيفا وصور وصيدا ، و قاومت قوات محمد علي باشا وحلفائه هذا الزحف الأوربي ، لكن السلاح المدفعي المتطور وأساطيل أوروبا أنهت هذه المقاومة بسهولة ، واضطر محمد علي باشا أخيرا بقبول معاهده 1840م وتخلي عن بلاد الشام ليصبح حكمه في مصر فقط وان يكون وراثياً تابعاً للدولة العثمانية أسمىاً . وهكذا حطمت أوروبا حلم نهضة عربية كان من الممكن ان تتفاعل مع النهضة الفكرية والسياسية التي عاشتها بلاد الشام والعراق في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لتحقيق الدولة العربية الموحدة المستقلة التي كان العرب يطمحون إلى تأسيسها .

توفى محمد علي باشا عام 1849م وجاء من بعده خلفاءه الذين حاولوا الاسمرار في عملية النهضة في مصر وفي مقدمتها فتح قناة السويس، إلا أن إسرافهم وتبذيرهم قاد مصر إلى طريق آخر وهو إفلاسها واحتلالها من قبل بريطانيا عام 1882م

د-السودان والثورة المهدية

يقع السودان في جنوب مصر ، أي في شمال شرقي أفريقيا ، وفيه نهران هما اللذين يكونان نهر النيل الذي يجري من السودان إلى مصر ، وهما النيل الأزرق والنيل الأبيض ، إضافة إلى أنهر أخرى . وعندما تقدمت الجيوش العربية والإسلامية إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص وحررتها اتجهت بعد ذلك إلى السودان لنشر الإسلام

فيه وقد ظهرت في السودان ممالك إسلامية متفرقة مثل سلطة سنار في الشرق وسلطنة دارفور في الغرب وقد ظلت هاتان السلطتان تتنازعان السيطرة على جميع السودان دون ان تتمكن أحدهما من التغلب على الأخرى ناهيك من وجود زعامات سودانية أخرى متفرقة هنا وهناك وعندما زحف العثمانيون على الوطن العربي احتلوا أجزاء من السودان وليس جميعها بعد احتلالهم لمصر عام 1517م ، ومنها بلاد النوبة ، وإيالة الحبش وهذه الأخيرة ألحقوها بباشوية جدة بعد سيطرتهم على البحر الأحمر ، أي أنهم لم يوحدوا السودان كما كان لهم في أجزاء الوطن العربي الأخرى التي سيطروا عليها . وقد استمر وجود هذه الممالك الإسلامية المتناثرة في السودان إلى ان دومتها:مد على باشا الكبير من مصر ووحد السودان سياسيا تحت حكمه في أوائل العشرينات في القرن التاسع عشر .

كانت هناك عدة عوامل دفعت محمد علي الكبير إلى توحيد السودان مع مصر ومنها :

- 1- أراد محمد علي مطاردة المماليك الذين هربوا إلى السودان بعد مذبحة القلعة التي دبرها لهم عام 1811، حيث أنهم حاولوا السيطرة على السودان بدعم أوربي لإقامة حكومة للمماليك فيه.

- 2- خشية مصر من ان يتعاون المماليك مع الحبشة لإقامة الدولة المملوكية لتسيطر على النيل الأوسط وتمتد إلى ساحل البحر الأحمر بالتعاون مع البريطانيين .
 - 3- النزاعات والقتال الداخلي بين القبائل السودانية التي دفعت الزعماء السودانيين إلى الحصول على المساعدة من مصر لإنقاذ البلاد من التطاحن والقتال خصوصاً بعد هجرة المماليك إلى البلاد ومحاولتهم السيطرة عليها .
 - 4- محاولة المصريين الحصول على الذهب الذي اشتهر به السودان منذ القدم ، ويدافع الباحثون المصريون عن هذا الاتهام بالقول أنهم كانوا يدفعون من خزبتهم لتلافي العجز الذي كانت تعاني منه الخزينة السودانية ، وإنهم لم يستغلوا هذا المورد ولم يستفيدوا منه ، وهو تهمة أوربية لتشويه سمعة مصر .
- في عام 1825 سيطر محمد علي باشا على أجزاء من السودان ، واستمرت عملية السيطرة على بقية الأجزاء في عهد خلفائه حتى استكملت في عهد الخديوي إسماعيل ، وقد أنشئت العاصمة الخرطوم في ظل الحكم المصري عام 1830 . واستقرت الأحوال الاقتصادية والسياسية في السودان ، كما شجع محمد علي وخلفائه الباحثين الأوربيين والعلماء لاستكشاف منابع النيل ، ولكن اعتماد حكام مصر ،

وخصوصا في عهد الخديوي إسماعيل ، على الأ جانب في عملية الاستكشاف وفي حكم أقاليم السودان كان له تأثير السلبي والسيئ على السودانين مما هيا الظروف لقيام ثورة محمد المهدي عام 1881 .
الثورة المهدية

تنسب الثورة المهدية إلى محمد بن أحمد الذي لقب نفسه بالمهدي ، اعتماداً على الاعتقاد القائل بظهور المهدي المنتظر الذي يصلح الدنيا آخر الزمان .

عرف المهدي منذ نشأته بالتقوى والورع والعزلة، وكان معروفاً بتمسكه بالمبادئ الدينية بشكل صارم
أسباب الثورة

تعود أسباب الثورة المهدية إلى عوامل عديدة يأتي في مقدمتها:

- 1- الحكم الأجنبي المتسلط على السودان من قبل الأتراك العثمانيين والإدارة المصرية ومن بعدهم البريطانيون.
- 2- التصرفات الخاطئة والاستفزازية للإداريين المصريين في زمن محمد علي وخلفائه وخصوصا الخديوي إسماعيل.
- 3- الفساد الاجتماعي والفوضى الدينية.
- 4- العنف الذي رافق فتح محمد علي للسودان
- 5- الضرائب الفادحة التي فرضت على السودانين وكانت تجبى بالقوة.

- 6- محاولة الحكومة منع الرقيق .
 - 7- مساندة الحكومة لقبيلة الشيقية وطائفة الختمية .
 - 8- السياسة التي اتبعها الحاكم البريطاني غور دون وخصوصاً تعيين الأجانب بشكل واسع في المواقع الحكومية المهمة.
 - 9- تنكيل الأجانب بالسودانيين وتنفيذ القوانين بصرامة واستهانتهم بالقيم والأخلاق بدعوى نشر الحرية .
 - 10 – تقويض الأسس الاقتصادية والبنى التحتية للبلاد مما عطل الحياة اليومية .
- الدعوة المهدية وعملياتها العسكرية

اتهم المهدي حكام السودان بالكفر والمروق عن الدين، وطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ونادى بالجهاد لذلك لقي تجاوباً من السودانيين الذين كانوا يعانون من الظلم الاجتماعي والاضطهاد السياسي

كان رؤوف باشا هو الحاكم العام للسودان عندما ظهرت حركة المهدي، فطلب حضوره إلى الخرطوم، لكن المهدي أجابه بإعلان الجهاد ضد الكفار واستطاع التغلب على القوة العسكرية التي أرسلها رؤوف باشا للقضاء عليه في جزيرة آبا التي كانت مقرا للمهدي، فازداد أنصاره ومؤيدوه. ثم انتقل المهدي بعد ذلك من آبا إلى كردفان لبعدها عن الخرطوم ولوعورة المسالك والطرق إليها ، ثم تقدم إلى منطقة وعرة أخرى هي منطقة جبل قدير في جبال النوبة . وقد منحه

موسم الأمطار الفرصة لتقوية صفوف قواته وتنظيمها .
وعندما انتهى هذا الموسم أرسلت الحكومة المصرية قوة
جديدة لقتاله لكنه انتصر عليها ودحرها. فاستبدلت الحكومة
رؤوف باشا بالحاكم عبد القادر حلمي في مطلع عام 1882
م لكنه لم يتمكن من تغيير الموقف لصالح الحكومة ، بل على
العكس فان أحداث مصرفي هذه المرحلة واحتلال
البريطانيين عسكريا لها وقيام ثورة احمد عرابي وما تبعها من
تطورات قد شغل الحكومة المصرية عن السودان وعرقل
محاولاتها للقضاء على ثورة المهدي .
استغل المهدي هذه الفرصة فاحتل مدينة الأبيض
عاصمة كردفان في 19 يناير /كانون الثاني ، وهي اكبر مدن
السودان وأغناها بعد الخرطوم ، وتعتبر من المراكز التجارية
الكبيرة ، وأصبحت منذ هذا التاريخ مقراً للمهدي ومنطلقاً له
إلى الخرطوم .وعندما كانت ثورة عرابي على أشدها بعد أن
قصف البريطانيون الإسكندرية واحتلوا مصر، حاول عرابي
التعاون مع المهدي في السودان ، وكانت لديه النية لإعلانه
حاكماً على السودان ، بينما أعلن المهدي لاحقاً انه كان يهدف
إلى توحيد النيل تحت زعامة احمد عرابي كمقدمه لتوحيد
العالم العربي والإسلامي .
عندما كان المهدي يحقق انتصاره في كردفان كانت بريطانيا
قد احتلت مصر فجهزت حمله للقضاء عليه في نوفمبر 1883م

بقيادة هكس باشا الذي اندحر أمام صمود قوات المهدي في معركة البركة جنوب شرق الأبيض .

بالرغم من أن ثورة المهدي كانت مقتصرة على السودان إلا أنها أظهرت توجهاً عروبياً إسلامياً واضحاً فقد كانت لأحمد عرابي علاقات بالمهدي لدرجة أنه أعلن بعد نفيه أنه كان ينوي تعيين المهدي حاكماً عاماً للسودان ، كما أعلن المهدي نفسه أنه كان يهدف إلى توحيد وادي النيل تحت زعامة أحمد عرابي لتكون هذه الوحدة نواة ومقدمه لتوحيد العرب والمسلمين .

حاولت الحكومة البريطانية مفاوضة المهدي فكلفت غوردون بالذهاب إلى الخرطوم الذي حالما وصل إليها أرسل رسالة إلى المهدي أعلن فيها رغبة الانجليز في التنازل له عن كردفان وإقامة صلاة تجارية معه مقابل إطلاق سراح أسراهم، فأجابه المهدي طالباً منه أن يستسلم ، وفي الوقت نفسه حرك قواته إلى الخرطوم فحاصرها . فهاجمته القوات البريطانية وكانت نتيجة المعارك استسلام أم درمان للمهدي في مطلع عام 1885م ومن ثم تقدمه نحو الخرطوم فهزم القوات البريطانية ودخلها وقتل غوردون في قصره ، عند ذلك انسحب البريطانيون من السودان وأصبحت الخرطوم عاصمة للمهدي عام 1885م .

نهاية الثورة واحتلال بريطانيا للسودان

في عام الانتصارات هذا 1885م ، أصيب المهدي بمرض التيفوس وتوفى على أثره، فتولى الحكم من بعده حسب وصيته

صديقه ومرافقه عبدالله المكنى بابي بكر. فقام هذا الأخير بنقل العاصمة إلى درمان ، وتمكن من تحقيق انتصارات على القوات البريطانية المتبقية في بعض مناطق السودان وحاول التقدم نحو مصر عن طريق وادي حلفا للاستيلاء على أسوان لكنه فشل في مسعاه . وواجه عبدا لله بعض المشاكل الداخلية مثل المجاعة التي انتشرت في السودان عام 1889م ومؤامرة من المقرين إليه للإطاحة به.

تصاعد النشاط الاستعماري الأوربي في المنطقة خلال هذا الفترة خصوصاً بعد احتلال الجزائر عام 1830م وجنوب اليمن عام 1839م وتونس عام 1881م ومصر عام 1882م ، ولذلك حاول الايطاليون احتلال مصوع استعداداً لغزو شرقي السودان ، وتمكنوا من التغلب على قوات عبدالله عام 1894م واحتلوا كسلا، ولكن إمبراطور الحبشة هاجم الايطاليين وهزمهم عام 1896م وأنقذ جماعة المهدي منهم .

ان ضعف قوات عبدالله خليفة المهدي قد شجع البريطانيين على تجهيز حمله من مصر بقيادة القائد العام كتشنر حاكم مصر عام 1896م ، وتمكنوا من التغلب على قوات المهدي في معركة أم درمان وقتل خليفة المهدي وانتهت بذلك دولة الحركة المهدية باحتلال بريطانيا للسودان بشكل نهائي . وفي عام 1889م تم توحيد مصر مع السودان باسم (إعادة الفتح) وقام الحكم الثنائي الانجليزي - المصري بموجب اتفاقية عام

1899م .وقد أدى هذا الشكل من الحكم إلى نزاع بين البريطانيين و
المصريين حيث ان المصريين ارادو فرض سيطرتهم التامة على
السودان ، لذلك ظهرت فكرة وادي النيل التي طرحها الاحزاب
الوطنية في مصر بعد الحرب العالمية الاولى ومنها حزب الوفد عام
1936م .

4- المغرب العربي

أصبحت ليبيا وتونس والجزائر تحت السيطرة العثمانية غير
المباشرة بعد احتلال العثمانيين للمشرق العربي . ولم يشهد
المغرب العربي حالة عداء للدولة العثمانية ولا حركات تمرد أو
اتفاضات ضدها لان ظروف المواجهة مع الهجمة الأوربية الصليبية
على المغرب العربي قبل الاستكشافات الأوربية وخلالها قد دفعت
المجاهدين العرب المسلمين إلى الاستجداء والتحالف مع الدولة
العثمانية التي كانت أصلا قد احتلت الوطن العربي لأسباب كان
واحداً منها ، التوسع الأوربي في المغرب العربي والبحر المتوسط
وتهديدهم طرق التجارة العثمانية .

وإذا ما تناولنا تاريخ المغرب العربي فأن ليبيا وتونس والجزائر
والمغرب الأقصى كانت تعيش وحدة في عهد دولة الموحدين حتى
القرن الثالث عشر الميلادي، وعندما انهارت دولة الموحدين ظهرت
ثلاث إمارات في هذه المنطقة تنافست فيما بينهما مما أدى إلى
ضعفها ، وهي إمارة بني مرين في المغرب الأقصى وإمارة بني
حفص في تونس وإمارة بني عبد الواد في الجزائر . ومع ذلك فقد

كان المجاهدون من المغرب العربي يتصدون للهجمات الأوربية التي تهدف إلى السيطرة عليهم وكانوا يطلقون على المجاهدين في البحر المتوسط اسم (القراصنة) بمعنى السراق وقطاع طريق البحر والفتنة للإساءة إلى حركة الجهاد الإسلامي ضد الغزو الأوربي الصليبي .

أما عن النظام الإداري في المغرب العربي ، فقد أصبحت أقطاره بعد السيطرة العثمانية ولايات تابعة اسماً لها يرأسها الوالي ممثلاً للسلطان شأنها شأن بقية الولايات العربية في المشرق وبعاون الوالي اوالباشا ديوان استشاري وموظف يدير الشؤون المالية يحمل لقب (باي) وقائد عسكري يحمل لقب (داي) . ومع مرور الزمن أصبحت السلطة الفعلية للبايات ثم للدايات الذين حكموا بشكل مستقل عن السلطة العثمانية .

ولابد من الإشارة إلى ان المغرب لم يخضع للعثمانيين بل بقي مستقلاً وحكمه السعديون منذ أوائل القرن السادس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر وكانوا من أقوى المجاهدين الذين تصدوا للأوربيين شأنهم شأن الأخوين بارباروسا في الجزائر وأعقبهم حكم العلويين عام 1666م الذين استمروا في مقاومة الأوربيين الغزاة واستردوا عدداً من المدن المغربية المهمة التي كان الاسبان والبرتغاليون قد سيطروا عليها.

إن هذه الهجمة الأوربية الاستعمارية قد أنهت السيطرة العثمانية على المغرب العربي مبكراً قياساً بالمشرق العربي، فقد احتلت

إيطاليا ليبيا 1911م بينما لم تحتل القوى الأوربية الاستعمارية العراق وبلاد الشام إلى في الحرب العالمية الأولى وبظروف مختلفة تماماً عن ظروف المغرب العربي .
أ-الجزائر:

حكم الجزائر بعد انهيار دولة الموحدين ، بنو مرين ومن بعدهم بنو زيان ، و خلال فترة حكمهم ومع أواخر الحكم العربي الإسلامي في الأندلس بدأ المغرب العربي عموماً يتعرض لهجمات الاسبان والبرتغال الذين استطاعوا بعد سقوط غرناطة الاستيلاء على المرسى الكبير ووهران في الجزائر واحتلوا كذلك بجاية وعنابة ، فقاوم الجزائريون هذا الاحتلال بقوة ووقفوا بوجه الغزاة المحتلين ، كما أفرزت هذه المقاومة قياديين مشهود لهما بالشجاعة والجرأة في مقاومة الغزاة التوربيين في الحوض الغربي من البحر المتوسط وهما (بابا عروج) وأخيه (خير الدين) الملقب (باربا روسا) أي صاحب اللحية الحمراء . فمنذ عام 1510م اشتهر اسم بابا عروج الجزائري كمُدافع عن العرب المسلمين في المغرب العربي بأجمعه مستخدماً سفنه السريعة في مطاردة سفن الاروين المستعمرين وانظم إليه متطوعين للجهاد معه وبعد ثمان سنوات من جهاده استشهد بابا عروج في إحدى المعارك واستلم منه القيادة أخيه خير الدين بارباروسا الذي واصل الجهاد وانشأ اسطولاً نجح في مقاومة الاسبان في أواخر حكم بني زيان .

وجد خير الدين بعد وفاة أخيه بابا عروج ان الوسيلة الوحيدة لتقوية مقاومته وجهاده هي الاتصال بالدولة الفتية العثمانية التي تمكنت من احتلال بلاد الشام ومصر وانتصرت على الفرس الصفويين في إيران ، فطلب منها مساعدته في صد الغزوات الأوروبية الصليبية على بلاد المغرب العربي فاستجاب له السلطان سليم الاول وزوده بألفي جندي من الانكشارية وساعده في تجميع المتطوعين للدفاع عن المغرب العربي ، ومنحه لقب(بيكلربك أفريقيا) أي رئيس رؤساء المغرب ، أضافه إلى لقب قبودان باشا أو باي لارباي أي قبطان البحر أو أمير البحر. وفي عهد السلطان سليمان القانوني استدعى خير الدين إلى اسطنبول وتم تعيينه قائداً عاماً للأسطول العثماني في البحر المتوسط ، ومنذ عام 1546م أصبحت الجزائر ولاية عثمانية ممتازة .

انشأ خير الدين مدينة الجزائر عام 1529م واتخذها عاصمة لإمارته المجاهدة ، وقام بالرد على غزو الاسبان لتونس عام 1535م بهجوم مباغت على القوات الاسبانية في جزر البليارد واسر منهم ستة آلاف رجل عاد بهم إلى الجزائر، كما قام أسطوله بقيادة مساعده الحاج على بإنهاء القواعد الاسبانية في تونس عام 1569م مما دفع البابا إلى إصدار نداء لتكوين حلف مسيحي اصطدمت قواته في معركة حربية مع أسطول الحاج على قرب سواحل جزيرة مالطة عام 1571م تمكن الأوربيون من الانتصار فيها على أسطول الحاج على ولم يتمكن من تحرير القواعد التي احتلتها اسبانيا والبرتغال على سواحل المغرب

الأقصى ووهران في الجزائر التي بقيت بأيدي الأسبان حتى نهاية القرن الثامن عشر . من جانب آخر قام قادة المجاهدين العرب في المغرب الأقصى في معاونه خير الدين في جهاده ضد القوى الأوربية المسيحية المعادية مثل (يحيى ريس) .

قسم الباحثون في التاريخ حكم الدولة العثمانية للجزائر إلى أربعة عهود وعلى النحو الآتي :

1- عهد البالارباي 1546-1587م

ويعتبر هذا العهد من أفضل مراحل الحكم التركي العثماني لما تميز به من عمران وإدارة سليمة للولاية في ضوء حكم سلاطين أقوياء في اسطنبول ، ومما ساعد على هذا الازدهار العرب المسلمين الذين هاجروا من الأندلس فنقلوا معهم عطآت من حضارة الأندلس ساعدت على ازدهار الصناعة والتجارة والزراعة وغيرها. أما عن طبيعة الحكم فقد هيمنت على الولاية جماعات الجهاد ضد الغزاة الأوروبيين وهي خليط من أهل البلاد والجنود الأتراك القادم دمين من اسطنبول. وفي هذا المرحلة توحدت الجزائر بكاملها كولاية في مواجهة الخطر الخارجي .

2- عهد الولاة 1587-1659م :

وهو العهد الذي سيطر فيه الولاة الأتراك الذين تعينهم السلطنة العثمانية لمدة ثلاث سنوات ويلقب (الباشا) وقد ازدهرت في عهدهم القوة البحرية الجزائرية بالرغم من وجود منازعات بين

الجزائريين وجنود الأتراك الذين استأثروا دون أهل البلاد بمزايا خاصة .

3- حكم الأغوات 1659-1671م :

وفية استأثر الضباط والجنود الأتراك (البولداش) بالسلطة تحت رئاسة أغا ينتخبونه فيما بينهم يحكم لمدة شهرين بالتناوب .

4- عهد الدايات : 1671- 1830 م

انتهت في هذا العهد سلطة البولداش وعادت سلطة المجاهدين فوضعوا نظاماً يتم بموجبه انتخاب (داي) يحكم البلاد مدى الحياة ، وفي هذا العهد نجح الجزائريون في تحرير المرسى الكبير ووهران من الاحتلال الاسباني عام 1792 بعد معارك عديدة أخذت رديحاً من الزمن .

كان النظام الإداري للولاية في عهد الدايات مكوناً من الديوان الخاص وهو مجلس الدولة والديوان العام وهو المجلس العمومي وكان الديوان الخاص ينتخب الداي على ان يصادق عليه السلطان العثماني . ووضع قيود تحد من سلطات الداي وتجعل له شركاء في حكم الولاية ، أما موارد الدولة فيجمعها الباي من التجارة الخارجية وجزيه اليهود والضرائب وما شابه . وكان التصرف في هذه الموارد يخضع لرقابه ماليه . ويكون الداي مخولاً بعقد الاتفاقات والمعاهدات مع الدولة . وفي حالة الاعتداء الخارجي يشترك جيش الداي وجيش اسطنبول في الدفاع تحت راية السلطان العثماني . ولاشك أن الموارد المالية الكثيرة وخصوصاً تلك التي تجنيها الموانئ

الجزائرية قد جعلت الجزائر غنية. بحيث استدانّت منها فرنسا أموالاً طائلة عجزت عن تسديدها وكانت أحد أسباب الغزو الفرنسي واحتلالهم للجزائر عام 1830.

ب- ولاية تونس :

حكم الحفصيون تونس للفترة 1228 - 1574م بعد انهيار دولة الموحدين وكانوا فرعاً منها وعاشت تونس في زمنهم فترة استقرار وازدهار إلى أن استولى العثمانيون عليها عام 1574م عندما استنجد الحسن الحفصي بهم لطرد الأسبان، فطردوا الأسبان ثم انهوا حكم الحفصيين حينما قام القائد العثماني التركي سنان باشا بالاستيلاء على حصون تونس وأسر محمد الحفصي ، وأعلن تونس ولاية عثمانية يحكمها والي تركي يساعده عسكرياً الداوي ومالياً الباي مع ديوان استشاري يضم الباي والداوي والموظفين الكبار . وقد استأثر الدايات بالسلطة واضعفوا والي للفترة 1590 - 1640م حينما تغلب البايات عليهم واستلموا السلطة في الولاية وحكمت منهم أسرتان بالوراثة هما الأسرة المرادية للفترة 1637 - 1702م والأسرة الحسينية لفترة 1705 - 1957م حتى قيام الجمهورية التونسية . ولم تكن هذه التغيرات تكتسب شرعيتها إلا بعد موافقة السلطان العثماني.

كان الجهاد في تونس ضعيفاً ضد الغزاة الأوربيين لذلك وقع عبء الدفاع عن تونس على الليبيين والجزائريين ، ففي الفترة 1553 - 1558م قام والي طرابلس الغرب في المشاركة بالدفاع

عن تونس ضد الاسبان وفرسان القديس يوحنا فأنقذ مدينه قفصة عام 1556 م وبعدها بعامين حرر القيروان . أما الجزائريون فقد تحملوا مسؤولية طرد الاسبان من تونس . ولذلك يأخذ الباحثون على التونسيين ضعف حركة الجهاد لديهم ، لكنهم من جانب آخر وجدوا في بعض البايات التونسيين روحاً عربية عندما عملوا على تغيير لغة المكاتبات الرسمية مع الدولة العثمانية إلى العربية، كما تزامنت فترة حكم احمد باشا (1839 - 1855) مع محاولة الدولة العثمانية إصلاح أوضاعها الاداريه والسياسية في عهد السلطان محمود الثاني الذي طلب من الباي تطبيق (التنظيمات) في تونس . فعمل احمد باشا على إنشاء مدرسة حرية وجيشاً كبير ومصانع للذخيرة وداراً لصناعه السفن وبنى إسطولاً تونسياً وشجع العلم وأكرم العلماء وألغى الرق . ولكن هذه الإصلاحات كانت لها جوانبها السلبية لأنها أرهقت تونس بالديوان وسمحت للفرنسيين بدخول البلاد للأشراف على الجوانب العسكرية من خلال ضباطهم ، وعندما حاول البايات إصلاح الأوضاع المالية لم يفلحوا ، بل أن الديون جعلت فرنسا تتدخل في أمور البلاد وفرضت سلطتها المالية عليها مما أدى بالنتيجة إلى احتلال الفرنسيين لتونس عسكرياً عام 1880

ج- ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)

شهد القرن السادس عشر صراعاً أورياً عثمانياً على البحر المتوسط ، حينما اتجه الأوروبيون للسيطرة على سواحله العربية في المغرب العربي ، ويقدر تعلق الأمر بليبيا فقد استولى الاسبان على

مدينتها الرئيسية طرابلس الغرب عام 1510 ولمدة ربع قرن من الزمن تنازلوا بعدها عنها إلى فرسان القديس يوحنا. وتكمن أهمية مدينة طرابلس الغرب وما جاورها في كونها تتصل بمصر وتقع على طريق الحج من المغرب الأقصى إلى مكة المكرمة والطرق التجارية بين أفريقيا وأوروبا .

استمر تسلط فرسان القديس يوحنا على طرابلس إلى أن احتلها العثمانيون عام 1551 بعد أن استجد بهم بعض من أهل ليبيا، فأصبحت ولاية عثمانية كغيرها من الولايات العربية. ويمكن تقسيم فترة الحكم العثماني في ولاية ليبيا إلى مرحلتين الأولى منذ الاحتلال وحتى سنة 1711م أي حوالي مائة وستون عاماً وقد أطلق عليها الباحثون اسم العهد العثماني الأول في ليبيا والذي انتهى ليبدأ حكم الأسرة القرمانلية الذي امتد مائة وأربع وعشرون عاماً (1711-1835) ليعود بعده الحكم العثماني الثاني إلى ولاية طرابلس والذي انتهى عام 1911 باحتلال الإيطاليين لليبيا .
العهد العثماني الأول:-

عانت ليبيا في العهد العثماني الأول (1551-1711م) من الفوضى وسوء إدارة الحكم وقيام الانتفاضات العربية إضافة إلى الفتن بين جنود الإنكشارية الوافدين إلى البلاد والذين أصبحوا سلطة قوية تعزل الولاة وتسلب وتتهب في الأهالي وتنصب ولاة غير أكفاء لا يهمهم سوى مصالحهم الشخصية ومكاسبهم المالية. كما أن السلطنة العثمانية كانت غير مهتمة بولاية طرابلس خصوصاً وأنها لم

تكن تملك إمكانات مالية تقدمها للسلطنة ، كذلك فإن سعة رقعة البلاد وقلة عدد السكان وانعدام المواصلات جعلت سلطة الوالي العثماني تقتصر على المدن الساحلية ، بينما كانت المناطق الداخلية غير خاضعة عملياً له ، وكثيراً ما كانت تثور ضد الوالي التركي الذي يصعب عليه إخضاعها .

كان لهذه الفوضى مع بؤادر ضعف الدولة العثمانية في أوائل القرن الثاني عشر أثرها في صعود قوة محلية إلى ولاية طرابلس أمسكت بزمام الأمور في ليبيا وجعلت من حكم العثمانيين الأتراك في اسطنبول مجرد سلطة أسمية ، وهي الأسرة القرمانلية التي حكمت البلاد للفترة (1711-1835) ، ومؤسسها أحمد بن يوسف بن محمد بن مصطفى القرمانلي ، وكان والده عاملاً على ساحل المنشية ومن بعده حل أحمد بأمر من والي طرابلس الغرب محل أبيه ، وهو من أصل تركي جاء جدهم إلى ليبيا مع القائد التركي درغوت باشا عام 1553 وتزوج من امرأة عربية ليبية . وتدرج أفراد الأسرة بمناصب مختلفة في الولاية ، وكان أحمد القرمانلي طموحاً ذكياً واسع الحيلة فنأى عن نفسه الدخول في الصراع القائم بين الوالي وجند الإنكشارية والموظفين الكبار ، ففاز برضى الجميع بما فيهم أعيان طرابلس من أهل ليبيا الذين سعوا للتخلص من الفوضى فبايعه الجميع والياً وكان عمره خمسة وعشرون عاماً .

الوالي أحمد القرمانلي وأسرته

واجهت أحمد القرماني صعوبات وعقبات عديدة لترسيخ وتثبيت ولايته وفي مقدمتها القوى المتطلعة للسلطة وهم الضباط والإنكشارية والفتن والثورات الداخلية ، فقام بتدبير مذبحة للضباط بأسلوب محمد علي باشا حين دعا حوالي 300 ضابط منهم إلى حفل في منزله الريفي وذبحهم بعد انتهائه ، من جانب آخر تصدى للفتن والتمرد بقسوة حتى دانت له البلاد ، كما اعتمد أسلوب الملاطفة والتقرب إلى أعيان طرابلس فكسب ودهم وكانوا أحد عوامل موافقة السلطان العثماني على تشييته بولاية طرابلس ، ذلك أن علاقته بالسلطان كانت متوترة لأن الأخير غضب منه لأنه قتل والي خليل باشا الذي عينه على ولاية ليبيا ، فأصبح أحمد القرماني وكأنه مفروض على السلطان ، فأرسل إلى اسطنبول وفداً لشرح موضوع مقتل خليل باشا والمطالبة بتثبيت أحمد القرماني والياً على طرابلس الغرب ، وحمل الوفد معه هدايا ثمينة . ولكي يكسب أحمد القرماني ود السلطان ، فقد أقام احتفالات كبيرة بانتصار السلطان على بطرس الأكبر قيصر روسيا في إحدى المعارك الدائرة بينها، وعندما أرسل السلطان أحمد الثالث مبعوثاً خاصاً للتحقيق في مقتل والي المعين خليل باشا ، استقبل أحمد القرماني المبعوث بالإعتناء والحفاوة والتكريم بحيث أن المبعوث أنهى مهمته دون أن يقابل أحداً ، وعاد محملاً بالهدايا له وللسلطان ، واستمر أحمد بإرسال الهدايا للسلطان إلى أن أصدر أمراً رسمياً بتشييته والياً.

اهتم أحمد القرماني بالأسطول البحري فأعاد شهرة الأسطول العثماني أيام سنان باشا وأعلن الجهاد ضد السفن الأوربية عدا تلك التي تدفع الجزية السنوية و كانت من أوائل الدول التي وقعت على معاهدة معه لدفع الجزية لقاء عدم التعرض لسفنهم في البحر المتوسط هي انكلترا وهولندا ، فتوفرت له أموالاً طائلة استثمرها في أعمار البلاد وفتح طرق التجارة عبر الصحراء مع أفريقيا ، مما زاد في دخل الولاية من تجارة القوافل ، فانتعشت الأحوال المعيشية لأهل ليبيا.

استمرت ولاية احمد القرماني (34) عاما (1711-1745) خلال تثبيت حكمه وحكم أسرته من بعده ويذكر المؤرخون أن فترة حكم أحمد القرماني كانت من أفضل العهود التي عاشتها ولاية ليبيا أيام العثمانيين ، فإضافة إلى ما ذكرناه أعلاه عمل أحمد القرماني على وضع أسس وقوانين للولاية تحقق العدل والإنصاف ، وأنشأ القلاع والحصون وأنشأ مشروع المياه العذبة لمدينة طرابلس وميناءها .

استلم ابن أحمد ، محمد القرماني ، ولاية أبيه بعد موته وسار على نهجه في الجهاد ضد المستعمرين مما دفع الأوربيين إلى مهابته وعقد اتفاقيات معه مثل النمسا والدنمارك ، وكانت هذه الاتفاقيات أو المعاهدات تتم دون استئذان من السلطة العثمانية في اسطنبول ، ومع أن الاستقرار الذي شهده عهد أبيه قد أمتد إلى ولايته إلا أن فتناً وتمردات قد نشأت في عهده لخلعة مما أضعف قواته بعد أن

فقد خيرة ضباطه وجنوده المخلصين رغم قمعه لهذه التمردات
فاضطره إلى تجنيد بضع مئات من الجند الإنكشارية جلبهم من مدينة
ازمير التركية ، فكان لهذا الأمر أثره فيما بعد في أضعاف حكم
الأسرة القرمانلية .

وتوفى محمد القرمانلي عام 1754 م وله من العمر 45
سنة بعد حكم دام تسع سنوات ودفن إلى جانب والده بمقبرة جامع
أحمد باشا ، والذي كان والده قد شيده على أنقاض مسجد عمرو
بن العاص وألحق به مدرسة أوقف عليها الأموال والتي ما تزال
قائمة إلى اليوم باسم كلية أحمد باشا.

سادت مظاهر الضعف والانحطاط في ولاية ليبيا عندما استلم
الولاية على بن محمد القرمانلي ، فقد التف حوله قادة الإنكشارية
واستغلوا حداثة ولايته ليمسكوا بزمام السلطة الفعلية للبلاد ، وحولوا
الجهاد ضد الأوربيين إلى سلب ونهب ولم يهتموا بالمعاهدات
والاتفاقيات المبرمة بين ليبيا وبين الأوربيين، وعجزت الحكومة عن
دفع مرتبات الجند وتصاعدت الفتن والتمردات بسبب أساليب القمع
والتعسف التي أتبعها القادة الإنكشاريون في جمع الأموال من
القبائل العربية ، كما تدهور الجيش وهرب الجنود ، وأصبح النهب
والسلب في الأسواق حالة عادية ، وهكذا استسلم على القرمانلي
للإنكشارية وعم الخراب والدمار طرابلس التي تهدمت أسوارها
واتتشر الطاعون والمجاعة فيها عام 1767 وهجرها أهلها إلى
تونس ومصر .

التجأ أهل طرابلس الغرب إلى اسطنبول لإنقاذهم من محتتهم ، فأنتهز الفرصة أحد المغامرين وأسمه (على برغل) وأقنع السلطان سليم الثالث بأنه قادر على تخليص السلطنة من حكم القرماتلي مقابل إصدار أمر له بالولاية على طرابلس الغرب ، فنزل مع عدد من أتباعه في طرابلس يوم 29 يوليو / تموز 1793 وقرأ أمر السلطان العثماني بتعيينه والياً ، فهرب على القرماتلي وأسرتة إلى تونس .

أضطر الناس إلى قبول على برغل والياً لأنهم لا يريدون الخروج عن طاعة السلطان لكن برغل كان قاسياً متغطرساً طماعاً، أباح المدينة لجنده فنهبوا وسلبوا وهتكوا أعراض الناس، وقام بسبي حريم متولي المدينة وفرض على الناس ضرائب ثقيلة. من جانب آخر ساءت علاقته بالدولة الأوروبية وتكبر عليهم ووصل به الأمر إلى الاصطدام بوالي تونس ، مما دفع هذا الأخير إلى مساعدة القرماتليين في العودة إلى حكم طرابلس ، وأجبر برغل على الهرب بعد حكم دام سنة وخمسة أشهر ، وقام برغل بجمع الأموال والذخائر وذبح الرهائن والأسرى وأبحر إلى مصر ليستقر فيها. كان لعللي القرماتلي ثلاثة أبناء تصارعوا فيما بينهم بعد تنازله لأبنة الأكبر وقتل بعضهم بعضاً ، إلى أن استقرت الولاية ليوسف القرماتلي أصغر أبنائه وأكثرهم طموحاً ورغبة في الحكم وذلك عام 1796م ، ووافق السلطان على طلب أهل طرابلس بإصدار أمر بولاية يوسف عليها .

امتاز يوسف بصرامة ممزوجة بالعدل والكماسة وكانت أمامه ثلاثة قوى عليه التعامل معها ، وهم الإنكشارية الذين استخدمهم في التخلص من الثورات الداخلية والتصدي للسفن الأوروبية ، ولكنه لم يسمح لهم بأن يسيطروا عليه من خلال اعتماده على قبائل عربية وقفت إلى جانبه ومنحته القوة أمام أي محاولة تسلط إنكشاري ، أما القبائل العربية بشكل عام وهي القوة الثانية فقد شعرت في البداية بأن عهداً جديداً يختلف عن سابقه قد بدأ ، ولكن هذه القبائل لم تجد فيما بعد تحسناً في أوضاعها فبدأت حركات العصيان والتمرد التي أضعفت حكم القرمانليين خصوصاً وأن بعضهم من الطامعين في الولاية كانوا يحرضون القبائل على التمرد للوصول إلى السلطة . ولما كانت خزينة الولاية خاوية فقد أصبح من الصعب إخضاع هذه القبائل فلجأ الوالي يوسف إلى مهادنتها مما زاد في ضعف سلطة الولاية المركزية . وتأتي القوى الخارجية كقوة ثالثة أتعبت الوالي يوسف في التعامل معها ، ففي عهده غزا نابليون مصر عام 1798 فطلب السلطان العثماني من يوسف تجهيز قوات للمساعدة في تحرير مصر من الفرنسيين بالهجوم عليها من الغرب ليتزامن مع هجوم في الشرق ، مما أخرج يوسف لعلاقته الجيدة بالفرنسيين وتظاهر بالتهيؤ لمساندة السلطة العثمانية ، وتنفس الصعداء عندما انسحب نابليون من مصر لأنه قد تخلص من ضغط السلطة العثمانية ومن ضغط الإنكليز الذين كانوا غير مرتاحين من علاقته مع فرنسا

وتقديمه التسهيلات في موانئ ليبيا لها بعد تحطيم الأسطول الفرنسي ..

وفي عهد يوسف القرماني احتلت فرنسا الجزائر عام 1830م فخرجت عن سلطة الدولة العثمانية إلى الأبد ، وأبدى الشعب الليبي استياءه من هذا الغزو ، وأمام سلطة يوسف الضعيفة فرضت فرنسا شروطاً قاسية على ليبيا قبل بها يوسف لمنع أسطوله من مهاجمة الأوروبيين وعدم تقويته ودفع تعويضات مالية لفرنسا وعدم فرض الجزية على الأساطيل الأوروبية وأن يكون لفرنسا حقوق الدولة الأفضل رعاية من غيرها في ليبيا.

وخلال فترة حكم يوسف القرماني ظهر على مسرح الأحداث في مصر محمد علي باشا صاحب المشروع النهضوي العربي والذي أتبع اسلوباً شبيهاً بأسلوب أحمد القرماني مؤسس الأسرة القرمانية في ليبيا . وفي الوقت الذي كان محمد علي باشا متجهاً إلى فتح بلاد الشام تنازل يوسف القرماني عن الولاية إلى ابنه على القرماني الثاني عام 1832 ، وهناك أشارات إلى أن محمد علي كان يرغب في ضم ليبيا إلى دولته العربية الجديدة لتخليصها من الحكم القرمانيين المنهار ، لكن ذلك لم يقع .

شاخت دولة القرمانيين مع شيخوخة يوسف ، فبدأ ببيع قطع من أسطوله البحري وحول نحاس مدافعها إلى نقود وأرخبى عنان التصرف بالأموال لأبنائه وأصهاره وقسم الولاية فيما بينهم ، فساءت سيرتهم وعظم ظلمهم ، واضطر يوسف إلى الاقتراض من الأجانب

فأدى ذلك إلى زيادة فرض الضرائب ، فتخلى عنه الكثير من أنصاره وبدأ الدس لدى السلطان العثماني ضده حتى من قبل القنصلين الفرنسي والانكليزي ، وكانت النتيجة أن تنازل عن حكم الولاية إلى ولده علي وجعل ابنه إبراهيم نائباً له .

ورث علي الثاني القرماني ولاية مضطربة مفلسة ، ولم تنفع جهوده لإصلاح الأوضاع ، فتدخلت السلطنة العثمانية لعزل علي وإنهاء حكم الأسرة . وفي 26 مايو / أيار 1835 وصل أسطول عثماني كبير على متنه الوالي العثماني الجديد نجيب باشا الذي قرر السلطان إرساله إلى طرابلس الغرب لإنهاء حكم الأسرة القرمانية وإعادة الولاية إلى الحكم العثماني المباشر ، وعندما رسي الأسطول في ميناء طرابلس استدعي الوالي علي الثاني القرماني إلى سفينة الميناء وأبلغه نجيب باشا بأمر السلطان العثماني بعزله والأمر بذهابه إلى أسطنبول مع أسرته ومن يريد أن يصطحبه معه ، وتركه على السفينة ونزل إلى طرابلس وقرىء علي الناس نص تعيين نجيب باشا والياً جديداً على طرابلس الغرب ليعود من جديد الحكم العثماني المباشر عليها

العهد العثماني الثاني ومقاومته

استمر الحكم العثماني المباشر لليبيا 77 عاما منذ 1835 بانهاء حكم الأسرة القرمانية حتى عام 1911 عندما احتل ليبيا الايطاليون . وقد توالى على حكم الولاية 33 والياً تركيا عثمانيا كان همهم الوحيد جمع الأموال لمعرفةهم أن مدتهم في الولاية قصيرة ،

فتزايد الفساد الإداري وانتشر وأهملت النواحي الصحية والتعليمية والعمرانية وتدهور الاقتصاد ، فتصاعد سخط الليبيين وتزايدت الثورات والانتفاضات ، ولكن التنافس بين قادتها لم يسمح بإقامة حكومة محلية لتخليصهم من الحكم التركي العثماني البغيض الذي بدأ يتدهور ويضعف أمام القوى الأوروبية الاستعمارية وتدخلها في شؤون الدولة العثمانية وفرض الشروط عليها .

أما عن مشاعر الليبيين فإنها كانت عروية أكثر منها عثمانية فقد قامت ثورات قومية عدة عام 1881 احتجاجاً على احتلال الفرنسيين لتونس واحتلال الإنكليز لمصر عام 1882 ، ويذكر بعض الباحثين أن الرحالة الأوروبيون ذكروا أن الثائر غومة المحمودي في يفرن بالجبل العربي من ليبيا كان يعتبر أحد الناطقين باسم القومية العربية المقاومين للاحتلال التركي العثماني ، وعندما قامت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا عام 1853 وجد بعض الليبيين الفرصة لإعلان استقلال بلادهم عن السلطنة العثمانية وتجهزوا بالسلاح ، ولكنهم فشلوا في تحقيق هدفهم لعدم اتحاد كلمتهم وهكذا تدهورت الأحوال في ليبيا لتمهد للغزو الإيطالي عام 1911 الذي أنهى الوجود العثماني فيها .

د- المغرب الأقصى (مراكش)

لم يخضع المغرب الأقصى للدولة العثمانية مطلقاً وبقي مستقلاً رافضاً لأي تدخل عثماني تركي. وكان شأنه شأن الجزائر وتونس جزءاً من دولة الموحدين ، وبعد انهيارها حكمه بنو مرين

عام 1266 الذين أقاموا دولة عنيت بالعلم والأدب والشعر وازدهر في عهدهم جامع القرويين ، وبلغت عاصمتهم مدينة فاس شأناً كبيراً في التقدم والرقي ، وحكم من بعدهم بنو وطاس الذين لم يستطيعوا الدفاع عن المغرب مما مكن البرتغاليون والأسبان السيطرة على كثير من موانئه ، إلا أن القرن السادس عشر شهد ظهور الدولة السعدية في المغرب الأقصى التي استرجعت هذه الموانئ بحيث لم يبق بيد البرتغاليين سوى طنجة وسبتة ومزغان. وكانت معركة وادي المخازن في أغسطس آب عام 1578 من أشهر المعارك التي انتصر فيها السعديون على البرتغال وقتل فيها السلطان عبد الملك السعدي فخلفه أخاه أحمد السعدي الذي لقب بالمنصور وواصل سياسة الجهاد ضد الغزاة البرتغاليين.وأمتدت الدولة السعدية في عهده إلى حوض نهر السنغال وحتى نهر النيجر ، وقام بعقد اتفاقات مع القوى الأوروبية المعادية لأسبانيا مثل انكلترا وهولندا ، وقد عرف عهد أحمد المنصور السعدي بالعهد الذهبي ، وظهرت لديه اتجاهات ذات طابع عربي اسلامي لتخليص العرب من الأتراك العثمانيين ، لكن السعديين ضعفوا بعد وفاته بسبب النزاع بين أبناء المنصور الثلاثة على الحكم فانقسمت الدولة إلى حكومتين واحدة في فاس وأخرى في مراكش ، وظهرت قوى أخرى هنا وهناك ، ومنها جمهورية سلا ، وساعدت هجرت مسلمي الأندلس إليها في بناء مدينة جديدة مقابلها أصبحت فيما بعد نواة لمدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية الحالية .

إن هذه الإنقسامات قد أدت إلى زوال الدولة السعدية وانتقال السلطة إلى العلويين عام 1660م والتي ما زالت تحكم إلى يومنا هذا، وهم أسرة ارتحلت من الحجاز إلى المغرب في القرن السابع الهجري ويعودون في نسبهم إلى الحسن بن علي ولذلك يعتبرون من الأشراف السادة الحسينيين ، ويعتبر الشريف محمد مؤسس الدولة العلوية الذي أعاد للمغرب وحدته أما أخيه وخليفته مولاي اسماعيل فيعتبر باني نهضة المغرب ويصفه البعض بأنه من أعظم السلاطين ، فقد امتد حكمه لأكثر من نصف قرن (1672-1727) قام خلاله ببناء جيش نظامي قوي ونجح في تحرير مدينتي العرائش وأصيلة من البرتغاليين وتخليص طنجة من الانكليز ، وأصبحت له علاقات طيبة مع فرنسا ، وكان يعامل الدولة العثمانية بحزم ، فعرف بالجهاد ضد الاستعمار الأوروبي والقوة في حكم البلاد

استمر حكم العلويين وتعاقب سلاطينهم على المغرب ، وامتاز عهد محمد بن عبدالله (1757-1793) بالاستقرار والعلاقات الجيدة مع أوروبا و العثمانيين والولايات المتحدة الأمريكية الناشئة ، وكان أول الدول التي اعترفت بهذه الأخيرة ، وأستطاع استرداد بعض الموانئ من البرتغال. وعندما قامت الثورة الفرنسية وظهر نابليون كان المغرب يحكم من قبل مولاي محمد (1794-1824) الذي اتصفت سياسته بالحذر وتجنب الصدام مع الأوروبيين لمعرفته بأحلام نابليون التوسعية. وفي زمن خليفته مولاي عبد الرحمن ،

احتلت فرنسا الجزائر عام 1830 ، وقد حاول أن يمد العون إلى عبد القادر الجزائري في مقاومته للفرنسيين لكن التهديدات الفرنسية منعه من ذلك ، وفي الواقع فإن احتلال الجزائر كانت البداية للتدخل الفرنسي في المغرب الأقصى بشتى الوسائل ، فالأطماع الأوروبية عموماً فكانت قد رسمت لها خطط لاحتلال المغرب العربي خاصة والوطن العربي عامة . ومع أن مؤتمر مدريد الذي عقد عام 1880 قد نصت مقرراته على المحافظة على استقلال المغرب الأقصى وتركه مفتوحاً للتجارة الحرة أمام جميع الدول إلا أن الأطماع الأوروبية واحتلال تونس عام 1881 ووصول سلاطين ضعاف إلى حكم المغرب واقتراضهم الأموال من الدول الأوروبية وفي مقدمتهم فرنسا التي شجعتهم على ذلك قد جعل من هذا القرار حبراً على ورق ، وكانت النتيجة أن احتلت فرنسا وإسبانيا المغرب الأقصى وأعلنت الحماية عليه عام 1912 مع استمرار الأسرة العلوية في الحكم ، إي بعد احتلال الإيطاليين لليبيا بسنة واحدة . وبذلك تقاسمت الدول الأوروبية الجناح الغربي في الوطن العربي ، حيث أصبحت الجزائر وتونس تحت الاحتلال الفرنسي ومصر تحت الاحتلال الانكليزي وليبيا تحت الاحتلال الإيطالي والمغرب الأقصى تحت الاحتلال الفرنسي الأسباني .

5-شبه الجزيرة العربية

انصب اهتمام العثمانيين على اليمن والحجاز أكثر من اهتمامهم بمناطق شبه الجزيرة العربية الأخرى، بل إنهم تركوا بلاد نجد لفترة

منه. تحكم نفسها بنفسها وفقاً للعادات والتقاليد القبلية على أن لا تتحرك ضدّهم. أما الخليج العربي فقد كان لوجود القوى الأوربية فيه أثره في تحجيم السيطرة العثمانية عليه عدا بعض السواحل الشمالية الغربية منه . وكان اهتمام العثمانيون بالحجاز يعود إلى المكانة المقدسة التي يحتلها بوجود مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكان موقع اليمن في مدخل البحر الأحمر (باب المندب) وسواحله الممتدة على البحر العربي وميناء عدن قد شكلت هدفاً استراتيجياً للبرتغاليين الغزاة ، فكان لابد أن تتحرك الدولة العثمانية للسيطرة على اليمن لحماية أمنها ومصالحها لأنه القاعدة التي يمكن أن تحرس بوابة البحر الأحمر

أ-اليمن

يقع اليمن في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية بين خطي عرض 12 - 18 شمالاً ويحده البحر الأحمر غرباً والبحر العربي جنوباً وتسمى سواحل اليمن الممتدة من جهة البحر الأحمر (تهامة) ويليها شرقاً المرتفعات الجبلية التي تمتد بشك مواز لسهل تهامة من الشمال إلى الجنوب والتي يتراوح ارتفاعها من 600 - 1500 متراً فوق سطح البحر في قسمها الجنوبي ، ومن 1500 إلى 3500 متراً فوق سطح البحر في قسمها الأوسط والشمالى وهي أعلى جبال شبه جزيرة العرب على الإطلاق . وتكثر في هذه الجبال الحصون التي شيدها أهل اليمن في أوقات مختلفة لأغراض دفاعية حصينة ، وقد استفاد الزيدون والاسماعيليون من هذه الحصون في

التمركز بها لنشر دعوتهم في اليمن. وكانت الامامية الزيدية قديمة وهوي اليمن خلال القرن الثالث الهجري / العاشر م. يعتبر اليمن مهد حضارة قديمة وهو من أعرق مناطق شبه الجزيرة العربية حضارة ، بل هو منبع الكثير من الهجرات التي اندفعت إلى العديد من مناطق شبه الجزيرة العربية خاصة والوطن العربي عامة وأقامت الحضارات فيه في التاريخ القديم. وفي عهد الدولة العربية الإسلامية أصبح اليمن جزءاً منها ، ولكن ضعف الخلافة العباسية ببغداد في القرن الثالث الهجري أدى إلى ظهور كيانات سياسية مستقلة مع بقاء تبعيتهم للعباسيين اسماً مثل بنو زياد والنجاحيين وغيرهم، إلى ان أعيد توحيد كيان اليمن السياسي أيام الصليحيين ومن تبعهم من الأيوبيين والرسوليين والطاهريين .

اليمن قبل الاحتلال العثماني :

يبدأ تاريخ اليمن الحديث مع أواخر حكم الطاهريين في القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري ، رغم ان الطاهريين يحسبون على التاريخ الإسلامي .

ففي بداية هذا القرن كان البرتغاليون قد سلكوا طريق الساحل الأفريقي المباشر إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح مروراً بسواحل اليمن وباب المندب ، فحولوا تجارة الشرق إلى هذا الطريق الجديد بدلاً من البحر الأحمر والخليج العربي ، وكان هذا يعني انتقال مهنة التجارة البحرية والسيطرة عليها من العرب ،

ومنهم أهل اليمن ، إلى البرتغاليين ، وقد تزامن ذلك مع انهيار وسقوط الطاهريين وانتقال السيادة من أيدي أهل اليمن الجنوبيين السهلين إلى أيدي الشماليين الجبلين ، وهم الأئمة الزيدية وأتباعهم الذين سيطروا على اليمن حتى قيام ثورة سبتمبر / أيلول 1962م . امتد حكم الدولة الطاهرية للفترة (1454 - 1517) وكانت اليمن في البداية مقسمة بينهم وبين الامامية الزيدية الذين تحصنوا بالمنطقة الجبلية الشمالية ، إلى ان تمكن آخر ملوك الطاهريين السلطان عامر بن عبد الوهاب من إضعاف الأئمة الزيدية واستولى على صنعاء ومد نفوذه إلى الشمال .

تولى عامر بن عبد الوهاب الحكم في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (1489م) وامتد حكمه تسعة وعشرون عاماً ، ولما كانت عدن ولحج هي المنطقة التي انطلق منها الطاهريون، عندما كانوا ولاية الرسولين عليها، ليؤسسوا دولتهم بعد ضعف الرسولين ، فقد اهتم عامر بن عبد الوهاب بالقضايا الاقتصادية وبالذات التجارة والزراعة شأنه شأن أسلافه الطاهريين لان منطقتهم كانت زراعية وتجارية بحكم موقعها الجغرافي . وعندما جاء الغزو البرتغالي لم يتمكن عامر بن عبد الوهاب من مواجهته بقوة وجدية لانشغاله بالحروب الداخلية وعدم وجود اسطول حربي قوي لديه و عدم امتلاكه الأسلحة الحديثة التي جاء بها البرتغاليون واستخدموها بقسوة وشدة ضد العرب وسفنهم وتجارتهم ، يضاف إلى هذا كله

الحصار البحري الذي فرضه البرتغاليون مما اضعف إيرادات
الطاهرين الضخمة التي كانت تأتيهم من الموانئ اليمنية .
ومع ذلك فقد أمر السلطان عامر بن عبد الوهاب بتجهيز حملة
بحرية عام (1507 م) لقتال البرتغاليين في الهند شارك
فيها متطوعين من العلماء والفقهاء وطلبة العلم للجهاد ضد
البرتغاليين ، بيد أن هذه الحملة قد أجهز عليها البرتغاليون حيث لا
توجد عنها أخبار بعد إبحارها ، وربما كانت التجهيزات الحربية
البسيطة والسفن العادية التي جهزت بها الحملة سبباً لضياعها
وفشلها. ولم يكن موقف المماليك في مصر بأحسن منه حيث فشلت
حملتهم إلى الهند بعد ان استتجد بهم المسلمون هناك ، وهُزموا
أمام البرتغاليين في معركة (ديو) عام 1509م.
وفي هذه الفترة تم تعيين الفونسو البوكيرك نائباً للملك في
الهند الذي كان يؤمن ان السيطرة على مصادر التجارة أسهل
بكثير من مطاردة السفن التجارية في عرض البحر ولذلك سعى
للسيطرة على مناطق استراتيجية في الهند ومضيق هرمز وميناء
عدن لإغلاق طريق البحر الأحمر إلى مصر والسيطرة على مصادر
التجارة
اتجه البوكيرك إلى عدن في شباط / فبراير 1513 م على
رأس حملة بحرية كبيرة وهاجمها عندما وصل إليها في شهر مارس /
آذار حينما كان عامر بن عبدالوهاب مشغولاً في حروبه الداخلية
رغم سيطرته على صنعاء ، ومع ذلك جهز السلطان عامر حملة

حرية إلى عدن لنجدتها وأمر الأمراء في الموانئ اليمنية باتخاذ الاجرات اللازمة للدفاع عن موانئهم . وقبل وصول حملة السلطان عامر هاجم البرتغاليون ميناء عدن ونهبوا البضائع ثم أنزل البوكيرك جنوده إلى البر لاحتلال عدن فقاومه أهلها من خلف أسوار المدينة مما اضطر البرتغاليين إلى الانسحاب مخلفين بعض القتلى ، إلا ان البوكيرك بقي في ميناء عدن واحرق الكثير من السفن الراسية فيه ، ثم اتجه إلى البحر الأحمر واحتل جزيرة كمران ودمر ما فيها من مظاهر الحياة ، ولم يتمكن من الوصول إلى ميناء جدة بسبب الرياح فعاد إلى عدن وقصفها بالمدافع لاسبوعين ثم غادرها إلى الهند بعد ان استطلع منطقه البحر الأحمر . وكانت من توصياته إقامة حصن قوي في عدن للبرتغاليين والقضاء على سلطة مصر في البحر الأحمر وتخريب مكة المكرمة وغلق مضيق باب المندب لصالح البرتغاليين.

لقد وصل عجز الطاهريين عن الدفاع إلى درجة ان الحملة التي أمر بها عامر بن عبد الوهاب لم تصل إلى عدن حتى بعد انسحاب البوكيرك، وقد اضطر أهل عدن لمقاومة البرتغاليين بإمكاناتهم الذاتية ، وكان لتصاعد روح المقاومة ضد الغزو البرتغالي لليمن ان طلب أهالي تهامة من السلطان عامر تزويدهم بالسلاح لمهاجمة البرتغاليين عندما كانوا في جزيرة كمران ، ولكن السلطان رفض طلبهم وبقي سلباً في موقفه من البرتغاليين إلى ان انسحبوا منها .

اهتم المماليك بالخطر البرتغالي وتوغله في البحر الأحمر
فطلبوا من العثمانيين مساعدتهم ، فتم تهيئة اسطول عثماني في
عام 1511م واستغرق الإعداد للحملة حتى عام 1515م وسميت (
حملة الهند) لكنها لم تصل إلى الهند بل توقفت عند ميناء عدن
لإقامة القواعد البحرية على السواحل اليمنية لغلق البحر الأحمر أمام
البرتغاليين . وكان عامر بن عبد الوهاب قد وافق على إقامة هذه
القواعد عندما استتجد بالمماليك بعد هجوم البوكيرك على عدن عام
1513، ولما فشل الهجوم دون مساعدة خارجية وتأخر وصول
النجدة المصرية تراجع السلطان عامر عن الوفاء بعهده هذه المرة
مما اضطر المماليك إلى مهاجمة السواحل اليمنية بالقوة ومن ثم
احتلال اليمن وإسقاط الدولة الطاهرية بالتعاون مع بعض القبائل
اليمنية وفي مقدمتهم الامامية الزيدية .
كان المماليك قد تمكنوا من احتلال تهامة وبعد معارك مع
الطاهريين دخلوا مدينة زبيد في يونيو/ حزيران 1516 م ونهبوها ،
وبعد اقل من عام احتلوا مدينة تعز دون قتال ونهبوها بعدان
انسحب منها عامر بن عبد الوهاب اثر تفرق قواته القبلية التي خشيت
من قتال المماليك لامتلاكهم أسلحة حديثة مكنتهم من دحر
الطاهريين في معارك سابقة .
توجه عامر بن عبدالوهاب إلى مدينة إب بعد انسحابه من تعز،
وعندما علم بتقدم المماليك إلى عاصمته المقرانة سبقهم إليها

واخرج منها أمواله ونساءه قبل وصولهم ، فأحتلها المماليك بعد انسحابه منها ونهبوها .

ثم توجه قائد الحملة المملوكي برسباي إلى بلاد آل عمار الذين وفدوا إليه وبايعوه وطلبوا منه الذهاب معهم إلى بلادهم وعند وصوله قتلوه مع من جاء معه من أصحابه ، فاختر جنده الذين بقوا في المقرانه اسكندر بن محمد قائداً جديداً لهم والذي توجه بهم إلى صنعاء وحاصرها فلحق بهم السلطان عامر بن عبدالوهاب بعد ان سمع بمقتل برسباي وخاص مع المماليك معركة ضارية دفاعاً عن صنعاء لكنه قتل مع أخيه عبد الملك في المعركة في شهر مايو / أيار 1517م .

تزامنت مع نهاية الدولة الطاهرية نهاية دولة المماليك في مصر والشام بعد أن انتصر السلطان العثماني سليم الأول على المماليك في معركة مرج دابق عام 922هـ / 1516م واحتل مصر عام 923هـ / 1517م وعندما وصلت الأخبار إلى اسكندر وقادة المماليك في اليمن أعلنوا ولاءهم للعثمانيين وجعلوا الخطبة في صنعاء باسم السلطان العثماني سليم الأول ثم قرر اسكندر الانتقال إلى زبيد لمتابعة الأحداث ولكن خبر سقوط دولة المماليك أثار استخفاف القبائل اليمنية باسكندر وقواته فهاجمته قبائل بلاد إب وهو في طريقه إلى زبيد حيث فوجئ المماليك بقبائل حبيش ومخلاف الشوافي وغيرهم من أهل منطقة بلاد إب الجبلية وسط بلاد اليمن تهاجمهم وتقتل عددا كبيرا منهم. ويصف ابن الديبع في

مخطوطه (قرة العيون) معركة بلاد إب هذه التي نجا منها اسكندر بصعوبة فيقول أنها كانت :-

" وقعة عظيمة نصر فيها حبيش عليهم فقتلوا الأبطال ونهبوا الأموال واستنقذوا الشيخ عامر بن عبد الملك بن عبد الوهاب منهم [كان أسيرا لديهم] واخذوا عليهم جميع ما أخذوه من المقرانة وصنعاء وكانت وقر ثمانية آلاف جمل من الذخائر والجواهر والنقود والنفائس والأموال والذهب الأحمر والفضة والقماش والسلاح والعدد وغير ذلك " .
أما المؤرخ عيسى بن لطف الله بن شرف الدين فقد وصف معركة بلاد إب على النحو الآتي :-

" إن الغارات كانت تنادي بالثارات فقتل من الشراكسة أمة ونهب ما قد جمعه من الجواهر والعين والذهب واللجين وصار أثرا بعد عين واستكفلوا الخيل والبغال والجمال والأحمال وكانت حملة مستكثرة وذخائر موقرة وفي جملة ما استنقذوه من الشراكسة من الأسرى عامر بن عبد الملك بن عبد الوهاب " .
إن إشارة المؤرخ شرف الدين إلى الغارات كانت تنادي بالثار وأنقذت عامر بن عبد الملك بن عبد الوهاب، أي أن عامر بن عبد الوهاب هو عمه، تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن هجوم قبائل بلاد إب لم يكن لمجرد الحصول على الغنائم وإنما كان انتقاما وثأرا لمقتل عامر بن عبد الوهاب وشقيقه عبد الملك وأسر ولديهما .

من جانب آخر فان سقوط دولة المماليك في مصر والشام وانحسار نفوذهم في اليمن وانشغال الامامية الزيدية في حروب شمال اليمن قد دفع بقايا الطاهريين إلى محاولة إعادة حكمهم ومنهم الأمير عامر بن داود الطاهري الذي كان متحصنا في بلاد رداع منذ سقوط دولتهم، فامتد نفوذه إلى بلاد إب وبلاد تعز إلا انه لم يدم طويلاً بعد أن تفرغ له الإمام الزيدي يحيى شرف الدين حيث تمكنت قواته بقيادة ابنه المطهر من بسط نفوذها على بلاد إب وعموم مخلاف جعفر وحصونه بما فيها مدينة إب.

الاحتلال العثماني الاول لليمن

انقسم الاحتلال العثماني لليمن إلى عهدين تخللهما قيام حكم الأئمة الزيدية (القاسميون) والذي استمر رغم عودة العثمانيين لاحتلال اليمن في عهدهم الثاني. لقد دخلت اليمن تحت السيطرة العثمانية مع سقوط حكم المماليك في مصر عام 923 هـ 1517 م حين أعلن المماليك في اليمن خضوعهم للسيادة العثمانية ، إلا أن الاحتلال العثماني الفعلي لليمن قد بدأ مع الحملة البحرية الكبيرة التي أمر بها السلطان العثماني سليمان القانوني لمواجهة البرتغاليين في الهند والقضاء على سيطرتهم في المحيط الهندي. وقد أبحرت هذه الحملة عام 945هـ / 1538 م بقيادة والي مصر سليمان باشا الخادم الذي استولى على عدن بعد أن قتل آخر الطاهريين فيها عامر بن داود وعين محله عليها واليا تركيا ليبدأ الفتح العثماني الأول لليمن.

فشلت حملة سليمان الخادم إلى الهند ولم تحقق أهدافها فعاد إلى اليمن واحتل الشحر وحضرموت وزيد وتهامة، وفي السنوات التي تلت تقدم العثمانيون داخل اليمن لكنهم لم يتمكنوا من احتلال صنعاء إلا في زمن الوالي ازدمر باشا عام 956هـ/ 1547م أما عن الأمامية الزيدية في الشمال فقد اضطروا إلى توقيع الصلح مع العثمانيين في زمن المطهر شرف الدين لكنه عاد فأتتفص عندما ضعفت سلطة العثمانيين بسبب الصراعات بين الولاة العثمانيين (محمود باشا ورضوان باشا ومراد باشا) مما أدى إلى انهيار السلطة العثمانية ودخول الإمام الزيدي المطهر صنعاء في صفر من عام 975هـ/ آب أغسطس 1567م كما اكتسحت قواته فلول الجيش العثماني في الناطق الجنوبية حتى وصلت عدن فانحصرت السلطة العثمانية في مدينة زيد وما حولها من المنطقة التهامة .

إن انهيار السلطة العثمانية في اليمن قد دفع العثمانيين إلى إعداد حملة كبيرة بقيادة سنان باشا والذي استطاع خلال سنتين (976-978هـ / 1569-1571م) من استرداد الكثير من المناطق التي كان الإمام المطهر قد استولى عليها. وبوفاة المطهر في رجب 980هـ/ نوفمبر 1572م انتهت إمامة آل شرف الدين ولم يستطيعوا النهوض من جديد رغم محاولاتهم اليائسة ولذلك عاشت السيطرة العثمانية في اليمن خلال حكم الوالي حسن باشا الوزير ولمدة ربع قرن (989-1013هـ / 1580-1604م) استقرارا نسبيا وبسطا

للسلطة المركزية للوالي العثماني ولكن الفساد الإداري والظلم والوحشية التركية قد فجرت بعد ذلك ثورة بقيادة الإمام الزيدي القاسم بن محمد الذي أسس حكم أسرة القاسميين التي توارثت الحكم في اليمن إلى قيام ثورة 26 أيلول 1962م¹ .

لقد تمكن القاسميون من فرض أنفسهم على العثمانيين الذين اعترفوا بسلطتهم في المناطق الشمالية لصنعاء بعد فشل العثمانيين في تحقيق أي نصر خلال ثلاث سنوات من الحروب معهم .. وقد أدى ضعف العثمانيين إلى دخول القاسميين مدينة صنعاء بعد معارك معهم في أول رجب من دولته 8هـ / 23 شباط - فبراير 1629م، وبعد ثلاثة أشهر سقطت تعز بأيديهم مما فتح الأبواب أمام القاسميين للسيطرة على بقية المناطق الجنوبية بعد عام واحد من حصار تعز ودخولها ثم أعلنت عدن الطاعة فكانت بداية نهاية الأتراك العثمانيين وحصارهم في زيد الذي كان طويلا وقاسيا عليهم فانهارت القوات العثمانية وتركوا اليمن إلى مصر في شهر جمادي الآخرة من عام 1054هـ / أكتوبر تشرين الأول 1636م لينتهي بذلك العهد العثماني الأول في اليمن وحل محله حكم أسرة الإمام القاسم بن محمد لأكثر من قرنين من الزمن عاد بعدها العثمانيون مرة ثانية ليحتلوا اليمن عام 1289هـ / 1872م وحتى نهاية الدولة العثمانية عام 1339هـ / 1918م وهو العهد العثماني الثاني في

اليمن الذي أصبح ولاية عثمانية مع استمرار حكم الامامية الزيدية
القاسميين في الشمال الذين دخلوا في صراع معه .
محمد علي باشا واحتلال البريطانيين لعدن :

كان احتلال اليمن جزءاً من مشروع والي مصر محمد علي باشا
بضم شبه الجزيرة العربية إلى دولته . ففي عام 1835 م تمكنت
قوات محمد علي بقيادة إبراهيم باشا يكن من احتلال تهامة و
اليمامة وإقامة حكم تابع لمحمد علي مركزه مدينه تعز . وبعد
معارك عدة مع الامامية الزيدية (القاسميون) الذين أصابهم الضعف
بعد وفاة الإمام المهدي بن عبدالله (1816 - 1853) آخر الحكام
القاسمين الأقوياء ، أصبحت اليمن عدا صنعاء تحت حكم محمد
علي باشا ، وعندما اقتربت قوات محمد علي من ميناء عدن عام
1837م خشيت بريطانيا من ان يحتله محمد علي باشا فيكون بداية
لاحتلاله موانئ الجنوب العربي مما يشكل خطراً على المصالح
البريطانية التي كانت قلقه أصلاً من نشاطاته في البحر الأحمر
والحجاز وخشيت من ازدياد نفوذه وتحكمه في طريق الهند مثلما
حاول فعله نابليون بونابرت عند احتلاله مصر عام 1798م.
كان ميناء عدن بالنسبة للبريطانيين ميناء حيوياً بموقعه
الاستراتيجي على طريق الهند ولان البريطانيين جعلوه محطة تتزود
منه بواخرهم بالفحم منذ عام 1829م ، لذلك أخذت تبحث عن
وسيلة لاحتلاله قبل ان يستولي عليه محمد علي باشا، فسنحت
الفرصة عندما هاجم أهل عدن باخرة بريطانية، وكانت جزءاً من

هجمات عربية لمقاومة السفن الأجنبية في سواحل الجزيرة العربية و الخليج العربي ، فتقدم الأسطول البريطاني في منتصف كانون الثاني 1839 م إلى عدن لاحتلالها ، وقاوم أهل عدن نزول الجنود البريطانيين على أرضهم ، ودافعوا عن قلعة عدن وصمدوا رافضين التسليم ولكن الجنود البريطانيون احتلوا الميناء ورفعوا العلم البريطاني على قصر السلطان .

إن احتلال عدن قد وضع حداً لنفوذ محمد علي باشا في اليمن ولذلك ونتيجة للضغوط الأوربية اصدر محمد علي في مارس / آذار 1840 أمراً إلى قواته بالجلء عن اليمن وتسليم الأمور إلى الشريف حسين بن حيدر فانسحبت قواته من اليمن في مايو/ أيار من العام نفسه .

الاحتلال العثماني الثاني

ازدادت أهمية اليمن بالنسبة للعثمانيين بعد فتح قناة السويس عااستلام الإمامة ان قناة السويس سهلت ربط اليمن والحجاز بالعاصمة اسطنبول بحراً، ولذلك توجهت حملة عثمانية بقيادة الوالي احمد مختار باشا وأعادت احتلال اليمن ودخلت صنعاء في شهر ابريل/ نيسان 1872م/ 1289هـ ليصبح اليمن ولاية عثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م أي مدة 46 عاماً، مع بقاء سلطة الامامية الزيدية (القاسميون) في شمال اليمن، والذين

دخلوا في صراع مع العثمانيين حتى عام 1911م عندما وقع الطرفان صلح دعان.

شهد اليمن بعد الاحتلال العثماني الثاني استقراراً نسبياً
لحين استلام الإمامة محمد بن يحيى حميد الدين عام
1307هـ / 1890م والذي تلقب بالمنصور، حيث بدأت مقاومة
الوجود العثماني التركي في اليمن . وحاول الإمام المنصور أن
يفرض نفوذه في اليمن الأسفل في مناطق إب وجبله وتعز،
ولكن وطأة النفوذ العثماني التركي فيها وفي تهامة كانت
شديدة وقوية لسهولة إيصال الإمدادات العسكرية من ميناء
الحديدة والمخا، ولذلك فإن المعارك التي قامت بين اليمنيين
والأتراك العثمانيين في سحول إب وحول مدينة إب ومدينة جبلة
وفي القاعدة وقعطبة وغيرها لم تأت بنتيجة، ولم تسجل
انتصاراً حاسماً لليمنيين .

كان ابن المنصور يحيى الملقب بسيف الإسلام يشارك
والده في انتفاضاته وقاتله الأتراك العثمانيين وكان يتصل
بالقبائل لحشد رجالها إلى جانبهم. وعندما توفي المنصور عام
1904م / 1322هـ بوبع سيف الإسلام يحيى بالإمامة فاستمر على
نهج والده وتمكن من فرض حصار شديد على الأتراك في
مدينة صنعاء عام 1905م استمر لعدة أشهر إلى أن جاءت قوة
عسكرية عثمانية بقيادة أحمد فيضي تمكنت من إنهاء الحصار
حيث انسحب الإمام يحيى من سور صنعاء إلى بلاد حاشد دون

ان يقاتل القوة العثمانية المتجهة إلى صنعاء لأنه وجدها قوة كبيرة لا يستطيع قتالها . أما احمد فيضي فلم يكتف بصنعاء بل خاض معارك خارجها تمكن فيها من الاستيلاء على مدن مهمة كانت تحت سيطرة الإمام يحيى مثل كوكبان وعمران وحجة وغيرها ، إلا ان هذه المعارك أنهكت وأتعبت القوات العثمانية وكلفت أموالا طائلة فالتجأ العثمانيون إلى التفاوض مع الإمام يحيى فطرح شروطه للحصول على صلاحيات واسعة في الحكم والسيطرة مع الاعتراف بالسيادة العثمانية على اليمن . لكن العثمانيون رفضوا شروط الإمام يحيى لأنها تنتقص من سيادتهم.

حاول العثمانيون التفاوض مرة أخرى مع الإمام يحيى فأرسل السلطان العثماني إلى اليمن ثاني وفد من مكة المكرمة ولم يفلح هو الآخر بالتوصل إلى اتفاق لان إمام اليمن أصر على مطالبه ، واستمرت الأمور بعد ذلك مجمدة دون قتال بين الطرفين عدا بعض المناوشات . ولما كان والي احمد فيضي يشكل عائقا في التفاهم مع اليمنيين لكرههم له بسبب مواقفه المعادية منهم فقد تم عزله عام 1908م وعين حسن تحسين باشا واليا على اليمن .وقد تحسنت أحوال اليمن في عهده وسكن القتال بعد ان اتفق مع الإمام يحيى ان لا يعتدي احدهما على الآخر أملا في التوصل إلى اتفاق ، لكن الوفود

اليمنية التي قابلت السلطان العثماني فشلت في التوصل إلى اتفاق.

وعندما وقع الانقلاب العثماني الذي قاده جمعية الاتحاد والترقي في اسطنبول عام 1908م والتي تبنت السياسة العنصرية بتتريك العرب وغيرهم من شعوب الدولة العثمانية، لم يعد الخلاف مع العرب حول مفاصد الحكومة وظلم الولاة الأتراك فقط وإنما حول هوية العرب القومية أيضا، وقد انعكس ذلك في سياسة الوالي الجديد محمد علي باشا الذي عينه الاتحاديون والذي امتاز باستخدام الشدة والقسوة والشراسة في تعامله مع اليمنيين فتجددت المعارك مع الإمام يحيى الذي تمكن من فرض الحصار من جديد على صنعاء عام 1911م وداخلها الوالي التركي المكروه محمد علي باشا. فأرسلت السلطة العثمانية جيشا قويا بقيادة رئيس أركان الجيش احمد عزت باشا تقدم من الحديدة وخاض معارك عديدة في طريقه إلى صنعاء فانسحب الإمام يحيى من سور صنعاء بعد ان حاصرها لمدة أربع أشهر، ودخلها احمد عزت الذي بذل جهودا حثيثة بعد توقف القتال لعقد صلح مع الإمام يحيى، وقد تم له ما أراد بتوقيع صلح دعان عام 1911م والذي أوقف الصراع باعتراف الإمام بالسيادة العثمانية مقابل الاستجابة لمطالبه، واستمر هذا الاتفاق فاعلا إلى سقوط الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م .

أصبحت اليمن بعد اتفاق دعان تخضع لثلاث قوى متهادنة هي البريطانيين في الجنوب والعثمانيين والامامية الزيدية في الوسط والشمال . إلا انه كانت هناك قوة رابعة في منطقة عسير التي يعتبرها الإمام جزءا من اليمن وهم الادارسة . فقد استطاع محمد بن علي بن احمد الإدريسي ان يستثمر النفوذ الروحي لأسرته في عسير ليحصل على نفوذ سياسي فيها مما دفع العثمانيين إلى قتاله وكان موقف الإمام قبل صلح دعان هو الترحيب بمحمد الإدريسي والدخول في تحالف معه ليكون حماية له في مؤخرته عند تقدمه إلى صنعاء لحصارها . ولكن الإدريسي رفض اتفاق دعان وأعلن التمرد ضد العثمانيين في الشهر نفسه الذي وقع فيه الصلح واحتل أبها ولجأ إلى جبال عسير الجنوبية واتخذها حصنا له . وعندما احتل الايطاليون ليبيا وظهرت المقاومة الليبية ضدهم كتب متصرف عسير إلى الإدريسي يطلب منه الصلح مع الدولة العثمانية للوقوف معها ضد أعداء الدين الايطاليين ، ولكن الإدريسي لم يستجب بل اتصل بالايطاليين وزودوه بالسلاح لقتال العثمانيين ، ولم تفلح أي محاولات للصلح بينه وبين العثمانيين أو مع الامامية الزيدية . وقد استمرت المعارك والمناوشات بين الادارسة والامامية حتى بعد انهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى . وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى عام 1918م وفرض الحلفاء شروطهم قام الجنود العثمانيون في اليمن وعسير

بتسليم أسلحتهم إلى البريطانيين في عدن. ودخل الإمام يحيى صنعاء بناء على دعوة الوالي محمود نديم بك في نوفمبر 1918م. أما الحديدية فقد قصفها البريطانيون وسلموها إلى الإدريسي الذي تحالف معهم خشية من سيطرة الإمام يحيى عليه. وهكذا شهدت نهاية الحرب العالمية الأولى وضعاً سياسياً جديداً في اليمن كان له أثره في تطور الأحداث السياسية بعد الحرب.

ب - نجد والحجاز

كانت الحجاز تحكم من قبل الإشراف الذين يعود نسبهم إلى النبي محمد (ص) وقد دخلت الحجاز تحت السيادة العثمانية سلمياً عندما أحتل السلطان العثماني سليم الأول مصر عام 1517م حيث أعلن شريف مكة ولاءه للعثمانيين. أما عن بلاد نجد فإن الدولة العثمانية لم تتدخل في شؤون الإمارات الصغيرة التي كانت منتشرة فيها مثل آل معمر في العيينة ودهام بن دواس في الرياض وآل زامل في الخرج وآل سعود في الدرعية، وترك العثمانيون نجد يحكمها أهلها بطريقتهم القبلية طالما كانوا غير معادين لهم ، إضافة إلى أن بلاد نجد كانت فقيرة في مواردها ولا تثير اهتمام العثمانيين بعكس اليمن والإحساء والحجاز وهذه الأخيرة لها مكائتها الدينية الخاصة عند المسلمين لوجود مكة المكرمة والمدينة المنورة فيها . لقد بقي الحال في نجد والحجاز على ما هو عليه إلى أن ظهرت دعوة محمد بن عبد الوهاب المعروفة بالحركة الوهابية

والتي اتفقت لا حقاً مع آل سعود ليكونا حلفاء وتعاهداً أبدياً كان له تأثيره ودوره في تغيير الواقع السياسي والاجتماعي في شبه الجزيرة العربية عموماً ونجد والحجاز بشكل خاص ، علماً أنه لم يكن لآل سعود قبل هذا مكانة في نجد بل أنه لم يكن لهم تأثير يذكر في شؤون الجزيرة العربية ، ولكن تبنيهم لدعوة محمد عبد الوهاب قد جعلت منهم قوة كبيرة تمكنت رغم الانتكاسات التي أصيبت بها أن تسيطر في النهاية على نجد والحجاز لتقيم دولتها المملكة العربية السعودية في مطلع القرن العشرين ،
الدعوة الوهابية وآل سعود :

لكي تكون الصورة واضحة لا بد من أن نتناول المبادئ التي نادى بها محمد بن عبد الوهاب فقد سادت الخرافات والجهالة ودخلت في عقيدة الإسلام أمور الشعوذة وكثرة السحرة والمشعوذين والجهلاء في الجزيرة العربية في القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر ، فكانت هذه البيئة غير الصحية مساعداً كبيراً في استجابة الكثير من المسلمين لدعوة محمد بن عبد الوهاب في العودة إلى أصول الإسلام متأثراً بأحمد بن حنبل وأبن تيمية ، وأتخذ مبدأ التوحيد أساساً لدعوته وأعتبر التعبد إلى الأضرحة والقبور شركاً بالله ، ولذلك فهو يؤمن أنه لا يمكن أن تستقيم دعوة التوحيد دون محاربة البدع مثل الاستعاذة بغير الله والاستغاثة بغيره والاستشفاع بسواه 0 وتبنى محمد بن عبد الوهاب مبدأ الجهاد في سبيل نشر دعوته وعلى الأساس الذي يقول ((من آمن وطبق مبدأ التوحيد وتجنب الشفع غير

المشروع وتجنب تقديس القبور سلم من الحرب المشروعة ومن خالف هذه الدعوة أصبح دمه وماله حلاً للمجاهدين الموحدين حتى يعود إلى طريق التوحيد الخاص)) ولذلك اعتبر محمد بن عبد الوهاب غنائم غزواته في شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام حلالاً له ولأنصاره إن أمكنهم البقاء في الأرض التي يسيطرون عليها ليلحقوها بأملاكهم ، وإذا لم يمكنهم البقاء أكتفوا بما يصل إلى أيديهم من

الغنيمة، وتطبيقاً لمبدأ التوحيد وعدم الشرك بالله فقد شارك محمد بن عبد الوهاب في هدم القباب والأضرحة بما فيها قبور الصحابة لم تلق دعوة محمد بن عبد الوهاب ترحيباً في العديد من مناطق شبه الجزيرة العربية العراق وبلاد الشام لأن الكثيرين وجدوا فيها تطرفاً وغلواً غير اعتيادي ولذلك واجه محمد بن عبد الوهاب الكثير من المصاعب والمشاكل في نشر دعوته فقد خرج من البصرة مغضوباً عليه وكاد أن يموت في طريق الصحراء، كما أضطر حليفه أمير العيينة عثمان بن معمر أن يطلب منه مغادرتها لأن أمير الإحساء سليمان هدد عثمان بقطع الخراج عنه إذا لم يقتل محمد بن عبد الوهاب ، فغادر العيينة وذهب إلى الدرعية عاصمة آل سعود عام 1743 م / 1157هـ لتبدأ مرحلة جديدة ومهمة في دعوته وفي تاريخ نجد والحجاز حين نجح في استقطاب أمراء آل سعود فاجتمعت إرادته الدينية مع إرادتهم القتالية بعد أن آمنوا بدعوته ، فحصل اتفاق وتعاهد بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود لنشر الدعوة

بقوة السلاح إذا لم تتفع أساليب الإقناع ،علماً أن حدود إمارة آل سعود لم تكن تتعدى عندما بدأوا دعوتهم بلدين أو ثلاثاً من القرى التابعة لها في وادي حنيقة بنجد .

يقسم الباحثون والمؤرخون مراحل الحركة الوهابية السعودية في بلاد نجد والحجاز من دخول محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية وتحالفه مع آل سعود عام 1744م وحتى قيام المملكة العربية السعودية عام 1932م إلى ثلاثة عهود : الأول ينتهي بقضاء محمد على باشا على الحركة الوهابية السعودية واحتلاله لنجد والحجاز وسقوط عاصمتهم الدرعية بيده عام 1818 ، أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد انسحاب قوات محمد على من الجزيرة العربية وإعادة السعوديين هيمنتهم على بلاد نجد ابتداء من عهد تركي بن عبد الله وولده فيصل ولكن الصراع بين ولدي فيصل (عبدالله و سعود) أدى إلى انهيار السلطة السعودية الوهابية من جديد أمام محمد بن رشيد أمير حائل المتحالف مع العثمانيين والتجأ عبد الرحمن بن فيصل إلى الكويت مستجيراً بآل صباح عام 1891م / 1309هـ. وتبدأ المرحلة الثالثة بخروج عبد العزيز بن عبد الرحمن من الكويت عام 1901 واستيلائه على الرياض بالهجوم المفاجئ وإعادة سلطة الحركة السعودية الوهابية على نجد والحجاز بالقوة وبالتحالف مع بريطانيا والذي أدى إلى إنهاء حكم الإشراف على الحجاز وقيام المملكة العربية السعودية في مناطق نجد والحجاز والإحساء وعسير.

الإمارة السعودية الأولى

في المرحلة الأولى توسعت الدعوة الوهابية بقوة الحملات العسكرية التي قام بها الجيش السعودي الوهابي (الأخوان) بقيادة محمد بن سعود أو ولده عبد العزيز فأثارت الدعوة إستياء بنو خالد في الإحساء وال الكرمي في نجران، واتهم أشراف مكة الوهابيين السعوديين بالمروق عن الدين واستتجدوا بالحكومة العثمانية لكن ذلك لم يؤثر على استقرار الإمارة واستمرارها. وبعد ثلاثين سنة من الحكم توفي محمد بن سعود عام 1765م خلف ابنه الأكبر عبد العزيز الذي سار على نهج والده فأصبحت الدرعية في أواخر القرن الثامن عشر عاصمة دينية وسياسية وعسكرية . وفي سنة 1187 هـ / 1773م تمكن من الاستيلاء على الرياض بعد خمس سنوات من الهجمات المتتالية وطرد منها حاكمها دھام بن دواس 0 واستمرت هجمات الإخوان بقيادة عبد العزيز على القصيم والبريدة والإحساء فاحتلوها ثم هاجموا مدينة كربلاء في العراق عام 1801 وهدموا الأضرحة ، إلا أنهم لم يتمكنوا من مدينة النجف ، وكان محمد عبد الوهاب قد توفي قبل هذا بعشرات سنوات . وهكذا استطاع عبد العزيز أن يوسع إمارته خلال فترة حكمة التي امتدت تسع وثلاثين عاماً لتشمل الرياض والإحساء والقطيف وكل أراضي نجد ، أعتزل عبد العزيز بعد ذلك وأنصرف للعبادة وأخذ البيعة لولده سعود الملقب بالكبير ، وكانت معظم المناطق التي تم الإستيلاء عليها سابقاً في حالة تدمير بسبب سلوك قوات الإخوان ووحشيتهم وقسوتهم ، مما جعلهم في حالة قتال مستمر ، ومع ذلك

قام عبد العزيز بالهجوم على الحجاز ودخل مكة المكرمة عام 1219 هـ / 1804 ، ولكنه أبقى شريف مكة غالب الشريف أميراً عليها بشرط إتباع تعاليم الدعوة الوهابية ، وبعد سنتين أضطر أهل المدينة المنورة إلى مبايعة سعود بن عبد العزيز والدخول في طاعته وتطبيق الدعوة الوهابية ، فهدمت جميع القباب المقامة على القبور ووصل بالإخوان الأمر إلى محاولة هدم قباب قبر الرسول (ص). واستمرت قوات الأخوان في توسعها بقيادة سعود إلى أطراف اليمن وعسير وتهامة ونجران والإمارات الساحلية في الخليج العربي فسيطر على عمان ومسقط وهدد بلاد الشام والعراق. أعلن سعود بن عبد العزيز انتهاء السيادة العثمانية على الحجاز وأجبر الحجاج المصريين وأهل الشام والأترك على اتباع أسلوب الوهابيين في الحج أو منعهم منه ، مما سبب تدمراً ومقاطعة للحج وخسارة مالية لأهل الحجاز لامتناع الناس عن الحج في هذه الظروف الصعبة التي وصلت إلى تعرضهم للسلب والنهب والقتل ، وأخذ شريف مكة يرسل الوفود إلى السلطان العثماني في اسطنبول والي والي مصر محمد بن باشا يطلب منهما التدخل لإنقاذ الحجاز من الوهابيين

إن هذا السلوك الوهابي المتطرف ، وفقدان العثمانيين السيادة على الأماكن المقدسة في الحجاز لصالح سلطة لا تدين لهم بالولاء ، قد دفع الدولة العثمانية إلى التعبئة المعنوية والعسكرية ضد آل سعود الوهابيين فطلبت من والي مصر محمد علي باشا أن

يجهز حملة لإنقاذ الحجاز والقضاء على الوهابيين وشجعت محمد على بإظهار عدم ممانعتها أن تصبح الحجاز جزءا من دولته ، ورغم تباطؤ محمد على في الاستجابة فقد أكمل تجهيزاته للحرب وبنى السفن الحربية اللازمة وعهد لأبنة طوسون قيادة الحملة العسكرية على الحجاز عام 1811 م / 1126هـ حملة محمد على وإسقاط إمارة السعوديين

امتدت حملة محمد على باشا على بلاد نجد والحجاز لإسقاط الإمارة السعودية الوهابية لسبع سنوات 1811 - 1818م ، وقد ابتدأت بنزول قواته بقيادة ولده طوسون في ميناء ينبع القريب من المدينة المنورة ، ولكنه لم يتمكن من دخولها إلا بعد أن جهز محمد على باشا حملة ثانية مساندة بقيادة ابنه إبراهيم باشا الذي استولى على المدينة المنورة عام 1812م فكانت مدخلا لإعادة السيطرة على الحجاز ومدنه ، ليضع بعدها الخطط العسكرية للزحف على نجد . وقد شارك محمد على باشا بنفسه ببعض هذه الحروب وكانت المعارك سجلاً في نجد وعسير والحجاز توفى خلالها سعود الكبير عام 1814 وتولى ولده الكبير عبد الله الإمارة والتي نافسه عليها عمه عبد الله بن محمد بن سعود مما أدى إلى انقسامات داخل الأسرة السعودية سهلت لقوات محمد على باشا الإنتصار على السعوديين الوهابيين بعد معركة فاصلة عام 1818 دخلت على أثرها قوات محمد على باشا بقيادته وأبنة إبراهيم إلى الدرعية وتم القبض على عبد الله بن سعود وأرسل إلى اسطنبول وقتل هناك

وهدمت الدرعية نفسها وانتهى بذلك حكم السعوديين الوهابيين في شبه الجزيرة العربية وعادت السلطة العثمانية الاسمية لبلاد نجد والحجاز التي أصبحت تحت حكم والي مصر محمد علي باشا فعلياً. بقى إبراهيم باشا وقواته في نجد حتى صيف عام 1819 ثم انسحب عائداً إلى مصر بعد أن سلم البلاد إلى قوات الجيش العثماني وعين أحد الأتراك والياً على نجد مع بقاء حاميات مصرية في نجد والحجاز

الإمارة السعودية الثانية

أدى انسحاب قوات محمد علي باشا من الجزيرة العربية إلى عودة الاضطرابات خصوصاً وأن الأمراء السعوديين عانوا من انقسامات وصراعات فيما بينهم من أجل العودة إلى السلطة ، وظهرت من بينهم شخصية قوية هو تركي بن عبد الله الذي أخذ على عاتقه إعادة حكم آل سعود إلى نجد والحجاز فخاض صراعاً مع الأتراك العثمانيين وقدم هو وأنصاره تضحيات جسام اضطرتته إلى الهرب عام 1820 من الرياض ، ولكنه استمر في حركته ضد العثمانيين ونجح في التمرکز في الرياض عام 1822 ليتخذها عاصمة له إلى أن اغتيل عام 1832 فأعلن ابنه فيصل نفسه إماماً وحاكماً على نجد.

كان فيصل بن تركي من بين الأسرى الذين أرسلهم إبراهيم باشا إلى مصر بعد دخوله الدرعية ، وبقي في القاهرة إلى أن هرب

منها وعاد إلى نجد ليشارك والده تركي في حروبه ضد الأتراك العثمانيين وضد أقربائهم من أمراء آل سعود المنافسين لهم ، وعندما كان على رأس قوات الأخوان التي هاجمت الإحساء أغتيل والده واستلم الإمامة والإمارة من بعده عام 1835 وحتى 1839 وتمكن من السيطرة على نجد ، لكن القائد المصري خورشيد تمكن من حصاره في بلاد الخرج ونفاه مرة أخرى إلى مصر فظل فيها مدة أربع سنوات ليهرب مرة ثانية ويعود إلى الرياض ليحكمها عام 1842 وقد ساعده في ذلك انسحاب محمد علي باشا والي مصر من الجزيرة العربية عام 1840 وفقاً لمعاهدة لندن التي أجبرته على الإنكفاء والإكتفاء بحكم ولاية مصر وراثياً. ولكي يضمن مستقبل إمارته الجديدة قام فيصل بن تركي بمهادنة العثمانيين والاعتراف لهم بالسيادة الإسمية على نجد والحجاز لتظهر إلى الوجود إمارة آل سعود الثانية بعد عشرين سنة من حكم محمد علي باشا لأرض نجد والحجاز ،

توفي فيصل بن تركي عام 1865 ، فقامت الحرب بين ولديه عبدالله وسعود من أجل السلطة مما أدى إلى انهيار حكم آل سعود مرة ثانية وتجزئة الإمارة بينهما وبين خصومهما من آل رشيد والأتراك العثمانيين، فقد سيطر آل رشيد على القسم الشمالي من نجد في حين ظلت سيطرة آل سعود اسمية على الرياض والخرج والقسم الجنوبي من نجد .

تمكن محمد بن الرشيد من بسط نفوذه على الرياض بسبب الصراع القائم بين آل سعود الذين أصبحوا تحت رحمته وعندما حاول عبد الرحمن بن فيصل ،أخو عبد الله وسعود، التصدي لآل الرشيد فشل في ذلك وأجبره محمد بن الرشيد على مغادرة نجد فالتجأ مع ولده عبد العزيز إلى الكويت عام 1891 م مستجيراً بقائمقام الكويت الشيخ مبارك الصباح الذي كان تابعاً للسلطة العثمانية في ولاية البصرة مع إقامته علاقات جيدة مع البريطانيين الذين قدموا الحماية له لمنع العثمانيين من السيطرة عليه. التطورات السياسية في نجد والحجاز حتى قيام الحرب العالمية الأولى لم يستكن عبد العزيز بن عبد الرحمن خلال فترة لجوئه مع والده للكويت وكان بتشجيع من والده ومن شيخ الكويت يخطط لاستعادة سلطة آل سعود في بلاد نجد والحجاز ، وفي مطلع عام 1902 تمكن بعد محاولة فاشلة من أن يدخل الرياض مع أعوانه ويقتل عامل ابن الرشيد فيها لتبدأ المرحلة الثالثة من تأريخ آل سعود في شبه الجزيرة العربية وهي الخطوة الأولى لتأسيس المملكة العربية السعودية بعد الحرب العالمية الأولى استطاع عبد العزيز أن يمد سلطاته إلى المناطق المحيطة بمدينة الرياض ثم تنازل له والده عن الإمارة عام 1902. وقد واجه عبد العزيز قوتين رئيسيتين أمام طموحاته لإعادة الإمارة السعودية إلى سابق عهدها وهم آل الرشيد وحلفائهم الأتراك العثمانيين ، ومع ذلك تمكن من توطيد سلطاته في نجد الوسطى التي امتدت

حدودها حتى جبل شمر ، مما دعا ابن الرشيد إلى الاستتجاد
بالعثمانيين ، فالتجأ عبد العزيز إلى البريطانيين الذين استجابوا له
بتعيين الكابتن نوكس وكيلاً سياسياً في الكويت ليكون على مقربة
منه ومن أحداث منطقة نجد. وفي سنة 1904 انصر ابن سعود على
ابن الرشيد في معركة شنانة مما جعل القوات العثمانية تتوقف عن
القتال . وفي كل الأحوال تمكن عبد العزيز من إلحاق الهزائم بآل
الرشيد إلى أن انتهت بمقتل ابن رشيد عام 1906 ليتخلص من خصم
عنيد

استخدمه العثمانيون ضده ، مما اضطر خلفه متعب إلى عقد صلح
مع ابن سعود اعترف بموجبه بسلطته في نجد والقصيم. ثم استغل
أبن سعود ضعف الدولة العثمانية بعد حرب البلقان عام 1912
فاحتل إقليم الإحساء ورحل عنه الأتراك ، الذين اعترفوا لاحقاً بعبد
العزيز بن سعود والياً على نجد بالوراثة ومنحه لقب الباشاوية، من
جهة أخرى وطد عبد العزيز ابن سعود علاقته مع بريطانيا التي
أرسلت له معتمدها في الكويت الكابتن شكسبير عام 1913 الذي
أجرى مباحثات معه أدت على عقد معاهدة (العقير) بين بريطانيا
وعبد العزيز بن سعود عام 1915 لتصبح بلاد نجد تحت الحماية
البريطانية مع الأعراف باستقلال الشريف حسين في الحجاز .
وعندما قامت الحرب العالمية الأولى كانت شبه
الجزيرة العربية مقسمة على النحو الآتي:

- (1) عبد العزيز آل سعود أميراً لنجد والإحساء والذي أصبح تحت الحماية البريطانية بعد قيام الحرب العالمية الأولى وعقد معاهدة العقيرة عام 1915
- (2) الأشراف الذين يحكمون الحجاز
- (3) آل الرشيد يحكمون (حائل) و (جبل شمر) بالتحالف مع الدولة العثمانية.
- (4) الإدارة ويحكمون عسير
- (5) آل حميد الدين ويتولون إمارة اليمن في ظل السيادة العثمانية الاسمية

جـ / الخليج العربي

أثبتت الدراسات التاريخية أن سكان جانبي الخليج العربي هم من القبائل العربية ، وأن تسميته من قبل الغربيين بالخليج (الفارسي) جاء نتيجة خطأ تاريخي ارتكبه الأسكندر عندما توجه إلى الوطن العربي عبر إيران.

وبقدر تعلق الأمر بشبه الجزيرة العربية فإن سواحلها الشرقية المطلّة على الخليج العربي ، قد كان لها تاريخاً غير ذلك التاريخ الذي عاشته نجد والحجاز وإن تمكن السعوديون الوهابيون من الوصول إلى سواحل عمان والإحساء ، ذلك أن تصدي القبائل العربية للغزو الأوربي الذي جاء باسم الاستكشافات الجغرافية قد جعل الصراع في الخليج العربي بين القوى المحلية العربية والغزاة الأوروبيين ، بينما كان الصراع في معظمه داخل نجد والحجاز بين

قوى عربية محلية ، يضاف إلى هذا أن الفرس الإيرانيين قد دخلوا في الصراع إلى جانب الأوربيين ضد العرب رغم الرابطة الإسلامية . تكونت في الخليج العربي وعلى الساحل الشرقي للجزيرة العربية مشيخات عربية صغيرة شكلت فيما بعد أنظمة حكم سياسية محدودة المساحة ، وكانت هذه المشيخات تعيش على الصيد والغوص لاستخراج اللؤلؤ والتجارة في البحر باستثناء عمان التي تعتبر من أقدم الكيانات السياسية في منطقة الخليج العربي وأقواها والتي لعبت دوراً مهماً في مواجهة الغزو البرتغالي في مطلع العصور الحديثة .

عمان والغزو الأوربي

تقع عمان في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، وتتمتع بموقع استراتيجي لسيطرتها على مدخل الخليج عند رأس مسندم المعروف

بمضيق هرمز ويرجع سكان عمان إلى قبائل قحطان اليمنية . وكانت موانئ سواحل عمان واليمن المطللة على البحر العربي من المراكز التجارية المهمة على طريق الهند ولذلك كانت أول من تعرضت إلى الغزو الأوربي وفي مقدمته الغزو البرتغالي في العصور الحديثة خلال فترة الاستكشافات الجغرافية في القطر العربي. كان البوكيرك البرتغالي أول من وصل مسقط عام 1507 وقام بقصفها وارتكب أبشع الجرائم من قتل ونهب وسلب واغتصاب بعد أن قاومته المدينة ، ولم يكتف بكل هذا بل أحرق المدينة

ومسجدها ، ثم توجه إلى أوصار فأحتلها ، وقاومه أهل خورفكان فدمرها ، ثم احتل هرمز فسيطر على مدخل الخليج العربي. وقد استمر الاستعمار البرتغالي لهرمز حوالي مائة سنة إلى أن استولى عليها الفرس المتحالفين مع البريطانيين ، أما مسقط فقد بقيت بيد البرتغاليين مائة وخمسون عاماً إلى أن طردهم العمانيون منها عام 1650.

قاوم اليعاربة في عمان الاستعمار البرتغالي بعد أن وحده كلمتهم ناصر بن مرشد اليعربي الذي تولى الإمامة فيها عام 1615 وامتد حكم اليعاربة من بعده إلى عام 1741 وأصبح لهم اسطول حربي ضخم تمكن من التصدي للبرتغاليين ، ففي عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي حرر العمانيون صحرار عام 1643 وطردوا البرتغاليين منها ومن مطرح ، وكانت الضربة القاضية للبرتغاليين عامي 1648 و 1649 عندما قامت قوات عمانية بقيادة سعيد بن خليفة اليعربي وبمساندة من القوات العثمانية بتحرير مسقط بعد حصار ومعارك تكبد البرتغاليون فيها خسائر كبيرة ، فانسحب البرتغاليون من عمان عام 1650 فكانت بداية النهاية لهم في الساحل العربي ، فبعد سنتين من هذا التاريخ أنهى اليعاربة نفوذ البرتغاليين نهائياً من الخليج العربي وبحر العرب بحيث أمتد نفوذ اليعاربة إلى شرق أفريقيا ، ولكن الغزاة الأوربيين الآخرين تعاقبوا على منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ليحلوا محل البرتغاليين .

كان تحرير عمان من البرتغاليين بداية الطريق لليعاربة في بناء دولتهم التي أمتد حكمها للفترة 1615 - 1741 وازدهرت في عهد سلطان بن سيف (1649-1668) وابنه سيف بن سلطان (1680-1711) الذي استطاع انتزاع البحرين من الفرس ثم قاد خلفاؤه من بعده حروباً معهم انتهت بسيطرة الفرس على عمان للفترة (1737 - 1744) بعد أن وقعوا اتفاقاً مع البريطانيين ، وتم تحرير عمان من الفرس على يد أحمد بن سعيد وهو الذي أسس أسرة البو سعيد التي تحكم عمان حالياً ، وأصبح لالبوسعيد مكانة في منطقة الخليج العربي بحيث أن الفرنسيين والبريطانيين الذين سيطرت أساطيلهم على مياه الخليج العربي كانوا يحاولون التحالف معهم ،

لعبت الأحداث الأوربية دورها في علاقة الأوربيين مع عمان خاصة والخليج العربي عامة ، فعندما احتل نابليون مصر عام 1798 سارعت بريطانيا لإبرام معاهدة صداقة في أكتوبر / تشرين الأول عام 1798 بين سلطان عمان ، سلطان بن الإمام أحمد ، وشركة الهند الشرقية البريطانية بهدف الوقوف ضد المخططات الفرنسية التي تريد الوصول إلى الهند ومنع المنافسة الهولندية في المنطقة وإضعاف الفرس في البحر العربي والحد من نفوذهم ، وقد أعطت المعاهدة لبريطانيا امتيازات كثيرة بما فيها إقامة قوة بريطانية عسكرية في مسقط ، وعدم السماح لفرنسا أو هولندا بالحصول على امتيازات في عمان ، وفي حالة قيام حرب بين فرنسا

وبريطانيا فإن على الأسطول البحري العماني الوقوف مع بريطانيا .
وعندما أراد سلطان عمان إتباع سياسة الموازنة باسترضاء فرنسا
رفضت بريطانيا وانتقلت في تعاملها مع سلطان عمان من سياسة
المهادنة واللين إلى سياسة التهديد والضغط وضرب المصالح
التجارية للسلطنة في الهند ، فأضطر السلطان إلى عقد معاهدة
جديدة عام 1800 أكدت المعاهدة السابقة وعين أول ممثل
دبلوماسي بريطاني في مسقط .

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر دخلت الولايات
المتحدة في المنافسة على الخليج العربي إلى جانب تنافس فرنسا
وبريطانيا فاقترحت باريس على لندن إعلان استقلال سلطة مسقط
واحترام هذا الاستقلال، ووافقت بريطانيا وصدر بيان مشترك عام
1862 بهذا الخصوص ، ومع ذلك أجبرت بريطانيا السلطان على
توقيع اتفاقية عام 1891 قيدته وورثته وخلفائه بالارتباط ببريطانيا،
وكان من نصوص المعاهدة أن لا يتخلى السلطان أو ورثته أو
يرهنوا أو يبيعوا أو يسمحوا بالإستيلاء على مناطق مسقط وعمان
وتوابعها إلا للحكومة البريطانية .لقد فرضت بريطانيا شروط هذه
المعاهدة بمعاهدات أخرى شبيهة على مشيخات منطقة الخليج
العربي مما جعل بريطانيا القوة الصاربة المسيطرة فيه .

كانت أسرة البوسعيد قد عقدت معاهدة اقتصادية مع
الولايات المتحدة الأمريكية عام 1833 قدمت لها فيها امتيازات كثيرة
وأصبح لهم قنصل أمريكي في مسقط يتمتع بحقوق لحماية الرعايا

الأمريكان في حالة ظهور نزاع مع أهل البلاد . وفي سنة 1868 بايع العمانيون الإمام عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد البوسعيدي الذي أعاد توحيد البلاد بعد صراعات دامية بين أفراد أسرة البوسعيد ولكنه قتل من قبل تركي بن سعيد الذي تولى الحكم للفترة (1871- 1888) وفي عهده خضعت البلاد لبريطانيا خضوعاً تاماً ، وعندما خلفه ابنه فيصل عقد معاهدة 19 مارس آذار 1891 المارة الذكر ، وقد استمر حكمه إلى عام 1913 حين انتهى بعودة الإمامة إلى عمان واختيار سالم بن راشد الخروصي الذي حاول السيطرة على جميع البلاد فقامت حروب انتهت بنهاية الحرب العالمية الأولى بتقسيم عمان إلى قسمين : إمارة عمان في المنطقة الجبلية الداخلية المقاومة للانكليز وحكومة القسم الثاني من عمان وتسمى حكومة مسقط على الساحل التي يقف معها الانكليز. ولم يؤثر هذا القسم على وحدة الشعب العماني لأن الحدود بين القسمين كانت صورية ووهمية .

ساحل المقاومة

دأب الباحثون الغربيون على إطلاق اسم (ساحل القراصنة) على هذا الساحل لمقاومة سكانه العرب للبريطانيين الغزاة وغيرهم . وعندما فرضوا اتفاقيات ومعاهدات هدنة على شيوخه أطلقوا عليه اسم (الساحل المهادن) أو (الساحل المتصالح) وهو المنطقة التي تشغلها اليوم الإمارات العربية المتحدة.

قاد شيوخ رأس الخيمة المعروفين بالقواسم المقاومة (الجهاد البحري) ضد السفن البريطانية منذ وصولها إلى مياه الخليج العربي ، وقد

أنشأ القواسم اسطولاً بحرياً ضخماً وصلت قوته إلى 630 سفينة كبيرة و 810 سفينة أصغر حجماً وبلغ عدد البحارة الجنود 8700 رجلاً وسيطروا على الخليج العربي وطلبوا من البريطانيين في الهند دفع ضريبة للسماح لسفنهم بالمرور في الخليج العربي بحرية . وقد بدأ القواسم مقاومتهم (جهادهم البحري) ضد البريطانيين منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، ففي عام 1778 قامت ست سفن عربية بأسر سفينة بريطانية اقتادوها إلى رأس الخيمة ، وأفلتت من القواسم سفينة أخرى كانت في طريقها من البصرة إلى مسقط في شهر يناير / كانون الثاني 1779 ، وفي الشهر التالي هاجموا سفينة ثالثة لاذت بالفرار فالتجأت إلى ميناء بوشهر الإيراني . وفي سنة 1790 أسر القواسم سفينة بكلربك المبحرة تحت العلم البريطاني قرب رأس مسندم كما هاجمت سفن القواسم سفينة بريطانيا بالقرب من جزيرة قيس وأسروها واقتادوها إلى رأس الخيمة عام 1797 ، وفي العام نفسه هاجم الأسطول العربي القواسمي الطراد البريطاني (فاير) الذي كان راسياً في بوشهر فلاذ بالفرار مخلفاً من القتلى أكثر من ثلاثين بحاراً بريطانياً . إن هذا النشاط العسكري البحري المتمثل بمقاومة التغلغل البريطاني في الخليج العربي كان أحد أهدافه منع الأوربيين عموماً

والبريطانيين بشكل خاص من السيطرة على طرق التجارة العربية والأرض العربية ، ولذلك فهي مقاومة وطنية عربية ولم تكن مطلقاً (قرصنة) كما أسماها الأوربيون زوراً وبهتاناً ، وقد أتبع القواسم أسلوب المراوغة في تبرير مهاجمتهم أمام الاحتجاجات البريطانية بالإدعاء بالخطأ أو الدفاع عن النفس وغير ذلك.

أمتد نشاط القواسم البحري إلى المحيط الهندي وظهرت سفنهم شمالي بومباي عام 1808 التي تعرضت للسفن الأوربية ، ورغم عقد معاهدة بين بريطانيا والقواسم عام 1806 إلا أن الخليج العربي شهد نشاطاً بحرياً قواسمياً ملحوظاً وصارت المياه العربية تحت سيطرة أسطولهم مما أقلق البريطانيين ، خصوصاً وأن سفن أسطول القواسم تمكنت من أسر عشرين سفينة تجارية هندية ترفع العلم البريطاني في البحر العربي والمحيط الهندي وأواخر عام 1808 ومطلع عام 1809 ، وكانت خمسة وخمسون سفينة قواسمية قد هاجمت في آذار / مارس 1808 سفينة تجارية ضخمة تسمى (منيرفا) في رأس مسندم وأسرتها بمن عليها وضممتها إلى أسطول القواسم ولم تطلق سراح تجارتها إلا بعد دفع غرامة مالية ، وقد بلغت جراءة القواسم حداً جعلهم يهاجمون سفينة بحرية ملكية بريطانية ذات خمسين مدفعاً عام 1809 .

إن الخسائر الفادحة التي حلت بالسفن البريطانية الحربية والتجارية قد دفعت بريطانيا إلى تجهيز حملة بحرية كبيرة عام 1809 ابتدأت بتوجيه ضربات مدفعية إلى مدينة رأس الخيمة ، ثم اقتحموا

المدينة واحتلوها ، لكنهم لم يصمدوا فيها سوى يومين بفعل المقاومة العربية ضدهم ، فانسحب البريطانيون منها وغادروها عائدين إلى مسقط ليسجل القواسم أول نصر كبير لهم في مواجهة القوات البريطانية براً وبحراً ، وما أن حل عام 1812 حتى عادت سفن القواسم إلى مهاجمة السفن البريطانية أو السفن التي ترفع العلم البريطاني وظهرت سفنهم من جديد أمام شواطئ الهند أواخر عام 1813 و 1814 التي يحتلها البريطانيون ، وأخيرا وفي أكتوبر / تشرين الأول 1814 عقد القواسم مع المقيم البريطاني في الخليج العربي معاهدة عدم اعتداء بين الطرفين ، وظلت هذه المعاهدة سارية المفعول لمدة عام ، عادت بعده سفن القواسم إلى نشاطها في الخليج العربي ضد السفن الأجنبية بما فيها التي ترفع العلم البريطاني ، وامتد نشاطهم المتصاعد من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر إضافة إلى الخليج العربي ، حيث هاجم القواسم سفناً أمريكية وفرنسية في المحيط الهندي وثلاث سفن هندية ترفع العلم البريطاني في مدخل البحر الأحمر في مارس / آذار 1816 .

قرر البريطانيون وضع حد لمقاومة القواسم وذلك بتوجيه ضربة قاسية لهم في عقر دارهم ، فقاموا بمهاجمة مدينة رأس الخيمة عام 1819 ودمروها ثم فرضوا عام 1820 معاهدة على زعماء القواسم صارت أساسا لمعاهدات مشابهة وقعها شيوخ الشارقة ودبي وأبو ظبي وعجمان وأم القوين وغيرها ، وتم توقيع المعاهدة مع رأس الخيمة في شهر يناير / كانون الثاني 1820

وصارت الأساس الذي ثبتت بريطانيا عليه أقدامها في الخليج العربي منذ ذلك الوقت ، وقد عرفت هذه المعاهدة بالمعاهدات المانعة التي فرضت على المشيخات في ساحل المقاومة الشروط التالية:

[1] التوقف عن المقاومة (الجهاد البحري) أو أية عمليات بحرية تهدد السلم والأمن في الخليج العربي أو تعيق حركة الملاحة والمواصلات الإمبراطورية البريطانية .

[2] عدم الإتجار بالسلاح أو إدخاله إلى منطقة الخليج العربي.

[3] عدم الإتجار بالرقيق أو جلبه إلى مشيخات الخليج العربي.

[4] عدم التنازل عن أية أرض من المشيخات لأية قوة أجنبية دون موافقة بريطانيا.

وقد تحولت هذه المعاهدات لاحقاً إلى معاهدات حماية استمرت إلى النصف الثاني من القرن العشرين.

إن توقف القواسم عن المقاومة والجهاد البحري ضد البريطانيين لم يمنع قوى عربية في المنطقة من مهاجمة السفن البريطانية ، ففي عام 1829 هاجمت قوة بحرية عربية السفينة البريطانية (سنبرتي) واستولت على حمولتها ، لكن شيخ الشارقة عاقب الذين قاموا بهذه العملية ، وفي أبريل / نيسان 1835 قامت ست سفن تابعة لعرب (بنو ياس) بمهاجمة سفينة بحرية بريطانية ، وكانوا قد استولوا على خمسة عشر سفينة أجنبية من قبل ، وبعد هذا التاريخ فرضت بريطانيا ما أطلقت عليه اسم الهدنة البحرية لمنع أي نشاط بحري معادي لها ، ومع ذلك استمرت المقاومة هنا وهناك

مما دفع البريطانيين إلى توجيه ضربة عسكرية من البحر إلى مدن الدوحة والوكرة والعديد عام 1936 .
المقاومة العربية في إقليم الإحساء

كان هذا الإقليم تحت السيطرة العثمانية ، ولذلك واجهت بريطانيا صعوبة في السيطرة عليه وعلى عمليات المقاومة التي كانت تنطلق منه خلال عامي 1878-1879 حيث لم تستطع السفن البريطانية الدخول إلى المياه الإقليمية للدولة العثمانية ، كما شهدت مياه شط العرب عام 1880 عملية ضد البريطانيين قتل فيها المشرف على محطة البرق البريطانية في الفاو ، وحينها أصدرت السلطات البريطانية أمراً عام 1881 لقائد بحريتها في الخليج العربي بدخول تلك المياه وتعقب السفن العربية وعدم التقيد بمسألة السيادة العثمانية ، ثم فوجئت بريطانيا عام 1899 بعملية بحرية عربية كبيرة قادها أحد أعضاء الأسرة الحاكمة البحرينية ضد البريطانيين ، واستمرت عمليات المقاومة بدرجات متفاوتة ضد البريطانيين حتى عام 1905 في ساحل الإحساء أو على سواحل قطر ،

في عام 1900 شهد شط العرب مقاومة عربية ضد السفن البريطانية والهندية وغارات ضد سفن إيران، وشهدت سواحل قطر عمليات مقاومة بحرية قوية جعلت بريطانيا تهدد بضرب مدن قطر وقامت بتظاهرة بحرية لإرغام الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني على التعاون معها للقضاء على المقاومة ، ومع ذلك لم تتمكن بريطانيا

من السيطرة على الساحل إلا بعد فرض الحماية على قطر عام 1916 لأن شيوخ قطر لم يتعاونوا مع البريطانيين في فرض السيطرة على قوى المقاومة في قطر.

قطر :

تشترك شبه جزيرة قطر في حدودها البرية من الجنوب مع إمارة أبو ظبي والسعودية وهي قرية جداً من البحرين والإحساء ، أحتل البرتغاليون قطر عام 1517 م ، وارتكبوا جرائم وحشية من قتل وتدمير ضد سكانها العرب مثلما فعلوا في عمان، واستمرت سيطرتهم عليها إلى أن طردهم العثمانيون منها عام 1555 عندما استطاع الأسطول العثماني الذي أرسله السلطان سليمان القانوني من دحرهم في قطر والبحرين

ظهر حكام قطر الحاليين من آل ثاني في قطر أوائل القرن الثامن عشر لميلادي، وهم أصلاً من بني تميم ويرجع موطنهم الأصلي إلى بلاد نجد ، وقد واجه آل ثاني مشكلة تبعيتهم لحكام البحرين من آل خليفة ودفعهم الضرائب لهم ، ولذلك سعى آل ثاني للتخلص من هذه التبعية بكل الوسائل وفي عام 1867 وقع قتال بين محمد بن ثاني شيخ قطر ومحمد بن خليفة حاكم البحرين بسبب ضريبة كان يدفعها حاكم قطر إلى حاكم البحرين ووقف الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبو ظبي مع البحرين ، فكانت هذه الحملة مدمرة لأهل قطر ، لكنهم انتقموا عندما شنوا هجوماً مضاداً كبدوا فيه البحرين خسائر فادحة ، فتدخلت بريطانيا على أساس أن

البحرين أخلت بتعهداتها المنصوص عليها في اتفاقيتها مع بريطانيا عام 1861 بعدم الاعتداء على الغير وإخبار المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في حالة حصول ذلك. وعليه قررت استبعاد الشيخ محمد بن خليفة وتعيين أخاه مكانه في الحكم وأجبرت البحرين على توقيع اتفاقية سلام عام 1868 دفعت البحرين بموجبها غرامة كبيرة بسبب انتهاكها لاتفاقية 1861 خصص منها 20% إلى شعب قطر ، وذهب المقيم بعد ذلك إلى الوكرة وفرض على الشيخ محمد بن ثاني شيخ قطر معاهدة بين البحرين وقطر تعهد فيها شيخ قطر أن لا يتدخل في منازعات البحرين الداخلية وأن لا يخرق السلام البحري وأن لا يتحالف مع البحرين وحددت الجزية التي تدفعها قطر للبحرين ، وكان لهذه المعاهدة وجهان الأول اعتراف بريطانيا بقطر ككيان سياسي والوجه الثاني تخليها عن اعتبار قطر تابعة للبحرين وانحسار سلطة آل خليفة عنها . كانت الدولة العثمانية قد استعادت اهتماماتها بالجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس عام 1869 ، ولذلك وعندما استجد عبد الله بن فيصل بوالي بغداد مدحت باشا للوقوف معه ضد أخيه سعود بن فيصل الذي احتل الإحساء بعد أن دحره عبد الله في البحرين وقطر عام 1870، استجاب مدحت باشا وأرسل حملة عسكرية عثمانية استولت على الإحساء وقطر وأقامت فيها حامية عثمانية وأعلنت قطر قائممقامية تابعة لمتصرف الإحساء التابع لولاية البصرة في عام 1873 وتوقفت قطر عن دفع الجزية إلى البحرين

لأنها أصبحت تحت السيادة العثمانية ، وقد بقي الحكم العثماني في
قطر إلى عام 1913

توفي محمد بن ثاني عام 1878 وخلفه ولده ونائبه الشيخ
قاسم آل ثاني الذي يعتبر مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة في
البحرين، كان الشيخ قاسم شخصية عربية قوية أتمم بالشجاعة
والورع والتقوى ، ووجد صفوف القطريين ووضع حداً لخصومه
ومنافسيه من شيوخ وأمرأء ، ثم انتقل إلى التخلص من هيمنة آل
خليفة بأن دعا العشائر في قطر إلى الاستقلال عن البحرين وشن
عليهم هجمات برية وبحرية انتهت باستقلال قطر ولكنه بقي
قائماً تحت السيادة العثمانية التي وقفت إلى جانبه واعترفت به
حاكماً رسمياً للدوحة عام 1879 ورحب هو بها لكي يحجم الخطر
البريطاني ومعاهداته معه، وقد سبب ذلك مباحكات سياسية وتوتر
في العلاقات بين الدولة العثمانية وبريطانيا بسبب قطر . ومع ذلك
استمرت الدولة العثمانية تقف إلى جانبه وبقي هو مستند إليها أمام
المشاكل التي كانت تثيرها بريطانيا ومنها اتهامه بمساندة المقاومه
ضدها في الخليج العربي. وأكدت الدولة العثمانية مساندتها له عندما
قامت قوة عسكرية عثمانية بحماية الدوحة عام 1888 حينما خاض
الشيخ قاسم معركة خارج الدوحة مع زايد بن خليفة أثر مقتل على
بن الشيخ قاسم.

لجأ البريطانيون إلى عدة أساليب لإضعاف الشيخ قاسم منها
إثارة القبائل القطرية ضده ومحاولة إقناع الدولة العثمانية بأنه يريد

الاستقلال عنها مستغلين انزعاج العثمانيين من ازدياد نفوذ الشيخ قاسم. وفي عام 1893 أرسل العثمانيون والي البصرة إلى الدوحة للتفاهم معه لكن الشيخ قاسم أرسل أخاه أحمد فانزعج الوالي واحتجزه مع المبعوثين المرافقين له، فقامت معركة شرسة قادها الشيخ قاسم بنفسه وانتصر فيها على قوة الوالي العثماني فاستغل البريطانيون الفرصة وعرض عليه المقيم البريطاني في الخليج العربية حمايتهم إلا أن الشيخ قاسم رفض ذلك واستمرت علاقته بالعثمانيين إلى أن توفي عام 1913 لكن هذه العلاقة كانت اسمية لا سلطة فعلية للعثمانيين عليه ولذلك يعتبره المؤرخون القائد الذي حقق استقلال قطر عن البحرين ولم يسمح للعثمانيين والبريطانيين بالسيطرة عليه.

تولى الحكم بعد الشيخ قاسم ولده عبد الله وكانت الظروف الدولية تهبط لقيام الحرب العالمية الأولى في الوقت الذي ضعفت فيه الدولة العثمانية وأجبرت على تسوية أمورها في الخليج العربي لصالح بريطانيا، فعقدت معاهدة في 19 يونيو / حزيران 1913 تضمنت تنازل الدولة العثمانية عن جميع حقوقها في شبه جزيرة قطر على أن يستمر حكم آل ثاني فيها وأن لا يتدخل شيخ البحرين في شؤونها الداخلية أو يحاول ضمها إلى أراضيها، وانسحبت الحامية العثمانية من الدوحة عام 1915م وأصبحت علاقة عبد الله بن الشيخ قاسم جيدة مع البريطانيين. وفي عام 1916 خلال الحرب العالمية الأولى اضطر الشيخ عبد الله إلى توقيع معاهدة مع بريطانيا

على غرار المعاهدات التي عقدتها مع شيوخ ساحل المقاومة
وعمان.
البحرين

هي مجموعة من الجزر الخضراء يبلغ عددها 35 وأهمها
المنامة، مستطيلة الشكل يفصلها عن شبه جزيرة قطر خليج يسمى (بحر سلوى) وهو الذي يفصل أيضاً بين قطر وساحل الإحساء ،
بمعنى أن البحرين تقع بين قطر وساحل الإحساء على الخليج
العربي ، كانت البحرين شأنها شأن عمان وساحل المقاومة
وقطر ، محط أنظار الغزو الأوربي ، وفي مقدمتهم البرتغاليين حيث
قاومهم أهل البحرين وقامت بينهم معارك عديدة ومنها معركة عام
1514 التي قادها الشيخ مقرن البحراني ووصفت من قبل المؤرخين
بأنها معارك بطولية خاضها أهل البحرين ضد البرتغاليين ، كما ثاروا
على الحامية البرتغالية في البحرين عدة مرات لدرجة أنهم شنقوا
الحاكم البرتغالي عام 1522 ، وتصاعدت مقاومتهم سنة 1529 حتى
طردوا البرتغاليين من البحرين نهائياً عام 1622 ، وقد قدمت
بريطانيا العون لهم وحشت دولة فارس على المشاركة معها في
تقديم العون مما جعل الفرس يهيمنون على البحرين بحجة إنقاذهم
لها من البرتغاليين مع أن بطولات أهل البحرين وضعف البرتغاليين
في هذه المرحلة بعد انتصار اليعاربة عليهم وطردهم من عمان
هي التي أرغمت البرتغاليين على الرحيل من البحرين والخليج
العربي.

وقف أهل البحرين ضد الوجود العثماني أيضاً عندما حاول السلطان سليمان القانوني احتلال البحرين بعد احتلاله لبغداد عام 1534 ولذلك فشلت محاولات العثمانيين السيطرة عليها ، بينما استمرت الهيمنة الفارسية من خلال حاكم عربي تابع للفرس من عام 1622 إلى أن حررها آل خليفة عام 1783 .

يعود آل خليفة إلى عشيرة عنزة وهم من العتوب نزحوا إلى قطر واستقروا في الزيارة على الشاطئ الغربي لقطر عام 1766 بزعامه الشيخ محمد بن خليفة ، ونظراً لسلوكه الحكيم ورجاحة عقله وإكرامه للفقهاء وإنشائه للمدارس والمساجد فقد أعجب به الأهالي وولوه شيخاً عليهم . ولما كانت البحرين والزيارة تحت التسلط الفارسي ، فقد خاض آل خليفة معارك طاحنة مع الفرس انتهت بانتصارهم عليهم في الزيارة مما حفزهم على الزحف إلى البحرين والسيطرة عليها عام 1783 وطردها منها الحاكم العربي المعين من قبل الفرس.

وعندما توفي الشيخ محمد بن خليفة تولى المشيخة في الزيارة والبحرين أخوه أحمد (1783-1796) وكان قد لقب بـ (الشيخ الفاتح) لدوره الرئيس في فتح البحرين وتخليصها من الفرس ، ثم حكم من بعده ولده سلمان وعبد الله عام 1796 اللذان حكما البحرين حكماً ثنائياً ولكن بعد وفاة سلمان عام 1825 حاول أخاه عبد الله الإنفراد بالمشيخة ، بإبعاد أبناء سلمان وتقريب أبنائه ، فكانت البداية لصراع عائلي كان له تأثيره على الاستقرار السياسي

في البحرين وأضعاف وحدة القبائل، فاستغل البريطانيون الصراع بين الأخوة وأرسلوا اسطولهم إلى البحرين فأحتلها ونفى القادة المتصارعين إلى الهند ونصبوا عيسى بن علي آل خليفة بعد التشاور مع القبائل البحرينية وذلك عام 1869 م ، وقد حكم 54 سنة أرغمه البريطانيون بعدها على التنازل عن الحكم لأكبر أبنائه الشيخ حمد بن عيسى عام 1923م

شهد مطلع القرن التاسع عشر صراعاً محلياً على البحرين بين الوهابيين والعثمانيين وقد حاول حاكم مسقط التمسك بسيطرته على البحرين لكنه لم يتمكن واكتفى بالجزية التي يدفعها له آل خليفة. من جانب آخر واجهت البحرين مشكلة زحف قوات محمد علي باشا والى مصر الذي وصل إلى شواطئ الإحساء عام 1838م ، حيث أن البريطانيين قلقوا من هذا الزحف وأجبروا الشيخ عبد الله آل خليفة على كتابة تعهد خطي بعدم إجراء مفاوضات مع محمد علي باشا أو العثمانيين ، وفي كل الأحوال فإن البريطانيين كانوا قد عقدوا مع شيخ البحرين عام 1819 اتفاقاً تعهد بموجبه أن يقف ضد المقاومة العربية في الخليج العربي باسم مكافحة (القرصنة) . وفي عام 1880 عقدوا مع أميرها عيسى بن خليفة معاهدة جديدة أصبحت البحرين بموجبها محمية بريطانية. وازدادت أهمية البحرين عند اكتشاف النفط فيها عام 1908، وفي عام 1914 عقدت أول اتفاقية نفطية بين الشيخ عيسى والوكيل البريطاني الميجور تريفور تعهد فيها الشيخ أن لا يقوم باستغلال النفط بنفسه ولا يسمح لأي

شركة باستغلاله دون مشورة الوكيل البريطاني في البحرين ودون موافقة الدولة البريطانية .
الكويت

تعتبر الكويت امتداداً طبيعياً لبلاد وادي الرافدين في جنوبي العراق ، وهي تطل على رأس الخليج العربي في شماله العربي وجاء في المصادر أن اسم الكويت هو تصغير كلمة (الكوت) أي البيت حسب تسمية أهل العراق . وكانت قبيلة بنو خالد هي التي تحكم الكويت من قبل أمرائها آل عريعر وقد وهب هؤلاء آل الصباح كوتاً على الساحل الشمالي الغربي من الخليج بعد أن نزحوا من قطر نتيجة طردهم منها لقيامهم بأعمال السلب والنهب حسبما يذكر لوريمر في كتابه (دليل الخليج) ، حيث أنهم تنقلوا في الخليج العربي إلى أن قدم لهم أمراء آل عريعر المأوى فاستقروا في الكويت وبدأوا بالتوسع إلى أن استولوا على أرض الكويت من بني خالد . اختار آل الصباح، صباح الأول شيخاً عليهم في الكويت عام 1759 وخلفه ابنه عبد الله بعد ست سنوات، واستمر حكمه من 1762-1812، وفي زمنه حاول السعوديون الوهابيون الاستيلاء على الكويت لكنهم فشلوا، خصوصاً وأن الكويت كانت تحت الحكم العثماني. وبحكم العلاقة الجغرافية والتاريخية مع البصرة ، فقد هاجر إلى الكويت الكثير من أهلها واستقروا فيها هرباً من الفرس الذين هاجموا البصرة واحتلوها عام 1776 ، وقد أدى ذلك إلى

تحول الطريق التجاري لشركة الهند الشرقية وغيرها من البصرة إلى الكويت فنشطت حركة التجارة فيها .

بعد وفاة عبد الله الصباح خلفه في المشيخة ولده جابر عام 1812 واستمر حكمه حتى عام 1859 ، وقد استجاب لطلب السلطات العثمانية في الوقوف مع قواتها لاسترداد البصرة من الفرس ، وتم ذلك عام 1779 ، أي بعد ثلاث سنوات من احتلال الفرس لها ، ثم توالى على مشيخة الكويت بعد وفاة عبد الله ، ابنه صباح الثاني ومن بعده ولده عبد الله (1866-1892) وخلال مشيخته هذه على الكويت اعترف عبد الله بالحماية العثمانية على الكويت عام 1871 ورفع العلم العثماني على قصره.

ضعف آل سعود في نجد عندما احتدم الصراع بين سعود أبن فيصل الذي تمرد على أخيه عبد الله واستولى على الأحساء ، فاستجد عبد الله بن فيصل بوالى العراق مدحت باشا العثماني ، فوجه هذا الأخير أوامره إلى عبد الله بن صباح للاشتراك في الحملة العسكرية ضد سعود بن فيصل بعد أن وجدها فرصة لتثبيت النفوذ العثماني في الأحساء ، فتولى عبد الله الصباح قيادة الحملة البحرية بينما تولى أخوه مبارك الصباح قيادة القوات البرية العثمانية واحتلوا الأحساء وقطر فاستعاد العثمانيون سلطتهم الاسمية عليها ، وقد كافأ مدحت باشا عبد الله صباح الذي زاره وجعله قائمقاما للكويت التي أصبحت قائمقامية تابعة لولاية البصرة بعد أن تم تقسيم

العراق إدارياً إلى ثلاث ولايات هي بغداد والموصل والبصرة . وفي عهد القائم مقام مبارك الصباح (1896-1915) منحه العثمانيون لقب باشا .

كانت الدولة العثمانية قد أصابها الوهن والضعف وأطلق عليها الأوروبيون في القرن التاسع عشر الرجل المريض، فاستغلت بريطانيا هذه الحالة لتثبيت أقدامها في مناطق الخليج العربي الواقعة تحت السلطة العثمانية ومنها الكويت ، ولذلك وقفت ضد الاتفاق العثماني الألماني بمنح ألمانيا امتياز إنشاء سكة حديد تربط بين اسطنبول ورأس الخليج العربي مروراً ببغداد والبصرة ، حيث ينتهي الخط عند رأس (كاظمة) على الخليج العربي بصفتها منطقة جغرافية واحدة ، إلا أن بريطانيا شعرت بخطورة هذا المشروع الذي سيهدد طرقها التجارية ومستعمراتها في الهند وأسيا فأوقفت المشروع ومنعت الدولة العثمانية من تنفيذه .

وإذا ما عدنا قليلاً إلى الوراء وتتبعنا علاقة بريطانيا بالكويت فإنها كانت قد بدأت مع عام 1775 عندما حاصر الفرس البصرة ، فحول البريطانيون طريق بريدهم القادم من الهند عبر الخليج العربي المتجه إلى حلب من بلدة الزبير إلى مدينة الكويت فأصبحت لهم علاقات جيدة مع آل الصباح مما دفعهم إلى نقل الوكالة البريطانية من البصرة إلى الكويت ، وفي عام 1793 أقام

البريطانيون أول اتصال تجاري مع الكويت ثم أقام فيها أول ضابط سياسي بريطاني عام 1821م في جزيرة فيلكة مع أن الكويت كانت تابعة للعثمانيين وكان هناك خلاف بين الانكليز والوالي العثماني داود باشا أدى إلى مغادرة الممثل البريطاني مستر ريتش دار الاعتماد البريطانية في بغداد إلى الخليج العربي ولكن ذلك لم يكن ذو تأثير نتيجة ضعف الدولة العثمانية والتغلغل الأوربي فيها الذين باسروا باحتلال الوطن العربي وتقاسمه فيما بينهم منذ احتلال الجزائر عام 1830 .

وفي عام 1896 غدر مبارك الصباح بأخيه محمد الصباح شيخ الكويت فقتله ليلاً وهو نائم وتولى مكانه المشيخة ، ولما كان محمد الصباح قائمقاماً رسمياً للكويت وموالياً للدولة العثمانية ، فقد غضبت السلطة العثمانية من تولي مبارك المشيخة وطلبت من حليفها ابن الرشيد القضاء عليه لأنه قتل أخيه بدعم من البريطانيين ويعلم منهم ، فتقدم ابن الرشيد بقواته لاحتلال الكويت لإعادة أبناء محمد الذي اغتاله مبارك إلى مشيختهم، ووقعت معركة عند قرية الصريف الواقعة على بعد عشرين ميلاً شمال شرق بريدة في القصيم هزم فيها مبارك الصباح وانسحب بفلول قواته إلى الكويت تتبعه قوات ابن الرشيد وبإسناد من الدولة العثمانية للقضاء على مبارك الصباح وحليفة السعودي عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، وهنا تدخلت

بريطانيا لإنقاذ حليفها مبارك فتقدمت البارجة الحربية الانكليزية (لابوينغ) ورست على ساحل الكويت وأعلن قائد البارجة أن مبارك الصباح صديق لصاحب الجلالة ملك بريطانيا وأن حكومة لندن أخذت على عاتقها حمايته ولا توافق على عزله وأرسل مندوباً إلى ابن الرشيد أنذره بوجوب مغادرة المنطقة ، في الوقت نفسه أبلغت الحكومة البريطانية السلطان العثماني الضعيف أن قرارها لا يحتمل النقاش ، فاضطرت الحكومة العثمانية إلى الرضوخ للإنذار وطلبت من ابن الرشيد مغادرة منطقة الكويت .

إن هذا الدعم البريطاني لا يعني أن الكويت قد خرجت عن سلطة الدولة العثمانية ولذلك بذل مبارك الصباح جهوداً استثنائية وانفق اموالاً طائلة أرسلها إلى بغداد واسطنبول لتعيينه قائمقاماً للكويت بدلاً من أخيه محمد الذي قتله. وفي ديسمبر / كانون الأول 1897 صدرت إرادة سلطانية بتعيينه قائمقاماً للكويت يتبع لمتصرف البصرة ضمن ولاية البصرة العراقية .

كان لمشروع سكة حديد برلين - بغداد - كاظمة أثره في نفوس البريطانيين الذين زادت مخاوفهم أكثر عندما منحت الحكومة العثمانية روسيا امتياز إنشاء خط للسكة الحديد يربط طرابلس على البحر المتوسط مع الكويت عبر حمص وبغداد ، وقد وجدوا في ضعف الدولة العثمانية إمكانية عقد معاهدة مع مبارك الصباح شبيهة

بالمعاهدة التي عقدها مع مسقط عام 1891، لوضع حد
للطموحات الألمانية والروسية في الخليج العربي ، وكان مبارك
الصباح قد طلب وضع نفسه تحت الحماية البريطانية منذ توليه
المشيخة بعد أن قتل أخيه عام 1896 ، وبناء على كل هذا طلب
وزير الخارجية البريطاني سالزبوري من المقيم البريطاني في بوشهر
الكولونيل مالكوم جون ميد الاتصال بمبارك الصباح لعقد الاتفاقية ،
وفي يوم 23 كانون الثاني /يناير 1899 وقع مبارك الصباح الاتفاقية
مع المقيم البريطاني ميد وكان نصها كالآتي :
((إن الشيخ مبار بن صباح بكامل حريته يرغب أن يرتبط ويلزم وراثته
وخلفه في الحكم بأن لا يستقبل أي وكيل أو ممثل لأي سلطة أو
حكومة في الكويت أو في مكان آخر من حدود مقاطعته دون
الموافقة السابقة للحكومة البريطانية ، وبالإضافة إلى ذلك يلزم
نفسه ووارثوه وخلفه في الحكم بأن لا يتنازل أو يبيع أو يؤجر أو
يرهن ، أو يعطي للاستغلال ، لأي غرض كان جزءاً من مقاطعته
لأي حكومة أو رعايا أي سلطة دون الموافقة السابقة لهذه الأغراض
من حكومة بريطانيا، وهذا الاتفاق يمتد لأي جزء من المقاطعة
التابعة للشيخ المذكور، مبارك بن صباح التي تقع الآن في حوزة
رعايا أي حكومة أخرى)).

لقد وقع مبارك الصباح هذه الاتفاقية دون علم من الدولة العثمانية بمعنى أن ولاءه أصبح سراً لبريطانيا مع انه كان يشغل موقع قائم مقام الكويت ، وعندما علمت السلطات العثمانية بالاتفاقية حاولت تأكيد سلطتها على الكويت ، فأبلغ سفير بريطانيا في اسطنبول الباب العالي العثماني أن بريطانيا ليس لها أي هدف معين في الكويت سوى العلاقة الودية مع آل صباح ، وهذا يعني استمرار التبعية الكويتية إلى الدولة العثمانية رغم الاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا معها لا حقاً. وهكذا انتهت المشاريع العثمانية الألمانية والروسية إلى الأبد ، وانتهى الجدل بين الباب العالي العثماني والحكومة البريطانية بعقد اتفاق 9 سبتمبر / أيلول 1901 بين الحكومتين اعترفت فيه الحكومة العثمانية بالوضع القائم في الكويت بشرط أن لا تحتل بريطانيا الكويت ولا تبسط حمايتها عليها كونها قائم مقامية تابعة لمصرفية البصرة وولايتها العثمانية . وفي 29 يوليو / تموز 1913 عقدت الدولة العثمانية اتفاقية مع بريطانيا تخلت فيها عن سلطتها الاسمية على عمان وقطر والبحرين ، بينما بقيت الكويت وفقاً للاتفاقية قائم مقامية تابعة لولاية البصرة العثمانية على أن تتمتع بنوع من الحكم الذاتي ، وهذا يعني أن الكويت بقيت من دون كل مناطق الخليج تابعة للدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها مما خلق مشكلة مطالبة العراق بضمها إليه على

أساس أنها جزء من أراضية التي كانت أيام العثمانيين مقسمة إدارياً إلى ثلاث ولايات تتبع الكويت الولاية الجنوبية منها وهي ولاية البصرة. ولذلك وعندما أعلن البريطانيون قيام كيان سياسي في الكويت عام 1961 عارض العراق ذلك وأعلن أن شيخ الكويت هو قائمقام تابع لمتصرفية لواء البصرة العراقي . و الحقيقة أن الدولة العراقية منذ تأسيسها عام 1920 كانت تنظر إلى الكويت على أنها جزء منها وتعتبر اقتطاعها محاولة من بريطانيا لمنع العراق من إيجاد منفذ له على الخليج العربي ، وقد تصاعدت هذه القضية وسببت مشاكل سياسية وحروب اتخذت طابعاً إقليمياً ودولياً في تاريخ العراق والعرب المعاصر.

ÇĞ

الاستعمار الأوربي و المقاومة العربية

1- ضعف الدولة العثمانية والاحتلال الأوربي للمغرب العربي ومصر :
بدأت الدولة العثمانية بالضعف و التدهور بعد أن توقفت فتوحاتها، ويمكن القول أن مظاهر الضعف هذه قد ظهرت منذ أواخر القرن الثامن عشر، فالدولة العثمانية لم تكن دولة حضارية بل كانت دولة عسكرية بدأت مشاكلها مع توقف توسعها، فأصبح جيش الأنكشارية العثماني و بالاً على الدولة بعد أن كان أدواتها في تحقيق الانتصارات والفتوحات. فلم يعد لهؤلاء الجنود والضباط عمل يقومون به وأصبحت رواتبهم محدودة ومتقطعة، وبدوا بإثارة المشاكل داخل الدولة إلى الدرجة التي اضطر بها السلطان محمود الثاني على القضاء على جيش الأنكشارية و أبادته بعد أن أصبحوا عقبة في طريق الإصلاح لدرجة إنهم تحالفوا مع رجال الدين الأتراك الذين اعتبروا أن كل ما يصلهم من أوروبا من تطور و تحديث هو ضد الإسلام. ومع ذلك فإن محاولات السلاطين العثمانيين الذين أعقبوا السلطان سليمان القانوني القيام بإصلاحات لم تجد نفعاً أمام التطور الهائل الذي شهدته أوروبا في العصور الحديثة وفي قيام الثورة الصناعية التي جعلت من الأوربيين في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر قوة لم تكن الدولة العثمانية

بأساليبها العسكرية القديمة وأفكارها البالية تستطيع الوقوف أمامها اقتصادياً وعسكرياً، وعندما حاول بعض السلاطين القيام بالإصلاحات فإن تأثير هذه الإصلاحات كان محدوداً و جاء متأخراً جداً. فقد أصبحت الدولة العثمانية تسمى من قبل الأوربيين (الرجل المريض) وظهرت قضية (المسألة الشرقية) وهي في الحقيقة مسألة غربية لأن الأوربيين كانوا يفكرون بالطريقة التي يقتسمون بها الدولة العثمانية وبعيدون السيطرة على البلقان و يحتلون الوطن العربي للحصول على ثرواته ولجعله أسواقاً لمنتجاتهم ومورداً للمواد الغذائية التي تحتاجها معاملهم و ثورتهم الصناعية. كذلك أرادت بريطانيا تأمين طرق مواصلاتها إلى الشرق الأقصى و الهند عن طريق البحر الأحمر و الخليج العربي ونهري دجلة والفرات. كما أرادت روسيا القيصرية إيجاد منفذ لها من البحر الأسود إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط، وذلك بالاستيلاء على الأستانة ومضيق البسفور والدردنيل، وأن يكون لها نفوذ على البلقان ذوي الأصول السلافية التي ينحدر منها الروس. إما فرنسا فقد أرادت رعاية مصالحها في بلاد الشام و أقطار المغرب العربي. وهكذا بدأت دول أوروبا حملاتها العسكرية لاحتلال الوطن العربي. ففي عام (1830م) احتلت فرنسا الجزائر وفي عام (1881م) احتلت تونس، وفي عام (1882م) احتلت بريطانيا مصر ثم السودان عام (1889م)، وفي عام (1911م) احتلت إيطاليا ليبيا، وفي عام (1912م) أعلنت الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى (

مراكش) كما احتلت أسبانيا أجزاء منها. وبذلك خرجت الجزائر و تونس وليبيا ومصر و السودان من سيطرة الدولة العثمانية. ولم يبقى تحت سيطرتها المباشرة سوى العراق و بلاد الشام و الجزيرة العربية و التي احتلها البريطانيون والفرنسيون خلال الحرب العالمية الأولى التي شهدت سقوط الدولة العثمانية وزوالها.

2- الاحتلال الفرنسي و المقاومة العربية في الجزائر:

كانت فرنسا تطمح في استعمار الجزائر للسيطرة على ثرواتها ولتصريف بضائعها وللتخلص من الديون التي كانت الجزائر قد أقرضتها لفرنسا وكذلك لنشر الديانة المسيحية في أفريقيا. وقد سنحت الفرصة للفرنسيين باستخدام (حادثة المروحة) سبباً مباشراً لغزو الجزائر في حزيران عام (1830م). والمقصود بحادثة المروحة هي أن قنصل فرنسا في الجزائر قد حضر لدى الداي حسين حاكم الجزائر لتقديم التهاني في إحدى المناسبات. فأستفسر منه الداي حسين عن سبب تأخر الحكومة الفرنسية عن دفع ديونها للجزائر، فرد القنصل الفرنسي بطريقة غير مؤدبة وبغطرسية، فأشار عليه الداي بمروحته ليغادر المكان فلمست المروحة القنصل، فاعتبرت فرنسا هذه الحادثة التي وقعت عام (1827م) تجاوزاً من قبل حاكم الجزائر على كرامة فرنسا و حكومتها، فكانت هذه الحادثة السبب المباشر الذي افتعلته فرنسا لاحتلال الجزائر.

أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر في حزيران (1827م) وفرضت عليها حصاراً بحرياً لمدة ثلاث سنوات، ثم قام بعدها

الأسطول الفرنسي بالاستيلاء على مدينه الجزائر في تموز (1830م) بعد أن استولوا على ميناء سيدي فرج في حيزران من العام نفسه. وأستسلم داي الجزائر بمعاهدة وقعها مع القائد الفرنسي الجنرال بومونت، وقد تعهدت فرنسا بموجب هذه المعاهدة بالمحافظة على أوضاع الجزائر إلا أنها نقصتها قبل أن يجف مدادها. ففي اليوم التالي دخل الجنود الفرنسيون (القصة) و أنزلوا الأعلام العثمانية و رفعوا العلم الفرنسي ثم دخلوا مدينة الجزائر و هجموا على المواطنين بوحشية و أشاعوا السلب و النهب و الاعتداء على الحرمات و قتل المواطنين بالجملة، و حرقوا القرى و المزارع. ثم توغلت القوات الفرنسية المحتلة داخل الأراضي الجزائرية فاحتلت مدينة بليده، لكنها وجدت مقاومة في مدن قسطيه و عنابه و بجايه و المديه. وتمكنت المقاومة في وهران و قسطنطين من محاصرة القوات الفرنسية مما أضطر الحكومة الفرنسية إلى إرسال قوات كبيرة لفك الحصار، فدخل الفرنسيون مدينه وهران بينما رفضت قسطنطينية الاستسلام، واستمرت تقاوم الفرنسيين سبع سنوات حيث الحق الجزائريون بالفرنسيين هزائم كبيرة و استطاعوا طردهم من مدينة عنابة. وتكررت هجمات الفرنسيين على قسطنطينية وكان آخرها هجوم عام (1837م) حيث قاومتهم المدينة مقاومة بأسلة ودارت المعارك من بيت إلى بيت ولم يتمكن الفرنسيون من دخول المدينة إلا بعد أن تكبدوا آلاف القتلى و بينهم

القائد الفرنسي للحملة كما قدمت المدينة آلاف الشهداء من أبنائها
المقاتلين وكان ذلك عام (1838م).

أفرزت المقاومة الجزائرية خلال الفترة (1830م) وحتى قيام
الحرب العالمية الأولى وخلالها قادة جزائريين كان في مقدمتهم عبد
القادر الجزائري الذي ظهر زعيماً وقائداً للمقاومة الجزائرية ضد
الاستعمار الفرنسي في معركتي (خنق البطاح) الأولى والثانية ،
فتمت مبايعته أميراً في 27 تشرين الثاني 1832م من قبل أهل
(معسكر) و (غريس) الغربي و الشرقي وما جاورهما ، ثم وقعت
البيعة العامة له في شباط (1833م) ، ولقب بـ (ناصر الدين) . وقد
قام الأمير عبد القادر الجزائري بتشكيل حكومة و تأسيس جيش
حديث مكون من المشاة والخيالة و المدفعية ونظم القضاء و أهتم
بالثقافة و شجع طلاب العلم والعلماء وأنشأ المكتبات و أظهر عناية
بالصحة العامة. من جانب آخر أنشأ الأمير عبد القادر الجزائري
مجلس شوري منتخب يعاونه في حكم البلاد و دراسة المظالم.
أن هذه الأسس التي وضعها الأمير عبد القادر الجزائري
لإنشاء دولة جزائرية حديثة قد كانت جزءاً من إستراتيجيته في
مقاومة الاحتلال الفرنسي حيث استمر في قتال الفرنسيين و
مقاومتهم وشن الغارات عليهم، وكانت له معارك عديدة وشديدة
معهم لتحرير مدينتي (وهران ومستغانم)، ولكنه لم يتمكن من
الانتصار على الفرنسيين فأضطر إلى عقد معاهدة عام (1834م)
معهم لكي يضمن عدم توسعهم داخل البلاد. إلا أن الفرنسيين لم

يلتزموا بوقف القتال، فهاجموا تلمسان و قامت الحرب من جديد بين الفرنسيين و عبد القادر الجزائري، فأضطر الفرنسيون إلى عقد معاهدة جديدة معه هي معاهدة (تافنا) التي حُددت فيها المواقع التي تسيطر عليها القوات الفرنسية وهي: مدن الجزائر ووهران و البليدة و القليعة و ما حولها، وبالمقابل اعترفت المعاهدة بولاية الأمير عبد القادر الجزائري على سائر بقية الجزائر، وضمنت المعاهدة للعرب المسلمين في المناطق الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي ممارسة ديارتهم بحرية تامة. ومع ذلك فإن الفرنسيين لم يلتزموا بنصوص هذه المعاهدة أيضا لأنهم أصلاً كانوا يريدون من وقف القتال مع عبد القادر الجزائري فرصةً لتعزيز قواتهم من اجل السيطرة على كامل الجزائر، لذلك اندلعت المقاومة من جديد عام (1839م) و استمرت بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري حتى عام (1847م). وخلال السنوات (1839- 1840م) تمكنت المقاومة الجزائرية من تحقيق الانتصارات على القوات الفرنسية، مما اضطر الفرنسيين إلى اللجوء لسياسة (الأرض المحروقة) أي استخدام البطش بالمدينين وهدم بيوتهم و حرقها و حرق مزارعهم. ففي عام (1841م) أصبح الجنرال (بيجو) حاكماً عاماً وقائداً عسكرياً في الجزائر، فأستقدم قوات فرنسية و معدات كبيرة و أستخدم سياسة تحصين المدن و الانطلاق منها للهجوم على الأخرى و تحصين الحدود لمنع المساعدات إلى المقاومة، وإحراق المحاصيل الزراعية لمنع الناس من الحصول على القوات و كذلك المقاومة، ووصل به

الحد إلى أسر النساء و الأطفال و الشيوخ و الاعتداء على المحرمات و إرهاب الناس، واستخدم (بيجو) أيضا أسلوب التجسس و إثارة الفتن بين الجزائريين، مما أضطر الأمير عبد القادر الجزائري إلى إتباع سياسة جديدة في إقامة عاصمة متنقلة له يقيمها في المواقع الصالحة للمقاومة، فكان قتاله للفرنسيين على مدى خمسة عشر عاماً مثلاً للبطولة و الشهامة و الفداء في سبيل الوطن و العروبة والإسلام.

أن الوحشية الفرنسية و سياسة الأرض المحروقة قد أضعفت المقاومة الجزائرية، فأضطر الأمير عبد القادر الجزائري إلى طلب العون من العثمانيين إلا أن هذه الدولة قد أصبحت ضعيفة تتدخل في شؤونها الدول الأوربية الجديدة والقوية. كما أن الضغط الفرنسي على سلطان المغرب الأقصى منعه من إرسال المعونة إلى الأمير عبد القادر الجزائري، إضافة إلى تحصين الفرنسيين لحدود الجزائر الشرقية والغربية لمنع أية مساعدات عربية من المقاومة. أن هذه العوامل جميعها العسكرية والسياسية والاقتصادية و الاجتماعية قد جعلت الأمير عبد القادر الجزائري يقع أسيراً بيد القوات الفرنسية حيث نفى إلى فرنسا عام (1847م) و لبث فيها حتى عام (1853م) حينما أطلق نابليون الثالث سراحه فلجأ إلى تركيا ومنها سافر إلى دمشق عام (1855م) و توفي فيها عام (1883م)، وفي عام (1966م) تم نقل رفاته من دمشق ليدفن في أرض موطنه الجزائر.

أن نهاية الأمير عبد القادر الجزائري لا تعني توقف المقاومة الجزائرية، فخلال السنوات (1848-1850م) نشبت ثورات عديدة مع عدم توقف المقاومة التي قابلها الاحتلال الفرنسي بأساليب وحشية. ومع ذلك بقيت العديد من المناطق الجزائرية مغلقة أمام المحتل ولم تستطع فرنسا فرض السيطرة التامة على الجزائر كلها إلا بعد القضاء على ثورة المقراني عام (1871م). علماً أن الفرنسيين لم يتمكنوا من احتلال الصحراء إلا في مطلع القرن العشرين.

لقد قسمت الدكتورة زاهية قدورة في كتابها تاريخ العرب الحديث، المقاومة الجزائرية التي أعقبت مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري على النحو التالي:

1. ثورة أولاد سيدي الشيخ، وثورة الأوراس و الزيان و زواغه، شمال قسنطينه و جبال زواوه في الأعوام (1848- 1850م).

2. ثورة القبائل عام (1851م)

3. ثورة واحات الجنوب بقيادة محمد بن عبد الله عام (1852م)

4. ثورة جبال البابور عام (1856م)

5. ثورة لالا فاطمة في جبال القبائل عام (1857م)

6. ثورة أوراس عام (1858م)

7. ثورة الشعبانية عام (1861م)

8. ثورة اولاد سيدي الشيخ التي امتدت من جنوب وهران إلى أن وصلت إلى مقاطعة قسنطينه عام (1864م)
9. ثورة محمد المقراني عام (1871م)

كانت ثورة المقراني ضد الاحتلال الفرنسي من اكبر هذه الثورات بعد ثورة الأمير عبد القادر الجزائري، فقد تحولت إلى مقاومة شعبية واسعة النطاق امتدت على مدى عام 1871. وكانت هناك عوامل ساعدت على اتساع هذه الثورة، فقد كانت تمثل تحدياً للسياسة الاستيطانية العنصرية الفرنسية في الجزائر، وشجع على قيامها هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في هذا العام، تلك الحرب التي أجبر فيها الفرنسيون شباب الجزائر على التجنيد و القتال معهم في فرنسا ضد ألمانيا، يضاف إلى هذا كله أن الفرنسيين المحتلين منحوا اليهود الجزائريين الجنسية الفرنسية ليصبحوا قوة إلى جانب الفرنسيين المحتلين أمام مقاومة المجتمع العربي الإسلامي الجزائري للاحتلال الاستيطاني الفرنسي.

امتدت المقاومة و الثورة على جميع الأراضي الجزائرية عام (1871م) عدا وهران، وقد أستشهد قائد الثورة محمد المقراني بعد شهرين من بدء المقاومة فأستلم القيادة أخاه بوزمراك المقراني الذي قادها على مدى عام كامل إلى أن تمكنت القوات الفرنسية المحتلة من القضاء على الثورة في شهر كانون الثاني (1872م). تعتبر مقاومة المقراني وثورته آخر ثورة شاملة في الجزائر قبل قيام الحرب العالمية الأولى، ألا أن هذا لا يعني أنه لم تعقبها ثورات

أخرى محدودة النطاق مثل ثورة عام (1916م) ضد تجنيد الجزائريين للاشتراك مع القوات الفرنسية في الحرب العالمية الأولى. ويمكن القول أن المقاومة الجزائرية المسلحة قد توقفت بقيام الحرب العالمية الأولى لتبدأ بعد الحرب المقاومة السياسية التي قادت إلى تفجير الثورة الجزائرية الكبرى عام (1954م).

3-الاحتلال الفرنسي و المقاومة العربية في تونس:

قام باي تونس أحمد بتطبيق (التنظيمات) في تونس بناء على طلب من السلطان محمود الثاني الذي حاول قيادة حركة الإصلاح في الدولة نتيجة تخلفها عن أوروبا ولأن الأوربيون بدأوا يتدخلون في شؤون الدولة العثمانية و يفرضون عليها أرائهم، لكن هذه الإصلاحات التي تمثلت في إنشاء مدرسة حرية يُدرس فيها المعلمون الفرنسيون وتكوين جيش قوامه 25 ألف عسكري تسنده الصناعة العسكرية (مصانع الذخيرة و بناء الأسطول) و كذلك التقرب من فرنسا، قد أدى كل هذا إلى وقوع البلاد في أزمة مالية، خصوصاً وأن الفساد الإداري و المالي قد تصاعد مع هذه الإصلاحات كما ازداد النفوذ الفرنسي في البلاد.

لقد حاول بايات تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إصلاح أحوال البلاد واستعانوا بالمصلح خير الدين التونسي الذي تقلد عدة مناصب، منها تمثيله لبلاده في فرنسا لمدة ثلاث سنوات لإنهاء مشكلة الديون و تقلده بعد ذلك منصب وزير الحرية، كما أصبح رئيساً للمجلس الاستشاري. لكن المجلس لم

يحقق أهدافه مما دفع خير الدين التونسي إلى الاستقالة. وباستقالته زاد الفساد ونهب أموال الدولة إلى الدرجة التي جعلتها تفرض الضرائب القاسية على المواطنين و بأقسى الأساليب. فتراكمت ديون تونس الخارجية مما أدى إلى فرض الرقابة المالية الأجنبية عليها و بأكثرية فرنسية في لجنة متخصصة بدأت تتدخل في شؤون البلاد. وتساعد التنافس الفرنسي الإيطالي لاحتلال تونس والسيطرة عليها، وقد قويت أطماع إيطاليا بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا عام (1870م)، كما أن بسمارك مستشار ألمانيا المنتصرة منح فرنسا في مؤتمر برلين المنعقد عام (1878م) حرية التصرف لاحتلال تونس ولم تمنع بريطانيا بينما سككت إيطاليا لأنها لم تكن دولة عظمى.

أعدت فرنسا الخطط لغزو تونس من الجزائر التي كانت تحتلها، ووجدت حجتها فينا ادعته من أغارة قبائل خمير التونسية على حدود الجزائر ولم يكن هذا صحيحاً، بل عذراً لحشد قواتها واختراقها للأراضي التونسية. كما حاصر الأسطول الفرنسي مدينة بنزرت وأنزل رجاله في برها. وفي مايس (1881م) احتلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال بريار العاصمة تونس وتم توقيع (معاهدة باردو) التي أعلنت فرنسا أنها معاهدة صداقة وحسن جوار لكنها في الحقيقة قامت باحتلال البلاد عسكرياً.

أن الاحتلال الفرنسي لتونس قاد إلى ظهور المقاومة المسلحة بقيادة علي بن خليفة التونسي ولكن الفرنسيين تمكنوا من القضاء

عليها بسهولة لأنهم كانوا قد ثبتوا أوضاعهم في البلاد بعد أن خدعوا الشعب التونسي بأنهم جاءوا كحلفاء وليس كمستعمرين. وقد أسفرت فرنسا عن وجهها الاستعماري في تونس عندما فرضت على البلاد عام (1883م) معاهدة (المرسى الكبير) التي أعلنت فيها الحماية الفرنسية على تونس و أدارتها للبلاد بشكل مباشر مع إبقاء منصب الباي الذي آله بأيديهم. وقد أستمّر الاحتلال الفرنسي لتونس إلى إعلان استقلالها عام (1956م).

4-الاحتلال البريطاني والمقاومة العربية في مصر:

احتلت بريطانيا مصر عام (1882م) و أخرجتها عن سلطة الدولة العثمانية تماماً، ألا أن هذا لا يعني أن مصر لم تتعرض إلى أاحتلال الأوروبي قبل هذا التاريخ فقد سبق وأن غزا نابليون بوناپرت عام (1798م) ثم عادت إلى السيادة العثمانية الاسمية بعد انسحابه منها. ولكي تكون الصورة واضحة لابد لنا من العودة إلى تلك الأحداث التي سبقت احتلال بريطانيا لمصر عام (1882م).
قناة السويس والديون المصرية:

توفي محمد علي الكبير عام (1849م)، وقد حاول ورثه الاستمرار في منهجه النهضوي، لكنهم كانوا مبذرين ومسرفين فاقترضوا واستدانوا من الدول الأجنبية مما فتح باب التدخل في شؤون مصر الداخلية، وخصوصاً بريطانيا وفرنسا. وفي عهد الخديوي محمد سعيد بدأ المصريون بتنفيذ مشروع شق قناة السويس، حينما كلف الخديوي المهندس و السياسي الفرنسي فرديناند دي ليسيبس

بدراسة المشروع، ورغم معارضة بريطانيا خوفاً على مصالحها، فقد تم توقيع اتفاق بين الحكومتين المصرية والفرنسية عام (1856م) تم بموجبه منح امتياز لشركة فرنسية لحفر القناة وأن تكون مدة الاستفادة الفرنسية من المشروع تسعة وتسعون عاماً.

بدا العمل في شق قناة السويس يوم 25 نيسان (1859م) و استمر إلى 17 تشرين الأول (1869م)، أي عشر سنوات حيث تم إنجازها في عهد الخديوي إسماعيل، الذي أسرف في الصرف على القناة، وتحملت الخزينة المصرية ملايين الجنيهات تكاليف عامة لحفرها، كما أشتعل فيها آلاف العمال المصريين توفي منهم أثناء العمل ما يقارب من عشرين ألف عامل مصري بسبب قسوة العمل، وكانت لشركة الفرنسية تدفع لهم أجوراً زهيداً بحيث أن العمل كان أقرب ما يكون إلى السخرة.

ولم يكتفي الخديوي إسماعيل بإرهاق الخزينة من أجل حفرة القناة بل أنه شيد القصور الفخمة ووضع برنامجاً كبيراً كلف مصر أموالاً طائلة الأباطرة والملوك، ومنهم الإمبراطورة أوجيني زوجة نابليون الثالث وإمبراطور النمسا وولي عهد ألمانيا وولي عهد إيطاليا، وقد استمرت المهرجانات والاحتفالات لعدة أيام شهدت فيها مصر مظاهر البذخ والإسراف.

أصاب الخزينة المصرية عجز كبير أضطر الخديوي إسماعيل إلى رهن الأسهم المصرية في شركة القناة إلى الفرنسيين، إلا أن الفرنسيين لم يتمكنوا من أتمام الصفقة فسارع البريطانيون إلى

شراء حصة مصر في قناة السويس (وليس مجرد رهن) وكان ذلك عام (1875م)، فكانت البداية لتدخل بريطانيا في شؤون مصر الداخلية ومن ثم احتلالها عام (1882م).

الاحتلال وثورة احمد عرابي:

أدى ثقل الديون المصرية إلى تدخل الدول الكبرى في شؤونها الداخلية فقد فرضت كل مرة بريطانيا وفرنسا وزيرين منهما في وزارة المصرية من أجل المراقبة الثانية على مصر وديونها، كما فرضوا مصرياً أرمينياً عرف بولائه للأجانب ليصبح رئيساً للوزراء ليساعدهم في التغلغل داخل مصر وليكون سنداً للتجار الأجانب فيها. فأطلق الشعب العربي في مصر على هذه الوزارة أسم (الوزارة الأوربية) التي أغدقت الأموال على الأجانب وحاولت أضعاف الجيش وسرحت العديد من ضباطه وتوقفت عن دفع مرتباتهم فتظاهر الضباط وقاموا باحتجاز بعض أعضاء الوزارة، فتدخل الخديوي إسماعيل وانتهى الأمر باستقالة الوزارة في آذار (1879م). أثار تغلب الجيش وضباطه على أرادة الخديوي إسماعيل و الوزارة الأوربية حفيضة البريطانيين والفرنسيين و الأجانب عموماً، فسعوا لدى السلطان العثماني الضعيف (الرجل المريض) إلى خلعه و تعيين الخديوي توفيق محلة في السنة نفسها. وقد عرف الخديوي الجديد بإمكاناته المحدودة وبضعفه أمام الأجانب والقناصل. أن استمرار ضعف سلطة الخديوي قد دفع الشعب المصري و قاداته إلى المطالبة بتشريع دستور للبلاد الذي تنهه رئيس الوزراء

الجديد محمد شريف باشا، إلا أن البريطانيين و الفرنسيين منعوا
لخديوي توفيق من توقيع مشروع الدستور. وجاؤا برئيس وزراء
موالي لهم وزير حربية شركسي عمل على إضعاف الجيش وإرغام
الضباط العرب على الخروج منه. وأمام هذه السياسة الأجنبية
المناهضة لمصالح البلاد أصر الشعب و قواه الوطنية على إقامة
حياة نيابية في مصر، فحاول القناصل الأجانب وأصحاب المصالح و
التصويت عليها. فثار الجيش و الشعب بزعامة قائد وطني هو احمد
عراي رافعاً شعار (مصر للمصريين) وكان ذلك عام (1881م)،
ولما كان أحمد عراي أعلى الضباط رتبة وأكثرهم حماسة و
أقدرهم على القيادة فقد أعلن الجميع ولائهم له. فأقام حكومة
وطنية وسن دستور وطني وأقام حياة نيابية، وتغلب على المؤامرات
التي حاكتها ضده القوى الأجنبية و الخديوي توفيق. وفي 11 حزيران
(1882م) عقدت القوى الأجنبية مؤتمراً في السفارة الإيطالية
باسطنبول وكانت مقررات هذا المؤتمر تمثل تدخلاً سافراً بشؤون
مصر فطالبت القوى الوطنية باستقالة الخديوي توفيق الذي كان
ضعيفاً ومنصاعاً للقناصل الأجانب
التجاء الخديوي توفيق إلى حلفائه البريطانيين في الإسكندرية
يوم 13 تموز (1882م) حيث أصبح على مقربة من أسطولهم الذي
كان راسياً في مينائها ودبر مذبة السكندرية بالاتفاق مع الإنكليز
حيث أشعلوا الفتنة بين سكان البلاد من المصريين وبين المالطين

المقيمين في الإسكندرية يسانداهم الأجانب الذين كانوا مسلحين تسليحاً جيداً، فقتلوا عدداً كبيراً من المصريين العزل. أتخذ البريطانيون من مذبحة الإسكندرية حجة لاحتلال مصر فهاجموا الإسكندرية ووجدوا مقاومة بأسلة وعنفية من أهلها ولم يتمكنوا من دخولها، فتحولوا إلى قناة السويس تحت جنح الظلام من ميناء بورسعيد. ومن منطقة القناة بدأت عملياتهم العسكرية. وكان أحمد عرابي قد قرر ردم القناة لمنع الأسطول البريطاني من الدخول فيها، لكن مهندس القناة الفرنسي دي ليسبس خدعه بأن أكد له أن الإنكليز لن يجرؤا الدخول إلى القناة لأن الفرنسيين سيتدخلون.

قاوم الشعب العربي في الإسكندرية القوات البريطانية الغازية بكل بسالة وشجاعة، وقصف الأسطول البريطاني في الإسكندرية، ووقعت معركة (التل الكبير) التي تمكن فيها البريطانيون من هزيمة المصريين فاحتلوا الإسكندرية فكانت البداية لاحتلال مصر عام (1882م). إما عن أحمد عرابي و الضباط الوطنيين فقد صدرت عليهم أحكام الإعدام ثم استبدلت بالنفي على جزيرة سيلان. وفي عام (1892م) توفي الخديوي توفيق وخلفه ابنه عباس حلمي الذي شهد عهده حركة وطنية ضد الاحتلال البريطاني قادها مصطفى كامل مؤسس أول حزب سياسي في مصر هو الحزب الوطني عام (1907م)، ثم أعقبه في قيادة الحزب بعد وفاته محمد

فريد في كفاحه ضد الاستعمار البريطاني و حليفهم الخديوي عباس حلمي حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام (1914م).
أما عن السودان فقد أحتهل البريطانيون عام (1899م) بعد القضاء على الثورة المهديّة (1883-1899م)، وأقيم الحكم الثنائي بين مصر والسودان والذي أستمّر على عام (1953م) حينما قررت الثورة المصرية وقائدها جمال عبد الناصر ترك خيار تقرير المصير للسودان، فأعلن استقلال السودان التام عام (1956م).
5-احتلال ليبيا و المقاومة العربية:

كانت ليبيا قد تخلصت من حكم فرسان القديس يوحنا عندما استنجدت بالدولة العثمانية التي طردتهم من ليبيا عام (1556م)، وبعد حوالي ربع قرن من السيطرة العثمانية التي اتصفت بالفساد الإداري برزت إلى السلطة الأسرة القرمانلية التي حكمت منذ عام (1711-1835م) حكماً مستقلاً عن الدولة العثمانية التي أصبحت لها سلطة اسمية على ليبيا. وعندما بدأت أوروبا تهاجم ليبيا مرة ثانية بحجة مكافحة القرصنة عاد العثمانيون ليسيّطروا مرة أخرى على ليبيا وكان ذلك عام (1835م) و الذي استمر حكمهم المباشر عليها حتى الغزو الإيطالي عام (1911م).
أسباب الاحتلال:

لقد تمسك الليبيون بالحكم العثماني في هذه الفترة لأن الدولة العثمانية كانت تمثل في نظرهم قوة إسلامية يمكن الاعتماد عليها في مواجهة الغزوات الأوروبية بعد أن سيطر الفرنسيون على

الجزائر عام (1830م) و على تونس عام (1882م) وسيطر
البريطانيون على مصر عام (1882م) وهي دولة محيطة بليبيا التي
أصبحت مهدده

أن التمسك بالدولة العثمانية لم ينقذ ليبيا من الأطماع الأوروبية
التي تريد السيطرة على جميع الوطن العربي بعد إن ضعفت الدولة
العثمانية التي أطلقوا عليها اسم الرجل المريض الذي وضع
الأوروبيون الخطط لتقاسم تركته وعلى رأسهم بريطاني و فرنسا.
وكذلك إيطاليا التي كانت تتطلع لاحتلال ليبيا ز فبدأت بإرسال البعثات
وإنشاء معاهد للتعليم و تنشيط التجارة مع ليبيا. وقد تصاعد هذا
التوجه الإيطالي بعد قيام الوحدة الإيطالية عام (1870م) حيث
بدأت إيطاليا تتطلع للحصول على المواد الأولية و الأسواق التجارية
لمنتجاتها، فاحتلت ارتيريا عام (1885م) وساحل البحر الأحمر
الإفريقي، ثم دخلت ليبيا ثقافيا و وصحيا بإنشاء المدارس
والمستشفيات الإيطالية وأنشأت أيضا فرع لبنك روما في طرابلس
وبرقة عام (1905م) ومارست إيطاليا عمليات الرهن و التسليف
بطرق جائرة الهدف منها اغتصاب و امتلاك الأراضي الزراعية في
ليبيا بعد إغراق أصحابها بالديون. ولكي تهين إيطاليا الرأي العام
الأوروبي لتقبل أطماعها في ليبيا فقد بدأت تهاجم الأتراك العثمانيين
كونهم يضطهدون الليبيين.

وعندما تهيأت الفرصة لاحتلال ليبيا عسكرياً، خصوصاً بعد احتلال
فرنسا وبريطانيا للجزائر وتونس ومصر، أرسلت الحكومة الإيطالية

بعثة علمية أثرية إلى طرابلس عام (1910م) ظاهرها التنقيب عن الفوسفات والآثار و باطنها إعداد الخرائط اللازمة للعمليات العسكرية الإيطالية المقبلة..... ولم تكن الدولة العثمانية بقادرة على مواجهة هذه المخططات، بل على العكس فقد قامت وزارة حقي باشا في اسطنبول بسحب الجنود الأتراك الموجودين في ليبيا من اجل إخماد الثورة في اليمن. كما أنها لم تستجب لمطالب الليبيين بالتجنيد و التهيؤ للدفاع عن الوطن بعد أن انكشفت الأهداف و الخطط الاستعمارية الإيطالية في ليبيا و التي تلخص في الآتي:

- 1- الحصول على مستعمرة قريبة جغرافياً من إيطاليا من اجل تخفيف الضغط السكاني عن إيطاليا وذلك بإنشاء مستوطنات إيطالية فيها.

- 2- استثمار الأراضي الزراعية من اجل تغطية احتياجات إيطاليا عن المواد الغذائية و الحصول على مواد أولية.
- 3- إيجاد أسواق جديدة للمنتجات الإيطالية.

الاحتلال والمقاومة

عندما أصبحت الخطط الإيطالية جاهزة لاحتلال ليبيا، وجهت الحكومة الإيطالية إنذاراً إلى الدولة العثمانية وبشكل مفاجئ وغير معلن سابقاً اتهمتها فيه باتباع سياسة عدوانية ضد رعاياها الإيطاليين في ليبيا ومقاومتها لنشاطهم في طرابلس وبنغازي و اضطهادها لهم إلى الدرجة التي لا تنفع فيها المفاوضات وعليه قررت الحكومة الإيطالية اللجوء إلى القوة العسكرية و ذلك باحتلال ليبيا حفاظاً على

شرف ومصالح إيطاليا، وطلبت من الدولة العثمانية تسهيل عملية الاحتلال و الرد على إنذارها خلال أربع وعشرين ساعة. حاولت الدولة العثمانية بردها الضعيف على الإنذار التنصل من الاتهامات التي وردت فيه لكن الإيطاليون كانوا قد عقدوا العزم على احتلال ليبيا خصوصاً وإن الظروف الدولية كانت تنبئ بان التسويات قد تؤدي على إعطاء ألمانيا قاعدة في طرابلس الغرب ليبيا.... وبناءاً على ذلك وفي 29 ايلول 1911م سلم ممثل الحكومة الإيطالية في اسطنبول إلى الصدر الأعظم العثماني بيان إيطاليا بإعلان الحرب. وفي اليوم التالي ظهر الأسطول الإيطالي إمام طرابلس و حاصرها لمدة ثلاثة أيام تمكن بعدها الإيطاليون من احتلال المدينة. أما العرب و الأتراك فقد انسحبوا إلى مناطق خارج طرابلس وقاوموا القوات الإيطالية المتقدمة بعنف وشدة واستمرت المقاومة في عدة مدن ومناطق اشترك فيها السنوسيون وشيوخ الزوايا وعموم الليبيين الذين هرعوا للجهاد. وقد اشترك معهم قادة وشخصيات عربية معروفة مثل عزيز علي المصري وجعفر العسكري وياسين الهاشمي. ومع ذلك تمكن الإيطاليون من احتلال طبرق ودرنه وبنغازي و الخمس. لأمتلاكهم الأسلحة الحديثة. إلا ان المقاومة استمرت ضدهم.

ويمكن عموماً تقسيم المقاومة في ليبيا ضد الغزو و الاحتلال الإيطالي إلى ثلاثة عناصر و فصائل و على النحو التالي:

1. الليبيون بقيادة السنونيين وفي مقدمتهم الشريف احمد السنوسي، بحيث أعلنوا الجهاد دفاعاً عن الوطن. وقد استبسل الليبيون في جهادهم وكبدوا الطليان خسائر كبيرة ولم يتركوا لهم فرصة للراحة إلى درجة إن النفوذ الفعلي للإيطاليين بعد الحرب العالمية الأولى قد انحصر في الشريط الساحلي الليبي وقد أعقب احمد السنوسي في جهاده المجاهد عمر المختار الذي انظم على المقاومة منذ بدايتها.

2. القوات العثمانية التي أوقعت خسائر كبيرة بالإيطاليين وكانت تنسق مع قوات المجاهدين العرب في معاركهم وجهادهم ضد الإيطاليين المحتلين.

3. الإسناد العربي: ففي هذه الفترة كانت العناصر القيادية للنهضة العربية قد برزت على الساحة في اسطنبول وبغداد ودمشق فتطوعوا للقتال إلى جانب الشعب العربي في ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي، وكان في مقدمتهم الضابط عزيز علي المصري الذي أصبح قائداً على منطقة بنغازي. وتطوع معه العديد من الضباط العراقيين والسوريين واللبنانيين..... ولم تقتصر المساندة على الأفراد و المنظمات الشعبية بل أعلن بعض الحكام العرب مساندتهم للمقاومة الليبية مثل أمام اليمن. أما مصر فقد تحركت فيها المنظمات الشعبية وتطوع الأطباء وجمعت التبرعات و انشأت المستشفيات الميدانية و

أُرسلت البعثات الطبية إلى ليبيا لمساندة مقاومة الشعب العربي فيها ضد الاستعمار الإيطالي.

لقد كانت المقاومة في ليبيا بأسلة وشديدة و مستمرة دون توقف ، وبالمقابل ارتكب الإيطاليون المجازر لوحشية التي لم يستثنوا فيها الأطفال والنساء و الشيوخ مثل مجزرة (المنشية) الواقعة شرقي مدينة طرابلس .

لم تتمكن الدولة العثمانية من الصمود ، وهي الرجل المريض المنهك ، فاضطرت إلى الدخول في مفاوضات مع إيطاليا في شهر تموز (1912م) وحتى شهر تشرين الأول من السنة نفسها . وعندما علم الزعماء العرب في ليبيا بالمفاوضات أوفد احمد السنوسي المبعوثين إلى اسطنبول تحذره من مغبة عقد الصلح وما سيلحقه من عار بالدولة العثمانية لتسليمها الأراضي العربية المسلمة على الإيطاليين. ومع ذلك تم توقيع الصلح رسمياً وسحبت الدولة العثمانية قواتها و موظفيها من ليبيا، ولكنها اعترفت باستقلال الليبيين ودعمت المقاومة الليبية.

استمرت المقاومة بعد عقد معاهدة الصلح العثمانية الإيطالية بقيادة السنونسيين (احمد السنوسي) وسليمان الباروني، وقد أضعفت الحرب العالمية الأولى إيطاليا خصوصاً في نهايتها مما اضطرهم الموافقة على عقد اتفاق في 21 نيسان (1919م) اعترفت إيطاليا بالجمهورية الطرابلسية التي أقامها الزعماء العرب في طرابلس الغرب بليبيا في تشرين الأول (

1918م). ويتطور الأحداث في إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى و ظهور النظام الفاشي فيها بزعامة موسوليني الذي كان يحلم بإمبراطورية إيطالية، استمر الاحتلال الإيطالي لليبيا وتصاعدت المقاومة الليبية بقيادة خليفة الشريف احمد وهو محمد إدريس السنونسي الذي وجد صعوبة في البقاء في ليبيا فغادرها إلى مصر بقيادة المقاومة من هناك وكان ذلك عام (1923م). وقبل مغادرته برقة في ليبيا سلم القيادة العسكرية و السياسية على احد قادة المشهود لهم بالقيادة و الذكاء وهو السيد عمر المختار. وقد سجلت المقاومة العربية في ليبيا بقيادة عمر المختار بطولات رائعة في وجه الاستعمار الإيطالي مما اضطرهم إلى عقد أنفاق (سيدي رحومة) عام (1929م) ووقف القتال. ولم يكن هذا الاتفاق بالنسبة للإيطاليين سوى فرصة لكسب الوقت فاستأنفوا مهاجمتهم لمواقع المقاومة. وقد نجح الإيطاليون أخيراً في أسر المجاهد عمر المختار يوم 11 أيلول (1931م) وأودع السجن أخيراً في بنغازي، وحوكم محاكمة صورية ونفذ به حكم الإعدام شنقاً أمام جمهور غفير من أهالي مدينة برقة الذين اجبروا على حضور عملية إعدام عمر المختار وكان ذلك في صباح 16 أيلول (1931م).

استمرت المقاومة استشهد عمر المختار لكنها توقفت بعد أربعة أشهر لتبدأ من جديد خلال الحرب العالمية الثانية عام (1940م) من جديد خلال الحرب العالمية الثانية عام (1940م) حين اتفق

السنوسيين مع الإنكليز ضد الإيطاليين الذين كانوا في حرب معهم. وقد قدمت المقاومة تضحيات كبيرة انتهت بتخليص ليبيا من إيطاليا عام (1943م)، ليبدأ الاستعمار البريطاني الذي وعد بمنح الاستقلال لليبيا والذي أعقبه نضال سياسي ليبي إلى أن قررت الأمم المتحدة إعلان استقلال ليبيا دولة اتحادية تحت حكم الملك محمد إدريس السنوسي عام (1951م) و في عام (1964م) أعلنت ليبيا دوله موحده ملكيه وانضمت إلى الجامعة العربية عام (1953م) والى هيئة الأمم المتحدة عام (1955م). وفي الأول من أيلول (1969م) قامت الثورة في ليبيا وأعلنت الجمهورية بقياده العقيد معمر القذافي.

6-احتلال المغرب الأقصى و المقاومة المغربية :

بالرغم من أن الدولة العثمانية لم تتمكن من فرض سيطرتها على المغرب الأقصى، إلا انه لم ينجح من الاحتلال الأوروبي فهدف الأوربيون لم يكن السيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية فقط، وإنما احتلال الوطن العربي بأكمله....وكان المغرب الأقصى المعروف حالياً بالمملكة المغربية قد أستمر في عطائه الحضاري بعد انفصاله عن الدولة العباسية عام (788م) عندما أسس إدريس الأول دولته المستقلة في المغرب الذي عرف خلفاؤه باسم (الادارسة) و أعقبهم في الحكم المرابطون عام (1016م) وكان من العهود الزاهرة في تاريخ المغرب حيث تمكن الخليفة المرابطي يوسف بن تاشفين من ضم الأندلس إلى

المغرب لإنقاذها من حكم أمراء الطوائف بعد سقوط الدولة
الاندلسية الثانية.

استولى على الحكم في المغرب بعد المرابطين أسرة
لموحدين عندما دخل زعيمهم عبد المؤمن بن علي على مدينة
مراكش و أنهى حكمهم عام (1130م) وكان لملوكهم الفضل
الأكبر في توحيد دول المغرب العربي حين ضموا الجزائر و تونس
وطرابلس و الأندلس في دولة واحدة و استمر حكمها حتى عام (1268م)
بمعنى أن دولة الموحدين في المغرب العربي قد
سقطت بعد سقوط دولة العباسيين في المشرق العربي بعشر
سنوات فقط. ولذلك كان الانهيار السياسي في الوطن العربي
واحداً وفي كل أجزائه إلا أن انهيار الموحدين لم يأتي بحكم أجنبي
فقد أعقبهم في الحكم في مراكش (بنومرين) ثم (بنو وطاس)
الذين بدوا يواجهون الهجمات البرتغالية التي اجتاحت معظم موانئ
المغرب على البحر المتوسط و المحيط الأطلسي. وفي القرن
السادس عشر و حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر
حكمت مراكش الأسرة السعدية المعروفين باسم (السعديين)
من عام (1515-1660م) عندما جاء حكم العلويين الذين مازالوا
يحكمون المغرب إلى يومنا هذا باسم المملكة المغربية.
الاحتلال:

واجهت الدولة العلوية الغزو الحقيقي الأوروبي بعد إن احتل
الفرنسيون الجزائر عام (1830م). ففي سنة (1860م) نشر في

فرنسا مجلدان بعنوان (وصف المغرب و تاريخه) لمؤلفه ليون غودار الذي دعا فيه لاحتلال المغرب ووضع خططاً لتحقيق هذا الهدف وما كاد عام (1900م) يحل على العالم حتى بدأت فرنسا و أسبانيا تستعدان لغزو المغرب عسكرياً. العوامل الداخلية والخارجية للاحتلال:

إن الاستعداد العسكري لغزو المغرب قد سبقه تدخل في شؤون المغرب الداخلية بحجة حماية مصالح رعايا الدول الأوروبية و امتيازات تهم بعد إن سيطرت أسبانيا على بعض الثغور المغربية، وأصبحت طنجه في عام (1844م) بموجب معاهده مع بريطانيا تحت الرعاية البريطانية. وعندما تولى السلطان الحسن الأول العرش بعد وفاة والده عام (1873م) وجد تركة ثقيلة من الامتيازات التي منحها والده وأجداده إلى الأجانب والتي تسمح بتدخل القناصل والسفراء و البريطانيين و الأسبان و الفرنسيين مثل الامتيازات القضائية و عدم خضوع رعاياهم للقوانين و الأنظمة المغربية وإعفائهم من الضرائب. وأصبح القنصل الأجنبي يتمتع بحصانه مطلقة ولا يدفعون الرسوم الكمركية لقاء مستورداتهم ووصل لحد تخويل القنصل حق تشكيل قوة للشرطة وسجن خاص به لمحاسبة رعاياه وأعطيت حصانة لتجار هذه الدول و لعمالهم من المغاربة، بما فيهم الفلاحين المغاربة الذين يعملون لصالح الأجانب، مما اضعف السلطة المغربية في ترضاها. ومما زاد الطين بلة أن السلطان الحسن الأول استعان بالمستشارين الأوربيين

لإصلاح أوضاع بلاده فجعل لقيادة الجيش النظامي ضابطاً بريطانياً، واستقدم بعثة عسكرية فرنسية لتدريب الجيش وإنشأ مصنعاً للأسلحة في مدينة فأس أناط أدارته لضابط بضابط إيطالي، وانتهج سياسة المرونة تجاه المستعمرين ورضخ لطلباتهم. ومن الأمثلة على ذلك السماح لفرنسا التي تمثل الجزائر بإقامة بعثة لها في مدينة وجره على الحدود الجزائرية. وفي عام (1893م) ومع أربعة ملايين ريال إلى أسبانيا تعويضاً عن الخسائر التي لحقت بها نتيجة هجمات المقاومة المغربية للتحصينات الأسبانية في مينائي سبتة ومليلة المغربيين اللذين تحتلأهما أسبانيا. وفي عهد السلطان الحسن الأول احتلت فرنسا تونس عام (1881م).

وعندما استلم السلطان عبد العزيز الحكم بعد وفاة والده السلطان الحسن الأول عام (1894م) زادت الأوضاع سوءاً في المغرب، خصوصاً وأنه قد اتجه إلى الملذات رغم المهام الجسام التي تركها له والده، فأهمل إدارة شؤون الدولة ووقع تحت سيطرة حاشيته التي لم تكن تقدم له النصح و الرشاد، وكان مستشاريه من الإنكليز وغيرهم من الأجانب يعملون على تهية البلاد لكي يسيطر عليها الأوروبيون فشجعوه على الاستدانه وصرف الأموال وكانت فرنسا أكثر الدول الأوروبية تشجيعاً للسلطان عبد العزيز على الاقتراض و التورط بالديون الأجنبية لكي تمد نفوذها إلى المغرب. ومع أن فرنسا كانت إحدى الدول الموقعة على معاهدة مدريد عام (1880م) والتي تنص على المحافظة على

استقلال المغرب، إلا أنها عملت على تهيئة الأجواء الدولية للسيطرة عليه، وقامت بما يلي:

1. عقدت معاهدة سرية مع إيطاليا عام (1901م) وافقت فيها على احتلال إيطاليا لليبيا.
2. عقدت اتفاقاً مع أسبانيا عام (1904م) نصت بنوده على اقتسام المغرب فيما بينهما.
3. عقدت معاهدة مع بريطانيا عام (1904م) وافقت فيه على الاعتراف باحتلال بريطانيا لمصر مقابل إطلاق يد فرنسا في المغرب.

أن هذه العوامل الداخلية و الخارجية قد هيأت لاحتلال المغرب من قبل فرنسا و أسبانيا، فجاء العامل المباشر عام (1907م) لتبدأ خطوات الاحتلال عندما قتل الطبيب الفرنسي موشان في مراكش الواقعة جنوب البلاد، فوجدت فرنسا في مصرعه سبباً للتدخل العسكري، فاجتازت الحدود المغربية من الجزائر و احتلت مدينة وجدة. ثم تعللت بأسباب مفتعلة لاحتلال الدار البيضاء عندما حصل اعتداء عمال أورييون يعملون في شركة فرنسية - أسبانية في المنطقة. فهاجمت مدينة الدار البيضاء بالقنابل و احتلتها، ثم احتلت بعد ذلك مدينة الرباط و أعقبتها باحتلال العاصمة (فأس) بحجة حماية حقوقها و الديون المترتبة على المغرب. وكان السلطان عبد الحفيظ شقيق عبد العزيز قد تولى الحكم عام (1910م) بعد وفاة شقيقه.

أظهرت ألمانيا اعتراضها على الاحتلال الفرنسي للمغرب فسويت المسألة بأن منحت ألمانيا عام (1911م) جزءاً من المستعمرات الفرنسية في أفريقيا مقابل سكوتها على احتلال فرنسا للمغرب. وفي عام (1912م) استغلت فرنسا لجوء السلطان عبد الحفيظ إليها بطلب حمايتها من تمرد وقع ضده فوقعت معه معاهدة الحماية لتبدأ السيطرة التامة لفرنسا على المغرب مع بقاء حكم الأسرة العلوية فيه. أما عن أسبانيا فقد عقدت اتفاقاً مع فرنسا مستوحى من اتفاق مدريد عام (1904م) اعترفت فيه فرنسا لأسبانيا بحقها في احتلال منطقة الريف بالإضافة إلى مرفأ (أفني) على شاطئ الأطلسي. كما تم الاتفاق على جعل مدينة طنجة منطقة دولية. المقاومة.

المقاومة في فاس و الصحراء و الأطلس الأوسط

ظهرت المقاومة المغربية ضد الأسبان و الفرنسيين منذ أن وطئت أقدامهم أرض المغرب الأقصى، فقد ثار المغاربة وقبائلهم في الجنوب و الشمال و كانت مدينة فاس أول المناطق التي اشتعل فيها فتيل الثورة عندما أعلنت الحماية الفرنسية على المغرب، وزاد من فورتهم إعلان السلطان عبد الحفيظ بأنه يرفض الاحتلال وانه أجبر على توقيع معاهدة الحماية بعد أن اتهمه الشعب بالخيانة.

لقد طوقت القبائل الثائرة مدينة فأس و تمردت القوات المغربية في داخل المدينة على الضباط الفرنسيين الذين يقودونهم فقتلوهم و انطلقوا في شوارع المدينة ليوحدوا صفوفهم مع القبائل التي تحاصر المدينة. و توسعت الثورة في العديد من مناطق المغرب. ففي الجنوب الصحراوي أعلن (الهبة) بن الشيخ ماء العينين الثورة على المحتلين، فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى إرسال الجنرال ليوتي ليكون مقيماً و قائداً أعلى للقوات الفرنسية في المغرب، لكنه لم يتمكن من إخماد الثورة، خصوصاً و أن السلطان عبد الحفيظ لم يتعاون معه و استمر بالاتصال سراً بالقبائل للتحريض على الثورة فنقله الفرنسيون بالقسر إلى الرباط. وتمكنوا من فك حصار القبائل لمدينة فأس و احتلوها في أول حزيران عام (1912م) إلا أن الثورة استمرت في سائر البلاد.... ففي الجنوب (مورتانيا والصحراء) أستمروا بن ماء العينين في الثورة. وعندما علم أن الفرنسيين شلوا حركة السلطان بإقامته الإجبارية أعلن (الهبة بن ماء العينين) نفسه سلطاناً على المغرب في مدينة (تنزيت) وبايعه على السلطنة بلاد السوس. وتقدمت قوات ابن ماء العينين لاحتلال مراكش لكنه توقف بعد أن استعان الجنرال ليوتي ببعض العناصر المغربية المتعاونة مع الفرنسيين، وفي (آب 1912م)، أجبر الفرنسيون السلطان عبد الحفيظ على التنازل عن العرش و غادر المغرب، ونصبوا أخاه

الأصغر مولاي يوسف سلطاناً رغم عدم مبايعة علماء فأس له حسب التقاليد.

لقد دخل ابن ماء العينين مراكش، ولكنه لم يتمكن من الصمود أمام القوات الفرنسية المتزايدة و المتعاونين معها من المغاربة بقيادة (الجلاوي) الذي لعب دوراً غير مشرف في أعانه الفرنسيين على الثوار فأحتل الفرنسيون مراكش، ثم بعد ذلك ميناء أغادير الذي كان الثوار يتمنون منه. ومع ذلك استمرت المقاومة في الجنوب رغم قيام الحرب العالمية الأولى عام (1914م)، فقد قاتلت قوات ابن ماء العينين الفرنسيين في الساقية الحمراء.... من جانب آخر استمرت ثورة الأطلسي في الشمال.

وكان الأطلس الأوسط في الشمال قد ثار مع الجنوب ضد معاهدة الحماية الفرنسية. وقد تميزت المقاومة في الأطلس بعنفها و قوتها وضخامتها بسبب كونها منطقة جبلية و عره. فقد أتحدت القبائل ضد القوات الفرنسية و دارت معارك عنيفة في منطقته (تازة) مع القبائل التي ترأسها قبائل التسول و غياث، وفي مناطق و عره وفي الكهوف و صمدت المقاومة المغربية إلى أن استعمل الفرنسيون الطيران لأول مرة في ذلك معاقل الثوار في قمم الجبال وكان ذلك في مايس عام (

1914م) فاستولوا على وادي عنان ليربطوا شرقي المغرب
بغربه بطريق أنشاؤه ليتمكنوا من السيطرة على المنطقة.
خاض الفرنسيون معارك ضارية ضد المقاومة المغربية
العنيفة في مناطق الأطلس الأوسط الأخرى، و منها معاركهم
مع قبائل (زيان). وقد تكبدوا خسائر كبيرة في معاركهم و
حققت المقاومة انتصارات مهمة ضدهم، وقد استمرت المعارك
منذ عام (1913م) و خلال الحرب العالمية الأولى، ولم يتمكن
الفرنسيون من السيطرة على المناطق المهمة في الأطلس
الأوسط إلا بعد عام (1923م) حينما سيطروا على وادي أم
الربيع و على طريق فاس - خنيفرة - مراكش، أي المدن و
العواصم و الموانئ و السهول. وبقيت الجبال بقممها و
المناطق الصحراوية تقاوم الاحتلال.

المقاومة في جبال الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي:

تقع منطقة جبال الريف في شمال غربي المغرب، حيث
تتحد الجبال انحداراً شديداً باتجاه البحر المتوسط حتى
تلامسه، أما من جهة الغرب فتتحد انحداراً محدوداً إلى جنوبي
طنجة باتجاه المحيط الأطلسي. ويمتد القسم الشمالي من
منطقة جبال الريف من مدينة مليلة على مدينة سبتة، بينما يمتد
الجزء الغربي من مدينة طنجة إلى مدينة العرائش. وقد

أصبحت هذه المنطقة تحت الاحتلال الأسباني وفقاً للاتفاقات الثانية التي عقدها المستعمرون الأوروبيون فيما بينهم منذ عام (1902م) وحتى عام (1904م) والتي تدعمت بمعاهدة الحماية عام (1913م) ليصبح 21/1 من أرض المغرب تحت السيطرة الأسبانية.

خاضت منطقة جبال الريف مقاومة عنيفة ضد الأسبان منذ (1909م) بقيادة (محمد أمزيان) و ذلك قبل ظهور محمد عبد الكريم الخطابي، و خلال سنتين تكبدت قبائل جبال الريف الأسبان حوالي عشرة آلاف قتيل من بينهم ضباط كبار. ثم استؤنفت المعارك سنة (1913م) عندما وقفت المقاومة بوجه القوات الأسبانية التي أرادت احتلال مدينة شفشاون فكبدتهم خسائر فادحة و طاردهم إلى مدينة تطوان حيث تمكنت المقاومة من محاصرة القوات الاسبانية فيها. ولم تتوقف المقاومة إلا بعد أن تم تعيين أحد حلفاء الأسبان المغاربة المعروف باسم (الريسولي) حاكماً على المنطقة.

بدأت المقاومة المسلحة من جديد بقيادة محمد عبد الكريم الخطابي، الذي كان والده قد هياه للقيادة بأن أرسله على جامعة فاس لدراسة العلوم العربية والدينية، ثم عمل قاضياً للقضاة في مدينة مليلة وعمل في تحرير جريدة (

تلغراف الريف). وعندما وقع الخلاف بين والده و السلطات
الأسبانية بسبب رفضه الحماية الأسبانية على منطقة جبال
الريف، أعتقل الأسبان القاضي (محمد) وما أن أطلق سراحه
بعد حوالي سنة حتى التحق بوالده الذي كان يستعد للمقاومة
فحشد رجال القبائل حوله وبدأ مقاومته في شهر آب عام (1920م)
لكن المنية عاجلته فاستلم القيادة ولده محمد عبد
الكريم الخطابي وبدأت المقاومة ضد الأسبان و التي تتوجت
بنصر كبير في معركة (أنوال) قرب مدينة مليلة حيث قضى
الخطابي على الجيش الأسباني بأكمله مما سبب انقلاباً في
أسبانيا و أستمر يقاوم إلى أن تم أجلاء الأسبان من منطقة
الريف عام (1924م) وطاردهم حتى تطوان وتقدم إلى
المنطقة الواقعة تحت الحماية الفرنسية.

لقد رفض الخطابي العروض الأسبانية بإعطاء منطقة
الريف استقلالاً ذاتياً مع بقاء الحماية، ولكن الخطابي رفض
واستمر في المقاومة. وما أن حل عام (1925م) حتى أصبح
الأمير الخطابي رئيساً لحكومة جبال الريف وما حولها وبدأت
الحكومة الأسبانية تفاوضه، لكنها كانت تريد كسب الوقت لتوحيد
جهودها مع القوات الفرنسية و استغلال الانقسامات التي
وقعت بين القبائل. وقد تم الاتفاق للقيام بعمل سياسي

وعسكري مشترك ضد المقاومة التي يقودها الخطابي في جبال الريف، واستمرت المقاومة إلى أن تمكنت القوات الفرنسية و الأسبانية من التغلب عليها و أستسلم الخطابي لهم في (26 ماي 1926م) حيث نفي إلى إحدى جزر المحيط الهندي، وبقي في منفاه إلى عام (1947م) حين التجأ إلى مصر حتى وافته المنية عام (1963م).

أستمر العمل السياسي في المغرب من اجل الاستقلال. وتشكل عام (1943م) حزب الاستقلال لتصبح القوة التي واجهت الاستعمار الفرنسي بصلافة. وقد وجد الحزب و الحركة الوطنية دعماً كبيراً من السلطان (محمد الخامس) أبن السلطان يوسف الذي عزلته السلطات الفرنسية ونفته خارج المغرب عام (1953م) لكن الحركة الوطنية أجبرت الفرنسيين على إعادة (محمد الخامس) وإعلان استقلال المغرب عام (1956م) بإنهاء الحماية الفرنسية ومن ثم الأسبانية.

٤٦

النهضة العربية

احتلت دول أوروبا الجزائر وتونس ومصر وليبيا والمغرب الأقصى وأخرجتها من سيطرة الدولة العثمانية قبل قيام الحرب العالمية الأولى، وبقي العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية تحت السيطرة العثمانية المباشرة لحين سقوط الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى واحتلال البريطانيين والفرنسيون لها. إن اقتصار حدود الدولة العثمانية على العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية وتركيا قد جعل العرب يشعرون أنهم قد أصبحوا الأكثرية في الدولة العثمانية وهم يواجهون مساوئ الحكم التركي وتدهور اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، وشيوع مفاهيم وأفكار دخلت إلى الدين الإسلامي وهي لا تمت له بصلة مما ساعد على التخلف والتدهور، يضاف إلى هذا التدخل الأوروبي في الدولة العثمانية وضعفها، وإطلاع المفكرين العرب والمصلحين على مبادئ الثورة الفرنسية وظهور مبدأ الأمة الواحدة الذي يتقاطع مع مفهوم الإمبراطورية التي تضم عدة أمم وقوميات، وتطور أوروبا صناعياً مع قيام الثورة الصناعية. كذلك كان لتجربة محمد علي باشا في مصر وثورة المهدي في السودان والحركة الوهابية في الجزيرة العربية والحركة السنوسية في ليبيا أثرها في تغيير الموقف العربي من الحكام الأتراك الذين أصبحوا ضعفاء أمام أوروبا.

كل هذه العوامل قد أدت إلى تحرك العرب وظهور دعوات مفكرهم إلى العناية باللغة العربية وتخليص الإسلام من الشوائب التي علقت به، ثم تطورت الدعوات إلى المطالبة بحقوق العرب القومية وهو ما عرف في التاريخ بالنهضة العربية أو اليقضة العربية. وعندما انتهجت السلطة العثمانية في مطلع القرن العشرين سياسة التريك العنصري للعرب و اضطهدتهم اثر تسلم جميعة الاتحاد والترقي التركية للسلطة في الدولة العثمانية عام 1908، طالب العرب في المشرق العربي بالاستقلال و اضطروا إلى الثورة على الأتراك العثمانيين عام 1916، ولكن غدر الإنكليز للعرب الذين تحالفوا معهم قاد إلى احتلال العراق و بلاد الشام و الجزيرة العربية من قبل الإنكليز و الفرنسيين بدلا من حصولهم على دولة عربية موحدة ومستقلة. وكان ذلك خلال الحرب العالمية الأولى ليصبح الوطن العربي بأجمعه تحت الاحتلال الأوربي .

1- الحركة الفكرية وأحياء التراث العربي:

بدأت النهضة العربية مع بؤادر حركة إحياء اللغة العربية وآدابها من خلال المفكرين العرب في بلاد الشام و العراق ومصر والجزيرة العربية. ولما كانت بلاد الشام قد شهدت تطوراً في الطباعة والعناية بالمطبوعات خصوصاً في لبنان فقد أصدر عدد من الأدباء والمفكرين كتباً مهمة، منهم ناصيف اليازجي الذي سعى مع زملاء له من أجل أحياء التراث العربي. وقام بطرس البستاني بوضع

قاموس عربي ودائرة معارف عربية وأصدر صحيفة في سوريا أطلق عليها اسم (نغير سوريا) دعت إلى الوحدة العربية. ظهرت بواكير الشعر العربي القومي في الشام والعراق والمهجر بشكل خاص وبقيّة الوطن العربي بشكل عام ، ومن الشعراء الأوائل في هذا الاتجاه الشيخ الشاعر الحمصي المتوفى سنة 1841 م أمين بن خالد الجندي الذي عاصر وصاحب حملة محمد علي باشا إلى بلاد الشام وسجن بسبب مواقفه القومية المعادية للأتراك وكتب في سجنه قصيدة قال فيها:

سلبوا البلاد من العباد فلا ترى في حكمهم ذا نعمة متمولا

من يخبر الأتراك ان جيوشهم هزمت وان حسينهم ولى إلى

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالدعوة لنهوض العرب من جديد و أحياء تراثهم المشرق الشاعر إبراهيم اليازجي اللغوي المحقق الذي نظم قصائده منذ عام 1868م عندما كان في العشرين من عمره وغدا عام 1875م عضوا في الجمعية الوطنية العلمية والتي يعتبر تأسيسها أول ظاهرة من ظواهر الوعي القومي العربي ،وهو صاحب القصيدة المشهورة ومطلعها:

نهوا واستفيقوا أيها قد طمى الخطب حتى غاصت

ـ ١١

ـ ١١

فيم التعلل بالآمال وأتم بين راحت القنا سلب
أقداركم في عيون الترك وحقكم بين أيدي الترك
الله اكبر ما هذا شكاكم المهد واشتاقتم
فشمروا وانهضوا للأمر من دهركم فرصة ضنت بها
فيا لقومي، وما قومي ولن يضيع فيها ذلك النسب

ويعتبر اليازجي رائدا من رواد الشعر القومي المشيع بروح الثورة على الاستبداد التركي ولذلك كانت النشرات السرية التي تلصق على جدران بيروت ودمشق عام 1880م تختتم بمقاطع من هذه القصائد.

وفي العراق تبوأ الشعراء العراقيون مكانة مرموقة في الشعر القومي العربي الحديث وفي مقدمتهم عبد المحسن الكاظمي ومحمد رضا الشيبلي ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ومحمد بهجت الاثري وغيرهم . وقد التقت قصائدهم الثائرة مع صيحات الأحرار في بلاد الشام ومصر ضد الاستبداد التركي الحميدي .

ومما قاله الشاعر جميل صدقي الزهاوي (1863-1936) في قصيدته (ختام فعل):

وما هي إلا دولة مستبدة تسوس بما يقضي
 فتعسا لقوم فوضوا أمر إلى ملك عن فعله ليس
 تمهل قليلا لا تغط امة إذا تحرك فيها الغيظ لا
 وأيديك ان طالت فلا تغتر بها فإن يد الأيام منهم
 وكان مصير الزهاوي السجن بعد هذه القصيدة، أما
 معروف الرصافي (1875-1945م) فقد جاء في قصيدته (تنبيه
 النيام) :

أما آن ان يغشى البلاد ويذهب عن هذي النيام
 سعودها هجودها
 اما أسد يحمي البلاد وقد عاث فيها بالمظالم
 غضنفر سيدها
 عجت لقوم يخضعون يسوسهم بالموبقات
 لدولة عميدها
 وأعجب من ذا أنهم وأموالها منهم ومنهم
 يرهبونها جنودها
 وكتب محمد رضا الشيبلي (1889-1965) قصيدة يحث امة العرب
 على النهوض قال فيها:
 قلب يحز به الألم عبس الزمان أو ابتسم

يا أمة من جهلها تأبى مجارة الأمم

ذلت حديثا أمة أبدا تفاخر بالقدم

وأحال منها رمة طول التباهي بالرمم

وقال الشيبني مفاخرا بالعرب:

ومن كان قحطان أباه فانه له الصدر دون العلمين أو

وان بني قحطان إذ جد القبر

جدهم لأعظم من ان يستقيم بها حر

وفي لبنان كتب الشاعر رشيد سليم الخوري القروي قائلا:

عش للعروبة هاتفا بحياتها ودوامها

انظر إلى آثارها تتبثك عن أيامها

هذا التراث يمت معظمه إلى إسلامها

وفي مصر التي كانت تحت الاحتلال البريطاني تناغم شعراؤها

مع شعراء العراق وبلاد الشام فكتب حافظ ابراهيم قصيدة مطلعها:

أم اللغات غداة الفخر امهما وعن سألت عن الآباء

فأله...

ومن المفكرين الذين كان لهم دورهم في النهضة العربية (

عبد الرحمن الكواكبي) الذي دعا للعودة لقرآن الكريم والإيمان بان

العرب هم مادة الإسلام وأساسه، وإلى ضرورة مساواتهم بالأتراك،

وهاجم الاستبداد التركي في كتابه (طبائع الاستبداد)، كما أصدر

كتاب (أم القرى) دعا فيه إلى قيام هيئة أمم إسلامية موحدة تجتمع في مكة المكرمة في الجزيرة العربية. ومن المصلحين الآخرين الذين كان لهم تأثيرهم في النهضة العربية (جمال الدين الأفغاني) الذي دعت حركته إلى تخليص الإسلام من الشوائب التي علقت به و إصلاح الحالة الدينية و الاجتماعية و الوقوف بوجه النفوذ الأوربي. ومع أن الأفغاني في بداية كتاباته لم يركز على القضية القومية، إلا أنه عاد وتناول موضوع اللغة واللسان و أهميتها في رابطة المسلمين، وأكد على الصلة بين العروبة والإسلام. لأن اللسان العربي هو لسان الدين، وقد أنطلق من هذا المبدأ ليدعو إلى تعريب الدولة العثمانية لأنها لو تعربت زال النفور والانقسام بين التركي و العربي ((وصاروا أمة عربية بكل ما في اللسان من معنى، وما في الدين الإسلامي من عدل لما كان من دول الأرض أغنى منهم مملكة واعز جانباً وامنع حوزة)).

ان هذه النهضة الفكرية قد قادت إلى تأسيس جمعيات علمية وأدبية، فقد أنشأ ناصيف اليازجي و بطرس البستاني عام (1847م) (جمعية الآداب والعلوم) التي اهتمت بالبحوث الأدبية والعلمية و الاجتماعية والسياسية.

وفي عام (1856م) أنشأ اليازجي و البستاني ومعهما عدد من المثقفين المسلمين جمعية عربية باسم (الجمعية العلمية السورية) ضمت في البداية (150) عضواً من العرب و مختلف الطوائف الدينية. ومن أعضائها إبراهيم اليازجي و محمد ارسلان. وكان هدف الجمعية

الاعتزاز بالتراث العربي الإسلامي و الوحدة الوطنية، وتمثل هذه الجمعية الادبيه بواكير الحركات السياسية التي دعت إلى الاستقلال و التخلص من الاستبداد التركي العثماني.

لم تقتصر النهضة العربية على بلاد الشام والعراق لوحدهما بل سادت كل أرجاء الوطن العربي سواء في العراق أو الجزيرة العربية أو مصر أو المغرب العربي وقد ظهر العديد من المفكرين الداعين إلى نهوض الأمة العربية و إحياء التراث العربي الإسلامي للتخلص من السيطرة الأوروبية في مصر والمغرب العربي فكانت الأفكار والمبادئ القومية العربية الإسلامية التي طرحها المفكرون العرب في المشرق العربي هي نفسها التي طرحها المفكرون المغاربة في المغرب العربي وفي الفترة نفسها. فالنهضة العربية كانت شاملة في كل الوطن العربي لكنها ركزت على العروبة في المشرق لاصطدامها مع الأتراك العثمانيين المسلمين وركزت على الإسلام في المغرب لاصطدامها مع الأوروبيين المسيحيين إلا أن المشرق والمغرب لم يفرقا بين العروبة والإسلام فالهدف كان واحداً. كذلك فإن النهضة في المشرق العربي كانت منظمة من خلال جمعيات وأحزاب مارست العمل السياسي السلمي إلى قيام الثورة العربية عام (1916م) بينما كانت النهضة في المغرب العربي ذات طابع مسلح و مقاومة عنيفة ضد المحتلين الأوروبيين.

وإذا ما تناولنا النهضة الفكرية في المغرب العربي فإننا نجد ان المبادئ والاتجاهات كانت واحدة مثلما هي في المشرق العربي

حيث الترابط المصيري بين العروبة والإسلام ،فلا عروبة بدون إسلام ولا إسلام بدون عروبة فالعروبة جسد روحه الإسلام ،وهي الأرض الصلبة لمبادئ الإسلام وحضارته ولذلك نجد ان عبد القادر الجزائري قائد ثورة الجزائر ضد الفرنسيين ينشد قائلا:

ورثنا سؤددا للعرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال

فبالمجد القديم علت قريش ومنا فوق ذا طابت فعال

ومن الجزائريين العروبيين حمدان خوجة (1814-1871) الذي شكل مع رفاقه احمد بو ضربة وابن مرابط وحمدان أغا وإبراهيم بن مصطفى حزبا قوميا باسم (اللجنة المغربية) دعا إلى الاعتراف بالقومية العربية في الجزائر وكتب يقول (ان الأمة العربية قامت لترد العدوان الذي يهدد لغتها ودينها وعاداتها وتقاليدها ووجودها) وفي ليبيا تأسست جمعية سرية بعد احتلال البريطانيين لمصر عام 1882 م دعت إلى مقاومة الإطماع الأوربية وضرورة تعليم اللغة العربية ،ومن ابرز أعضائها احمد النائب وحمزة الدين وإبراهيم سراج الدين الذي اصدر جريدة (الحجان).

وفي تونس أكد محمود قبادو(1814-1871) على ضرورة التمسك بالثقافة العربية الإسلامية ،وقال ان حضارة العرب هي أساس حضارة أوربا ولا رقي للأمة العربية إلا باستعادة نهضتها الحضارية. وأسس البشير صفر الجمعية الخلدونية عام 1896م.

وكان عبد العزيز الثعالبي (1876 - 1944) الذي درس في جامع الزيتونة ومعهد الخلدونية واصدر جريدة (سيل الرشاد) و(التونسي) وهذه الاخيرة حملت لواء يقضه العرب وتحريرهم ، معجبا بأفكار عبد الرحمن الكواكبي العروية الإسلامية وأسس حركة تونس الفتاة عام 1908م وأكد في مؤتمر عقد في باريس في العام نفسه ان تونس جزء من الوطن العربي لأنها عربية الانتماء وطالب بتعريب التعليم وإنشاء مدارس عربية ابتدائية على غرار مدارس سوريا ومصر . وكان في رحلاته إلى البلاد العربية يبشر بهذا الفكر حتى انه ألقى محاضرة في أعالي جبال اليمن الأوسط في مدينة إب دعا فيها الحاضرين إلى العمل على إحياء الروح العربية الإسلامية ببث المبادئ القومية دون التقاطع مع الدين . من جانب آخر كانت لعبد الرحمن الكواكبي علاقة قوية بالشيخ محمد السنوسي وبو حاجب في تونس.

التقى عبد العزيز الثعالبي الأمير فيصل بن الحسين وسعد زغلول في مؤتمر الصلح بباريس عندما حضر للدفاع عن بلاده ، وقام بالتنسيق معهما حول الموقف من مطالب العرب التحررية ، وقيام دولتهم الموحدة . وعندما أصبح فيصل ملكا على العراق أمر بتعيينه مدرسا للفلسفة الإسلامية في جامعة آل البيت ببغداد عام 1926 ، ثم أصبح ملحقا ثقافيا للعراق في مصر عام 1930

لقد انعكس تلاحم الوعي القومي العروبي الاسلامي في
مشرق الوطن العربي ومغربه من خلال القصائد الشعرية فقد
انشد الشاعر العراقي معروف الرصافي قائلا:

أتونس إنّ في بغداد قوماً ترف قلوبهم لك بالوداد

ويجمعهم وإياك انتساب إلى من خص منطقهم بضاد

وما ضر البعاد إذا تدانت أواصر من لسان واعتقاد

وكان الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي (1865_1935)

يؤكد على ان العرب امة واحدة فينشد قائلا:

أحن إذا قيل العراق وانحني واشهق إن قيل الشام وأزفر

واطرق إن قيل الحجاز على وأعجب إذ ما قيل مصر

جميع بلاد العرب في القدر إذا وزنوا البلدان يوما وقدروا

ان التوجه العروبي الإسلامي كان موجودا في المغرب منذ
أيام السعديين في القرن السادس عشر بعد ان احتضن السعديون
الكثير من المفكرين والأدباء المشاركة الذين هاجروا إلى المغرب
الأقصى بعد ان سيطر السلطان العثماني سليم الاول على مصر
وبلاد الشام والحجاز واليمن وأهمل العثمانيون الأتراك الثقافة
العربية. ولذلك كان المشاركة يناشدون السلطان المنصور احمد

السعدي بقصائد لتخليص المشرق من الأتراك ، ويقول المؤرخ
المغربي ابن القاضي ان المشاركة كانوا ينتظرون ساعة الخلاص
من الحكم التركي على يد المنصور السعدي . ومن هذه القصائد
قصيدة عبد العزيز القشتالي التي جاء فيها:

فأدرك مصر والعراق وبمم حرم الحي خير آلا

إن شرق البلاد يرجوك شوقا مثل ما يرتجى طلوع الهلال

وقال الشاعر الحسن بن احمد المسفيوي :

فما دون درب الشام غير وما دون بغداد العراق سوى
فما دون درب الشام غير وما دون بغداد العراق سوى

وهذي الشام وهذي العراق سوف تمسي لكم وهي دار
وهذي الشام وهذي العراق سوف تمسي لكم وهي دار

ان هذا الاندماج الفكري الواحد قد دفع المؤرخين المغاربة إلى
تشبيه مدينه فاس بدمشق والرباط بالإسكندرية ومراكش ببغداد ،
واقتبس المغاربة بعض أسماء المدن العربية مثل البصرة في
العراق

من جانب آخر انعكست الحركة الفكرية الأدبية و التراثية في
الصحف والمجلات العلمية التي ساعدت على نشر أفكار و مبادئ
هذه الحركة مثل جريدة (حديقة الأخبار) التي صدرت في بيروت
عام (1857م). وأصدر إبراهيم اليازجي (مجلتي البيان) و (العيناء)
عام (1883م) من سوريا. كما أصدر أحمد فارس الشدياق في
اسطنبول جريدة (الجوائب) التي عنيت باللغة العربية و السياسة

الدولية. كما صدرت صحف في العديد من مناطق الوطن العربي الأخرى كان لها أثرها الكبير في نشر الثقافة العربية و أغناء الفكر العربي بالمقالات و البحوث بمختلف المجالات.

أدرك العرب أن التعليم و المدارس لها أهمية في نهضتهم العربية، حيث أن الدولة العثمانية لم تكن تهتم بهذا الموضوع إلا في حدود ضيقة و اقتصر التعليم على مراكز الولايات. فأهتم العرب بتعليم أبنائهم في الكتاتيب لتعلم القراءة و الكتابة و تحفيظ القرآن الكريم. كذلك انتشرت حلقات تدريس علوم اللغة و الدين في المساجد. ومن أشهرها جامع الأزهر في القاهرة و الجامع الأموي في دمشق و جامع القرويين في فأس و جامع الزيتونة في تونس و جوامع العراق في بغداد في أبي حنيفة النعمان و جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني و جوامع الموصل و البصرة و الأماكن المقدسة في النجف و كربلاء. فكان لهذه المساجد الدينية أثرها في تخرج رجال العلم و الأدب و الشعر و كان لهم دورهم في النهضة العربية اجتماعياً و سياسياً

2- الجمعيات و الأحزاب السياسية العربية:

كان لتصاعد سياسة القمع و الشدة في أواخر أيام الدولة العثمانية تأثيره في ظهور جمعيات سرية مثل (جمعية بيروت السرية) التي تأسست عام 1875م و دعت إلى منح استقلال سوريا و لبنان موحدة و الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد و إلغاء الرقابة و القيود المفروضة على حرية التعبير و نشر الثقافة. و تشكلت جمعيات سرية أخرى على غرار هذه الجمعية في العراق

وبلاد الشام. ومن الجمعيات الأخرى (رابطة الوطن العربي) التي أسسها نجيب عازوري في باريس مطلع القرن العشرين عام 1904م دعا من خلالها إلى انفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية لتصبح دولة مستقلة موحدة تتبذ الطائفية والعرقية. وأصدر عازوري مجلة شهرية في باريس اسمها (الاستقلال العربي) هدفها التعريف بالقضية العربية أمام الغرب الأوربي لاعتقاده بان الغرب قادر على مساعدة العرب في سبيل حصولهم على استقلالهم.

وفي دمشق تم تأسيس (جمعية النهضة العربية) عام (1906م)، ثم تأسست في اسطنبول (جمعية الاتحاد العربي العثماني) عام (1908م) وكانت لها فروع في الولايات العربية، إلا أن السياسة العنصرية التي اتبعتها جمعية الاتحاد و الترقى التركية و التي استلمت السلطة في انقلاب (1908م) أدت إلى إلغاء هذه الجمعية وتشكيل (جمعية المتمدن العربي).

ومن الجمعيات السياسية الأخرى التي تشكلت في اسطنبول من قبل الضباط العرب هي الجمعية القحطانية عام (1909م) و دعت إلى تكوين دولة اتحادية من العرب والأتراك داخل إطار الدولة لعثمانية لضمان حقوق العرب القومية. وكان من ابرز مؤسسيها عزيز علي المصري وسليم الجزائري.

ويجب أن لا ننسى أن إعادة العمل بدستور عام 1876م و إجراء الانتخابات في الدولة العثمانية قد أدى إلى فوز نواب عرب عن الولايات العربية أصبحوا ممثلين لولاياتهم في (مجلس المبعوثان)

العثماني ومقره اسطنبول. وقد قام هؤلاء النواب بتحركات سياسية مهمة للانضمام على هذه الجمعيات.

أن من أبرز الجمعيات السياسية هي تلك الجمعية التي أسسها الطلاب العرب في باريس عام 1911م وأطلقوا عليها أسم (الجمعية العربية الفتاة) والتي دعت صراحة على الاستقلال العربي عن الدولة العثمانية. ثم انتقل مركزها إلى بيروت عام (1913م) ومن ثم إلى دمشق. ولعبت دوراً مهماً في تثبيت المطالب العربية من خلال ميثاق دمشق.

وفي عام (1912م) تأسس في مصر (حزب اللامركزية) في القاهرة و تكونت له فروع في سوريا و العراق. وقد دعا هذا الحزب إلى تحقيق الحكم الذاتي داخل إطار الدولة العثمانية.

وفي عام (1913م) أسس الضابط عزيز علي المصري (جمعية العهد) في اسطنبول و أنشأ لها بعد ذلك فرعين في العراق (الموصل وبغداد) وفي دمشق وكان لهذه الجمعية دورها أيضا في التهيئة للثورة العربية عام 1916م وكان منتسبيها من الضباط العرب، كذلك تأسست في بيروت الجمعية الإصلاحية عام 1913م وفي البصرة في العراق تأسست أيضا الجمعية الصلاحية برئاسة طالب النقيب و أصبح لها فروع في بغداد و الموصل.

اتخذت هذه الحركة السياسية من الصحافة وسيلة للتعبير عن أفكارها ومبادئها خصوصاً وإن الصحف قد انتشرت بشكل كبير في الولايات العربية بعد الانقلاب الدستوري العثماني عام (1908م).

3- المؤتمر العربي الأول عام 1913م.

تصاعد الشعور العربي القومي مع تصاعد سياسة التتريك
العنصري التي اتبعتها جمعية الاتحاد والترقي التي استولت على
السلطة في اسطنبول بانقلاب عسكري عام 1908م ومن ثم إعلانها
سياسة التتريك العنصري جهارا بعد حوالي عامين من استلامها
للسلطة ، وقد انعكس الموقف العربي من هذه السياسة العنصرية
لطمس الهوية العربية وإلغاء لغتها في الشعر العربي فقد كتب
الشيخ فؤاد الخطيب منشدا:

لغة بفضل جمالها وجلالها شهدت شواهد محكم القرآن

عاديتم ما تجهلون ولم يعب قدر الورود كراهة الجعلان

والله يأبى ان تذلل فبشروا من رام ذلتها بكل هوان

وقال الخطيب في قصيدة أخرى:

جاروا على لغة القرآن له القلوب وضج البيت

فالقديس باكية والشام شاكية وفي الحجاز يكاد الركن

ومن المهجر كتب أبو الفضل الوليد منشدا:

ما بيننا نسب فيه لنا شرف وهذه اللغة الزهراء برهان

عيسى واحمد في والناطقون بحرف الضاد

وهاجم معروف الرصافي الاتحاديين بعد ان كان قد انظم إلى
جمعيتهم فقال:

كأنا لهم شاء فهم يخلبوتنا وكم فحضوا أوطاننا فحضة

سنطلب هذا الحق بالسيف وشيب وشبان على ضمير
هالة: اة.

وقال الرصافي في قصيدة أخرى:

العرب اكبر امة مشهورة بفتحها وعلومها وبيانها

فالمجد مأثور بكل صراحة عن قيسها أبدا وعن

وهم الالى خضعت لهم أمم من تركها طرا إلى اسبانها
المرى.

والروم قد نزلت لهم عن والفرس عما شيد من إيوانها
هالكما

وكتب شاعر مصر حافظ ابراهيم قائلا:

إذا ألمت بوادي النيل نازلة باتت لها راسيات الشام

وإن دعا في ثرى الاهرام ذو أجابه في ذرى لبنان متحجب
أله

إن هذه القناعة بأن الأتراك الاتحاديين يريدون إلغاء اللغة
العربية وطمس هوية العرب القومية قد دفع الجمعيات و الأحزاب
العربية للاتفاق على ضرورة المطالبة الجماعية بضمان حقوق
العرب القومية فأنعقد في باريس في القاعة الكبرى للجمعية

الجغرافية بشارع سان جرمان المؤتمر العربي الأول خلال الفترة 18-23 حزيران 1913م. وقد نظم هذا المؤتمر ودعا له وعقده بعض من رجال جمعية (العربية الفتاة) وحزب اللامركزية. وأشترك فيه أيضا بعض أعضاء الجالية العربية في الولايات المتحدة أضافة إلى ممثلين عن مصر وسوريا ولبنان و العراق. وكان هدف المؤتمر الوصول إلى قرارات ومطالب تطرح أمام السلطة التركية العثمانية. وهذا يعني أن المؤتمر لم يكن يفكر بانفصال العرب عن الدولة العثمانية وإنما الحصول على حقوقهم القومية داخل إطار الدولة العثمانية، بالرغم من أن جمعية العربية الفتاة كانت تنادي بالاستقلال التام. وبمعنى آخر فإن هدف المؤتمر هو تنسيق العمل العربي المشترك وإصلاح الأوضاع العربية على أساس اللامركزية وإيقاف سياسة التتريك العنصري ضد العرب. وقد جاء في قرارات المؤتمر ما يلي:

منح العرب حقوقهم السياسية واشتراكهم في الإدارة المركزية.

• منح الولايات العربية الحكم الذاتي ضمن إطار الإمبراطورية العثمانية.

• جعل اللغة العربية لغة رسمية مع اللغة التركية. على أن تصبح اللغة العربية لغة التدريس الحكومية في الولايات العربية.

• أن تكون الخدمة العسكرية لسكان الولايات العربية في ولاياتهم، إلا في الحالات الاستثنائية.

خشيت حكومة الاتحاد والترقي من هذا الموقف العربي فأرسلت ممثلاً عنها ووعدت بتحقيق المطالب العربية، ولكن حركة التريك العنصري في الدولة العثمانية وقفت عائقاً أمام تحقيق مطالب العرب وحقوقهم القومية، خصوصاً عندما أصبح جمال باشا السفاح والياً على بلاد الشام وقام بتشتيت الكتائب العربية ونقلها خارج الولايات العربية، وتم القبض على معظم القيادات العربية السياسية وأعدم عدد من القادة العرب في سوريا و لبنان خلال عامي (1915-1916م). وفي الحجاز توترت العلاقة بين شريف مكة الحسين بن علي و السلطات العثمانية خصوصاً وانه لم يحرك ساكناً لمؤازرة الدولة العثمانية بإرسال قوات عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى عام (1914م). فقد أعلن السلطان العثماني (الجهاد المقدس) ولكن الشريف حسين لم يعلن ذلك و ابلغ السلطان وقوفه إلى جانبه سراً لأنه يخشى انتقام البريطانيين الرابضين على سواحله في الحجاز وفي عدن.

4- دور الحركة الشعرية العربية في التهيئة للثورة

لم يجد العرب بعد أن استمر الأتراك في سياستهم المعادية لهويتهم القومية سوى التخطيط للثورة المسلحة على الأتراك العثمانيين الذين دخلوا الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وحلفائها.وقد ساهمت الحركة الفكرية العربية في تهيئة الناس للثورة .وعندما اعدم القادة العرب من قبل جمال باشا

السفاح نظم الشعراء العرب القصائد في رثائهم وفي التحريض
على الثورة، وتغنوا بما رده الإبطال على أعواد المشانق :

((نحن أبناء الألى شادوا مجدا وعلا))

((نسل قحطان الأبى جد كل العرب))

فقد كتب لابو الفضل الوليد من المهجر منشدا:

مشيتم باسليين إلى المنايا وكان لكم على النطع

ليحيى العرب قد صحتم فصيحتكم لخطتكم دوام

وكتب الشاعر العراقي محمد رضا الشيبى عن الشهداء فقال:

قالوا تكون فداءهم أوطانهم فتجاوبوا كلا نكون فداءها

ان الضمائر والقلوب إذا دجت دخل الأسى أعماقها

وانشد الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي فقال عن الشهداء:

وهل (للعربى) الجريء إذا عد أقطاب اليراع عدل

و(عبد الكريم) الندب ما ضاع بيت يؤسى الشعب وهو

((إذا مات منا سيد قام سيد قؤل بما قال الكرام فعول

وكتب رشيد سليم الخوري فقال:

أكرم بحبل غدا للعرب رابطة وعقدة وحدت للعرب معتقدا

وعندما ظهرت بوادر الثورة العربية المسلحة تداعى الشعراء العرب
يحثون الناس على المشاركة فيها:
فقد انشد الشاعر جورج عساف فقال:

جف المداد فكم انادي امة معصوبة العينين كالعميان

هبوا فقد طالت ليالي والشمس مشرقة على

لولا تخاذلكم لما يتم بلا عز ولا ملك ولا سلطان

وكتب ايليا أبو ماضي فقال:

يا القومي بلغ السيل الزبى واستطال البغي واستشرى

كتب السيف أقرؤا ما كتبنا لا ينال المجد إلا بالجهاد

ودعا الفضل أبو الوليد من المهجر العرب إلى الثورة فقال:

هبوا بني أمي وصيحوا صيحة يصحوا العراق لها وبصحوا

والله لا عدل ولا حرية حتى يجرد بيننا الصمصام

ما حرر الأقوام إلا ثورة فيها تعانقت الظبى والهوام

5- ميثاق دمشق ومراسلات حسين مكماهون:

عندما قررت القيادات العربية في بلاد الشام و العراق القيام بثورة ضد الأتراك العثمانيين اتصلوا بالشريف حسين طالبين منه دعم حركتهم و الموافقة على قيادة الثورة بصفته الدينية، ولأن مكة المكرمة هي قبلة المسلمين.. فلم يجب الشريف حسين على الطلب مباشرة لا سلباً ولا إيجاباً، وقرر إرسال ولده فيصل إلى سوريا للالتقاء بالقيادات العربية.. وكانت الحجة هي إيفاده إلى اسطنبول لإبلاغ الصدر الأعظم بأن والي الحجاز يتآمر عليه ولكن الهدف الحقيقي الإطلاع على خطط القادة العرب، وإبلاغهم أن البريطانيين قد اتصلوا بوالده يبدون استعدادهم لدعمهم ضد الأتراك.

وصل الأمير فيصل بن الحسين دمشق في 26 آذار 1915م ومكث فيها شهراً كاملاً، أقام خلالها عند عائلة البكري التي تنتمي إلى جمعية العربية الفتاة. وأطلع على أسرار الحركة القومية العربية، وعقد اجتماعاً مع قادة الجمعية في بيت عطا بكري الذين شرحوا لفيصل الأسباب التي دعتهم لاتخاذ قرارهم بالقيام بثورة ضد الأتراك. وابلغوه أن قرارهم الذي اتخذوه قبل حوالي شهر هو:-

" نتيجة لاشتراك تركيا في الحرب أصبح مصير الولايات العربية في الدولة العثمانية معرضاً لمخاطر شديدة. ويجب بذل الجهود لضمان حريتها واستقلالها. كما تقرر أنه إذا تحقق أن للدول الأوروبية مطامع في هذه البلاد فان الجمعية ملزمة بأن تعمل إلى جانب تركيا لكي تقاوم التدخل الأجنبي مهما تكن صورته"

وافق الأمير فيصل على قرار جمعية العربية الفتاة وأصبح عضواً فيها بعد أن أدى قسم الانتماء. ثم اجتمع بعد ذلك ببعض أعضاء (جمعية العهد) وهي المنظمة السرية التي تضم ضباطاً عرباً.

سافر فيصل بعد ذلك إلى اسطنبول ليعرض شكوى والده ضد والي العثماني في الحجاز وليمّوه على الأتراك الغاية الأساسية من سفره. ثم عاد فيصل إلى دمشق في 23 آذار فوجد زملاءه في جمعيتي (العربية الفتاة) و (العهد) قد اتفقوا على خطة العمل أثناء غيابه. ووضعوا ميثاقاً يتضمن الشروط التي يطالب بها القادة العرب لكي يتحالفوا مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية. واتفقوا أيضاً على أن يحمل هذا الميثاق إلى مكة الأمير فيصل ويطلب من والده أن يستوضح من الحكومة البريطانية فيما إذا كانت تقبل هذه الشروط كأساس للعمل المشترك عند قيامهم بالثورة ضد الأتراك. وقد نص الاتفاق على مايلي:

((اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية لواقعة ضمن الحدود التالية:

شمالاً - خط مرسين - أطلنه ما يوازي خط العرض 37 شمالاً،
ثم على امتداد خط بيرجيك - اورفه - ماردين - مديات -
جزيرة ابن عمر - العمادية - إلى حدود إيران.
شرقاً - على امتداد حدود إيران إلى الخليج العربي جنوباً.

جنوباً - المحيط الهندي، باستثناء عدن التي يبقى وضعها الحالي كما هو.

غرباً - على امتداد البحر الأحمر ثم البحر المتوسط إلى مرسين.

إلغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للأجانب بمقتضى الامتيازات الأجنبية.

عقد معاهدة دفاعية مع بريطانيا وهذه الدولة العربية المستقلة... وتقديم بريطانيا وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية ((

يقول جورج انطونيوس في كتابه (يقظة العرب) أن هذا الميثاق كان ذو قيمة كبيرة جداً ولا تقتصر قيمته على أهميته ما تضمنه من شروط وحسب، إنما تتمثل أيضا في أن الشريف حسين قد استخدم نصوصه بعد ذلك، في شهر تموز، حينما أستأنف مباحثاته مع بريطانيا عبر المراسلات التي عرفت باسم مراسلات حسين - مكماهون. وبضيف انطونيوس أن وثيقة ميثاق دمشق قد طالبت باستقلال العرب و التحالف مع بريطانيا، إلا أن قيمتها الكبرى تتمثل في توضيحها لموقف العرب تجاه الدول الغربية الكبرى، حيث كان هدفهم الاستقلال التام المحصن ضد أي تدخل أجنبي بما فيه التدخل الأجنبي الذي يعرف باسم (الامتيازات الأجنبية).

عاد الأمير فيصل إلى مكة بوثيقة ميثاق دمشق بعد أن أقسم ستة من القادة العرب الرئيسيين أمامه على الولاء للشريف

حسين كممثل للعرب، وعلى أن تهب الفرق العربية المرابطة في بلاد الشام للثورة إذا ما اتفق البريطانيون مع الشريف حسين على تحقيق الشروط الواردة في الميثاق. وتأكيداً لهذا العهد أعطى الشيخ بدر الدين الحسيني أكبر علماء دمشق خاتمة إلى فيصل ليسلمه لوالده لثقة أهل الشام به.

بعد إطلاع الشريف حسين على ميثاق دمشق وافق عليه واتخذة أساساً لمراسلاته مع ممثل الحكومة البريطانية مكماهون حيث عرض عليه الشروط نفسها الواردة في الميثاق وابلغه أنه بهذه المطالب لا يمثل نفسه وإنما يمثل مطالب العرب. علماً أن السير هنري مكماهون كان يتولى منصب المندوب السامي البريطاني في مصر والسودان.

بدأت المراسلات بين الشريف حسين بن علي و هنري مكماهون في 14 تموز 1915م وهو تاريخ أول رسالة أرسلها الشريف حسين، وأخرها رسالته في 10 آذار 1916م وكان مكماهون يرد على هذه الرسائل الخمس ويتبين فيها إن بريطانيا قطعت على نفسها وعداً صريحاً بتحقيق استقلال المنطقة العربية وفق الحدود الواردة في ميثاق دمشق مع بعض التحفظ والآراء المطاطة القابلة للتفسير فيما يتعلق بالمناطق الساحلية من بلاد الشام وهي المناطق الغربية لولايات (دمشق الشام وحمص وحماة وحلب) بزعم أنها ليست عربية خالصة.

وعلى أية حال فإن هذه الاستثناءات كانت قابلة للتسوية بعد الحرب حسبما ذكرته إحدى رسائل مكماهون. وفي ضوء هذه الوعود القاطعة التي قدمها البريطانيون للشريف حسين قرر إعلان الثورة على الأتراك العثمانيين، إلا أنه لم يكن يعلم أن بريطانيا وبالاتفاق مع فرنسا كانت قد اتفقتا سراً على تقسيم العراق و بلاد الشام بينهما ونقض الوعود البريطانية للعرب.

٦- اتفاقية سايكس بيكو ووعد بالفور:

عندما كانت مراسلات حسين مكماهون تجري بين الطرفين خلال الفترة تموز-1915- آذار-1916م، كان جمال باشا السفاح يعتقل القادة العرب القوميين ويصدر أحكام الإعدام عليهم والتي نفذت أول وجبة منها في بيروت يوم 21 آب 1915م بتهمة العمل على استقلال العرب والاتصال بقوى أجنبية هي بريطانيا. عندما كان كل هذا يجري في الأرض العربية، كانت بريطانيا تتسق سراً مع فرنسا باتجاه آخر يناقض وعودها إلى العرب حينما وقعت مع فرنسا وروسيا المعاهدة السرية المعروفة باتفاقية سايكس بيكو يوم 16 مايس - أيار- 1916م، والتي اتفق فيها الإطراف الثلاث على تقسيم المشرق العربي (العراق و بلاد الشام) بين بريطانيا و فرنسا، و ذلك بأن تحصل فرنسا على القسم الأعظم من بلاد الشام و على قسم صغير من جنوب تركيا، إضافة الى منطقة ولاية الموصل شمال العراق. إما بريطانيا فتحصل على القسم المتبقي من العراق الذي يشمل ولايتي بغداد والبصرة إضافة الى المنطقة

المحصورة من الخليج العربي عبر العراق باتجاه شرقي الأردن، وإن تصبح فلسطين تحت إدارة دوليه، وذلك بسبب التنافس عليها بين فرنسا وبريطانيا. ولما كان الصهاينة اليهود يفضلون بريطانيا فإن فلسطين قد أصبحت تحت السيطرة البريطانية المباشرة. وحددت مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية على خارطة ملونه تبين نفوذ كل دولة منهما .

ثم تمت بعد ذلك تسوية ملابسات اتفاقية سايكس بيكو في مؤتمر سان ريمو الذي عقد عام 1920 وتم بموجبه الاتفاق على ان تصبح الولايات الثلاث الموصل وبغداد والبصرة تحت الانتداب البريطاني مقابل تعويض فرنسا بحصة من نفط الموصل. وأصبحت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، إما فلسطين فأصبحت تحت الانتداب البريطاني على ان تعمل الحكومة البريطانية على تنفيذ وعدها لليهود بإقامة دولة لهم في فلسطين والمعروف باسم وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذي صدر في 2 تشرين الثاني عام 1917 والذي خاء فيه:-

((ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تاسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى)).

لقد تم إصدار هذا الوعد عندما كان العرب يقاتلون جنباً إلى جنب مع البريطانيين في ثورتهم ضد الأتراك العثمانيين من أجل تحقيق استقلالهم وإقامة دولتهم الموحدة التي تضم فلسطين حسب اتفاقهم معهم، وبذلك أصبحت اتفاقية سايكس بيكو وتعديلاتها في مؤتمر سان ريمو ووعد بلفور الأساس الذي سارت عليه بريطانيا بعد الحرب، حيث إنها كانت تخفي ما لا تظهر في تعاملها مع العرب، فكانت وعوداً كاذبة و خدعه سياسية غير أخلاقية قام بها البريطانيون ضد مستقبل العرب وأملهم في قيام دولة عربية موحدة مستقلة في الجزيرة العربية والعراق و بلاد الشام تكون البداية لدولة عربية موحدة تضم الوطن العربي كله.

7- الثورة العربية عام 1916

في أوائل عام 1916 أرسل الشريف حسين ولده الأمير فيصل مع خمسين رجلاً مسلحاً إلى دمشق لإعلان الثورة فيها حال قيامها في الحجاز، بعد أن قرر الشريف حسين القيام بالثورة في ضوء ميثاق دمشق ومراسلاته مع مكماهين . ولكي يموه فيصل الأمر على الأتراك فقد ادعى أن هؤلاء الرجال الخمسين هم طلائع قوات المجاهدين التي يجري إعدادها في الحجاز للتعاون مع الأتراك.

عندما وصل الأمير فيصل إلى دمشق، وجد أن كثيراً من الأمور قد تغيرت فقد تم نقل الفرق العسكرية العربية وحلت محلها فرق مؤلفه من الجنود الأتراك. وكان هذا يعني أن الكثير من أعضاء

جمعية العهد من الضباط العرب قد أصبحوا خارج بلاد الشام, كما نفى مئات من الرجال المدنيين البارزين الى أماكن نائية من الأناضول. وكان ذلك جزءا من حملة إرهاب عامه شنها الوالي التركي جمال السفاح ضد المناضلين العرب بلغت أوجها بشنق عدد منهم في 21 اب 1915 بينما كان عدد آخر يخضع لمحاكمات قاسية في مدينة عالية. أضف الى ذلك ان المجاعة بدأت تظهر في بلاد الشام واستفحلت بشكل خاص في لبنان, فانشغل الناس بها عن أثورته و قضاياها القومية.

حاول الأمير فيصل الحصول على عفو عام من جمال السفاح عن القادة العرب الذين كانوا يحاكمون, إلا ان السفاح رفض ذلك. وفي فجر يوم 6 ايار 1916 تم تنفيذ حكم الإعدام بمجموعه جديدة من القادة العرب, حيث اعدم سبعة منهم في ساحة المرجة بدمشق و أربعة عشر آخرون في ساحة البرج في بيروت.. وفي اليوم نفسه كان الأمير فيصل يتناول إفطاره في مزرعة مضيغيه من آل البكري, فجاءهم رسول و ابلغهم النبأ و قدم اليهم العدد الخاص من جريدة (الشرق) الذي تضمن الخبر المفجع, فأصيب الحاضرون بذعر فادح وقرأوا سورة ألفتاحه, وانتزع الأمير فيصل الكوفية من على رأسه وداسها بعنف و صاح (طاب الموت يا عرب).

حفزت أنباء تنفيذ حكم الإعدام الشريف حسين على العمل فورا للقيام بالثورة و تلقى فيصل أمرا من والده بالعودة منبنا إياه بقرب قيام أثورته, فعاد الى الحجاز. وفي 10 حزيران 1916 أعلن

الشریف حسین قیام أثورہ بإطلاقه رصاصة من قصره على ثكنات
الجيش التركي، ثم أذاع (منشور أثورہ) الذي هاجم فيه جمعية
الاتحاد والترقي ودعا المسلمين الى أثورہ و الجهاد ضد تركيا. وكان
للشعراء العرب دورهم في الدعوة للانضمام إلى الثورة وإثارة
الحماسة بين الثوار فقد كتب الشاعر العراقي عبد المحسن
ألكاظمي وكان مقيما في مصر، قصيدة جاء فيها:

سيروا نذب عن الحمى ونرد عنه المستبدا

نحمي حمى أوطاننا ونصونها غورا ونجدا

إن لم تكن تجدي الحياة بعزها فالموت أجدى

وكتب فؤاد الخطيب الملقب بشاعر الثورة منشدا:

إيه بني العرب الاحرار ان فجرا اطل على الأكوان

من ذلك البيت من تلك البطاح تلك الطريق مشت أجدادكم

إلى الشام إلى ارض العراق أقصى الجزيرة سيروا

وحال قیام أثورہ التحق بها الضباط العرب الذين كانوا

في الجيش العثماني و اخذوا يضعون الخطط العسكرية و ينظمون
قوات أثورہ وكان من بينهم ضباط عراقيون و سوريون وفلسطينيون
ولبنانيون و حجازيون ومصريون.

سيطرت قوات الثورة على الحجاز كاملة عدا المدينة المنورة واستطاعت إحباط حملة تركية ألمانية للسيطرة على عدن والبحر الأحمر ونودي بالشريف حسين ملكاً على (البلاد العربية) إلا أن بريطانيا وفرنسا اعترفت به (ملكاً على الحجاز) خشية من المشاكل التي قد تقع مع الحكام العرب الآخرين .

قسم الشريف حسين قواته إلى أربعة جيوش وعين على كل واحد منها أحد أبنائه الأربعة . وقد تولى الأمير فيصل الجيش المتوجه نحو دمشق ، وهو جيش الشمال الذي تمكن من تحقيق انتصارات عديدة على القوات التركية التي كانت تتسحب أمامه إلى أن دخل دمشق في الأول من تشرين الأول 1918.

وبعده بيومين دخلت القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي دمشق الذي كان قد احتل فلسطين .

كانت التعليمات التي يحملها الجنرال البريطاني اللنبي تطلب منه كبح جماح العرب عند الاستيلاء على دمشق وأن يضع في حسابه اتفاقية سايكس- بيكو السرية وأن يتصرف في ضوئها . ولذلك وعندما التقاه فيصل أخبره اللنبي صراحة أن فرنسا هي الدولة التي ستتولى الحماية على سوريا وأنه سيتولى ، أي الأمير فيصل، حكم بلاد الشام ما عدا فلسطين ولبنان وإشراف فرنسي ، وأن السيادة العربية ستقتصر على سوريا الداخلية فقط ولن يكون له أي علاقة بلبنان أو فلسطين . ورغم اعتراض الأمير فيصل على هذا التقسيم الذي يتنافى مع اتفاقهم مع الإنكليز إلا أن اللنبي أخبره

أن عليه أن يقبل بهذا الواقع إلى أن يتم تسوية القضية بكاملها بعد أن تضع الحرب أوزارها .

لقد كان الضابط البريطاني لورنس يترجم الكلام المتبادل بين فيصل والنبي وأظهر أنه لا يعلم بهذه التعليمات، ولكنه في الحقيقة كان يكذب خوفاً من فقدان ثقة فيصل به الذي رافقه في تقدمه نحو دمشق . والدليل على كذب لورنس هو تقرير سري كتبه لورنس بنفسه في كانون الثاني 1916 بعنوان (سياسة مكة) عندما كان ملازم ثان ملحق بالمخابرات البريطانية في القاهرة ويتعلق التقرير برأيه في ثورة العرب حيث قال :

((أن نشاط (الحسين) يبدو مفيداً لنا لأنه ينسجم مع أهدافنا المباشرة وهي تفكيك الرابطة الإسلامية وهزيمة الإمبراطورية العثمانية وتمزيقها ، ولأن الدول التي سننشئها لتخلف الأتراك لن تشكل خطراً علينا مثلما كانت تركيا عليه قبل أن تصبح أداة بيد الألمان ... بل حتى أن العرب أقل ثباتاً من الأتراك ، فإذا تمكنا من التحكم بهم بشكل مناسب فإنهم سيقون منقسمين سياسياً إلى دويلات تغار من بعضها البعض ولا يمكنها أن تتحد رغم أنه ستكون مستعدة لأن تتجمع لمقاومة أي قوة خارجية تهددها ... أن البديل لهذه السياسة يعني قيام دولة أوربية غير بريطانية بالسيطرة على العرب واستعمارهم الأمر الذي يتعارض مع مصالحنا التي نمتلكها في الشرق الأوسط)) .

لقد كان هذا يعني أن العرب لن يحققوا أهدافهم وفق ميثاق دمشق ولن يحصلوا على الفتات الذي سيقدمه لهم الحلفاء وفقاً لمصالحهم الاستعمارية التي عبرت عنها اتفاقية سايكس - بيكو ووعد بلفور ضارين عرض الحائط كل الوعود والبيانات التي التزموا بها .

قيام الحكومة العربية في دمشق

بعد دخول جيش الأمير فيصل إلى دمشق ، اتجهت إلى شمالها فحررت حمص وحماه وحلب ، بينما استمر الزحف الساحلي الذي بدأ من حيفا وعكا إلى صور وصيدا وبيروت وطرابلس ، فاستكملت القوات العربية تحريرها لبلاد الشام وشكل فيصل (حكومة عربية) في دمشق ورفع علم الثورة العربية على المدن السورية واللبنانية ، وبدأ إعلان الحكومة العربية في دمشق وكأنه تحقيق لأمال العرب في الاستقلال والوحدة ، وقد تكونت الحكومة العربية من سورين وعراقيين وفلسطينيين ولبنانيين وبدأت عملها كنواة لدولة الوحدة العربية وفقاً لميثاق دمشق ، ولذلك لم يطلقوا على حكومة فيصل اسم الحكومة السورية وإنما الحكومة العربية في دمشق .

لقد كانت فرحة العرب كبيرة بقيام الحكومة العربية بدمشق ، وقد عبر عن هذه الفرحة الشاعر خليل مردم في قصيدته (الفتح العربي) حين شبه دخول الجيش العربي إلى دمشق بقيادة الأمير

فيصل بن الحسين ، بانتصار المعتصم في عمورية. ومما جاء في قصيدته:-

هـل عاد سالف مجد العرب	مالي أرى القوم بعد الحزن
لله جيش أمين الله منتصرا	يدني جيوش العدا من مورد
وانشد أبو الفضل الوليد من المهجر قائلا:-	
الله اكبر عادت دولة العرب	بشرى لهارون والمأمون في
دمشق حنت إلى بغداد	مصر التي هي دار العلم

إلا ان هذه الفرحة 1918م ، طويلا ، فقد تسربت أنباء اتفاقية سايكس - بيكو ووعد بلفور إلى رجالات العرب ، فطالبوا بريطانيا بتوضيحات فأكدت موقفها في تحقيق آمال العرب في الحرية والاستقلال ، ولكن المعلومات بدأت تتأكد عندما حاول الفرنسيون إنزال العلم العربي في بيروت .

وفي تشرين الثاني 1918 ، وبعد تأسيس الحكومة العربية سافر فيصل إلى بريطانيا ومنها إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح الذي افتتح في 18 كانون الثاني 1919 . وقد ألقى الملك فيصل خطاباً استهجن فيه بلطف وصراحة اتفاقية سايكس - بيكو وبسط مطالب

العرب في الوحدة والاستقلال مؤكداً بالقول (عندما قاطعه أحد الحاضرين مشيراً إلى أن العرب غير متقدمين حضارياً) :
 ((إنني انتمي إلى شعب يتمتع بالحضارة عندما كانت جميع البلاد الأخرى التي يجلس ممثلوها في هذه القاعة مسكونة بالبرابرة)) .
 قدم فيصل مذكرة إلى مؤتمر الصلح تحدث فيها عن حركة القومية العربية وهدفها في توحيد العرب ، وعبر عن أمله في أن تجد الدول الوسائل الكفيلة التي تحقق هذا الهدف ، وذكر أن بلاد الشام متقدمه سياسياً بما يمكنها من إدارة شؤونها الداخلية بنفسها ، كما طالب بتشكيل حكومة عربية في العراق .

إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا

لم يأت حضور فيصل لمؤتمر الصلح بنتائج إيجابية تذكر ، ذلك أن رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج ورئيس وزراء فرنسا كليمنصو اتفقا على تعديل اتفاقية سايكس - بيكو لتصبح سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي مقابل ضم ولاية الموصل إلى العراق الذي يصبح هو وفلسطين تحت الانتداب البريطاني .

وقد جاء هذا التقسيم في ضوء قرار مؤتمر الصلح في 30 كانون الثاني 1919 بفصل العراق وسوريا وفلسطين ولبنان عن تركيا على أن تكون هذه المناطق تحت انتداب دوله كبرى باسم عصبة الأمم وفقاً لميثاقها الذي نصت المادة 22 منه على فرض نظام الانتداب ((عصبة الأمم تم تأسيسها في مؤتمر الصلح بعد انتهاء الحرب)) .

قرر القادة العرب عقد مؤتمر في شهر حزيران 1919 نتيجة لهذه التطورات الخطيرة وأعلنوا تمسكهم باستقلال بلاد الشام وعدم تجزأتها ، وإلغاء اتفاقية سايكس - بيكو ووعد بلفور ، وإعلان استقلال العراق التام وتنصيب الأمير فيصل ملكاً على سوريا وأن تكون الحكومة في العراق وسوريا لا مركزية .

في 25 نيسان 1920 عقدت عصبة الأمم مؤتمر سان ريمو الذي تقرر فيه رسمياً فرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان والانتداب البريطاني على العراق وفلسطين على أن ينفذ وعد بلفور في فلسطين . وهكذا نفذ البريطانيون والفرنسيون مشروعهم في تجزئة العرب .

وقد عبر الشعراء العرب عن خيبة أملهم الكبيرة ، فكتب الشاعر العراقي محمد رضا الشبيبي قائلاً:-

وما انا في ارض الشام وما انا في ارض العراق

هما وطن فرد وقد فرقوهما رمى الله بالتشتيت شمل

واستغرب الشاعر خير الدين الزركلي من سكوت العرب على هذا الغدر البريطاني ونكتهم بالوعود فقال:-

فيم الوني وديار الشام أين العهود التي لم ترع

ما بال بغداد لم تنبس بها وما لبيروت لم يخفق بها

شدة

الاحتلال الفرنسي لسوريا والمقاومة

كان إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان هو بداية النهاية للحكومة العربية في دمشق ففي أوائل تموز من عام 1920 وجه الجنرال الفرنسي غورو الذي كان يحتل الساحل السوري ، انذاراً إلى الملك فيصل بقبول الانتداب الفرنسي بلا قيد ولا شرط وحل حكومة هاشم الأناسي وهي الوزارة الثانية في عهد حكم الملك فيصل بعد تنوجه في 28 آذار 1920 . . .

قبل الملك فيصل إنذار غورو لأنه كان يعلم باستحالة تحقيق الانتصار على الجيش الفرنسي المدجج بالأسلحة الحديثة ، خاصة وأن القادة العسكريين قد أجمعوا على ذلك ، إلا أن المؤتمر السوري المنتخب رفض قرار الملك فيصل وقامت في دمشق انتفاضة جماهيرية تهتف بسقوط وزارة الأناسي متهمة إياها بالخيانة وهتف البعض ضد الملك فيصل نفسه .

وفي 21 تموز فوجئ الملك فيصل بخبر زحف القوات الفرنسية نحو دمشق وقد علم فيما بعد أن قبوله إنذار غورو الذي أرسله بالأمس لم يصل إلى غورو في الوقت المحدد بل تأخر نصف ساعة من جراء قطع خطوط التلغراف .

حاول فيصل بواسطة مندوبيه وقف زحف غورو إلا أن الأخير كان مصمماً على احتلال سوريا بالقتال، بأية حجة كانت .

استدعى الملك فيصل الشيخ القصاب وهو أحد قادة الانتفاضة وأخبره أنه اتخذ قراراً بالقتال ، ثم ذهب الملك فيصل إلى الجامع الأموي وخطب في الناس قائلاً :

((أردت أن أرد عنكم زحف جيش الأعداء بإجابة مطالبهم فلم يرددوا، فإن كنتم في حاجة إلى بلدكم فاخرجوا للدفاع عنه)) .

قرر يوسف العظمة القائل العظمة أثناء الحرية في حكومة الملك فيصل التوجه إلى ميسلون على رأس القوات العربية لمقاومة الفرنسيين ولم تكن معركة ميسلون، التي وقعت في الساعة الخامسة من صباح يوم 24 تموز 1920 واستمرت إلى الظهر ، معركة بمعنى المعركة بل كانت أشبه بمذبحة ، فقد كان لدى القوات الفرنسية عشر طائرات والكثير من الدبابات والمدافع مقابل ثلاثة الألف مقاتل عربي بعضهم من الجنود النظاميين والباقي من المتطوعين . ومع ذلك أبدى العرب استبسالا وصمودا رائعا . وق كان لاستشهاد يوسف العظمة أثناء القتال أثره في انسحاب جنوده نحو دمشق ، فدخلها الجيش الفرنسي المحتل ، وأنذر الفرنسيون الملك فيصل بمغادرة البلاد خلال يومين . وفي 28 تموز 1920، غادر دمشق بالقطار إلى درعا وحيفا، ثم أبحر من هناك إلى أوروبا.

فرضت القوات الفرنسية المحتلة الأحكام العرفية على البلاد وأعدمت عدداً من الوطنيين ، وفرضت اللغة الفرنسية في الإدارات والمحاكم وأعلنت تجزئة سوريا ولبنان إلى دولتين منفصلتين ، وأصبحت سوريا تحت حكم المندوب السامي الفرنسي ، فاحتل

الفرنسيون الإدارات والوظائف وأثاروا النعرات الطائفية والإقليمية وخنقوا الحريات وحاربوا الصناعة الوطنية وربطوا العملة بالفرنك الفرنسي .

بدأت المقاومة السورية ضد الاحتلال الشام.عديد من المناطق مثل حركة الشيخ صالح العلي في جبال اللاذقية وحركة إبراهيم هنانو في حلب وحركات أخرى في الفرات وحماه وغيرها . ولقد مهدت هذه الحركات لثورة سوريا الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي عام 1925 التي استمرت لسنتين وكانت أهدافها : - قيام دولة عربية موحدة في بلاد الشام . - وضع دستور للبلاد يحقق السيادة العربية - تشكيل جيش وطني لحماية الوطن وسحب قوات الاحتلال - ضمان حقوق الإنسان في الحرية والإخاء والمساواة وأنظم إلى الثورة رجال الجمعيات العربية موفلسطين.العهد والجمعية العربية الفتاه وحزب الاستقلال وشخصيات وطنية وقومية عدوفلسطين.يدها القادة العرب في العراق ومصر ولبنان وفلسطين .

امتدت الثورة إلى العديد من مناطق البلاد ، بحيث أن سلطة الفرنسيين انحصرت في أطراف دمشق فقط بينما انتفضت الأحياء الأخرى من المدينة مشاركة في الثورة ، فاستخدم الفرنسيون أسلحتهم بوحشية وقسوة والقوا القنابل على القرى والمدن ومارسوا الإبادة الجماعية وقطعوا الأشجار والمياه ، فأخمدوا

الثورة، لكن العرب في سوريا استمروا في كفاحهم من أجل الاستقلال الذي أعلن في 8 حزيران 1941 . إلا أن الفرنسيين لم ينفذوه بإدعاء أن ظروف الحرب العالمية الثانية لا تسمح بذلك ، فأتفرض الشعب العربي في سوريا حتى نالوا الاستقلال في 17 آب 1943 حين دعي المجلس اللبناني للاجتماع وأختار أول رئيس لدولة سوريا هو شكري القوتلي لكن الفرنسيين رفضوا تسليم القيادة العسكرية للسوريين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، فانفجرت الثورة من جديد في سوريا ولكن القوات الفرنسية جابهت السوريين بوحشية وقصفت دمشق بالمدفعية والطائرات ودفنت الجنود أحياء وأحرقت المتاجر والأحياء السكنية ، فاحتجت دول العالم وعقد مؤتمر باريس الذي تقرر فيه جلاء القوات الأجنبية عن سوريا في 17 نيسان 1946 وإعلان استقلالها .

8- لبنان

أصبحت لبنان وفقاً لبروتوكول أو دستور 1864 متصرفية تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي في ظل الدولة العثمانية التي كانت تدير شؤونها المالية والسياسية مركزياً . واستمر عهد المتصرفية حوالي نصف قرن أي إلى الحرب العالمية الأولى عام 1914 ، إلا أن الأوضاع المعاشية كانت صعبة في لبنان خلال هذه الفترة فهجره الكثير من اللبنانيين لأسباب اقتصادية وسياسية إلى مصر والسودان وأمريكا .

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى زادت الأمور الاقتصادية سوءاً لإنقطاع أموال المهجر، في الوقت نفسه تنامي الوعي القومي بشكل واسع وأصبح اللبنانيون جزءاً مهماً من الحركة السياسية العربية المطالبة بحقوق العرب واستقلالهم مما أدى إلى اضطهادهم من قبل الأتراك العثمانيين خصوصاً عندما تم تعيين جمال باشا السفاح حاكماً على بلاد الشام مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، فقام بإلغاء منصب متصرف لبنان وأتبع سياسة البطش والاستبداد وأرسل السياسيين والمفكرين من العرب القوميين إلى خطوط النار، وألقى بالعديد منهم في المعتقلات والسجون وتشرذم الكثير منهم، وفي فجر يوم 21 آب 1915 أعدم جمال باشا السفاح أول كوكبة من السياسيين والمفكرين العرب في ساحة البرج (الحرية) ببيروت، أعقبها إعدام وجبة أخرى في ساحة المرجة بدمشق فجر يوم 6 أيار 1916 وصدرت على خمسة وأربعين آخرين أحكام غياية بالإعدام.

وعندما انتصرت الثورة العربية ودخلت جيوشها دمشق بعد انسحاب الأتراك العثمانيين منها وأقام الأمير فيصل الحكومة العربية فيها، أرسل الأمير فيصل القائد شكري باشا الأيوبي، الذي كان قد أجل تنفيذ حكم الإعدام فيه أيام جمال السفاح وأصبح أحد قادة الجيش العربي في الثورة، أرسله الأمير فيصل إلى بيروت ليكون حاكماً عاماً على لبنان، وعين عمر الداعوق حاكماً على بيروت وحيب باشا السعد حاكماً على جبل لبنان، وقد أدى السعد يمين

الإخلاص ورفع العلم العربي بيروت في 6 تشرين الأول / أكتوبر

1918

كان لا بد من تنفيذ اتفاقية سايكس - بيكو السرية ، لذلك لم تتأخر فرنسا في إجهاض الحكم المحلي. لبنان و سوريا، فتقدمت القوات الفرنسية إلى بيروت واحتلتها وأنسحب الجيش العربي منها بعد وصولهم دون قتال ، وأصبح جورج بيكو مفوض فرنسي سام في لبنان يتمتع بصلاحيات سياسية وإدارية واسعة . وتم تعيين حاكم عسكري على المنطقة الغربية مقره بيروت، وبقي حبيب أسعد رئيس مجلس الإدارة المحلي . وهذا يعني اعتراف فرنسي بسلطة الحكومة العربية في دمشق على لبنان ، ولكن الفرنسيين قاموا في الوقت نفسه بتأليب الموالين لهم من اللبنانيين وحثهم على المطالبة بانفصال لبنان وإنهاء نفوذ الأمير فيصل وحكومته العربية فيه ، وتم تشكيل وفد إلى باريس في كانون الأول 1918 طالب باستقلال لبنان .

وعندما عاد الأمير فيصل من مؤتمر باريس إلى دمشق مروراً ببيروت في ربيع عام 1919 أعد له الفرنسيون تظاهرة تطالب باستقلال لبنان ، وأرسلوا وفداً جديداً على ظهر بارجة حربية فرنسية إلى باريس يطالب باستقلال لبنان برعاية فرنسية .وقدم الوفد مذكرة بهذا الشأن إلى رئيس وزراء فرنسا جورج كليمنصو الذي كان هو وحكومته وراء هذه اواستقلالها. 8 آذار / مارس 1920 أنعقد

المؤتمر السوري العام وأصدر قراراته بالإصرار على وحدة بلاد الشام واستقلالها .

وعندما صدر قرار مؤتمر سان ريمو لتنفيذ اتفاقية سايكس- بيكو مع بعض التعديلات ، أعلن الحاكم العسكري للبنان الجنرال غورو في أيلول 1920 قيام (دولة لبنان الكبير) وتشمل متصرفية جبل لبنان وولاية صيدا في الجنوب وولاية طرابلس في الشمال وولاية بيروت في الوسط وقسم من قضاء عكا وقسم من قضاء حصن الأكراد وأربعة أقضية كانت تابعة لولاية سوريا وهي من الشمال إلى الجنوب بعلبك والبقاع وراشيا و حاصبيا ، وجعل الجنرال غورو حدود الدولة ممتدة من النهر الكبير في الشمال إلى رأس الناقورة في الجنوب، ومن ساحل البحر المتوسط إلى قمم جبال إلى لبنان الشرقية .

لقى هذا القرار معارضة شديدة من قبل اللبنانيين المؤمنين بوحدة بلالبنان، ، ولذلك طالبت أقضية صيدا وبيروت وطرابلس والبقاع الانضمام والوحدة مع سوريا ،ولكن الفرنسيين قطعوا الطريق على مثل هذه التوجهات عندما غزا غورو سوريا وأسقط الحكومة العربية والملك فيصل الأول وأحتلها عسكرياً مباشراً .

رسخت فرنسا سياسة الطائفية والعنصرية لتمييز وحدة الشعب العربي في لبنان ، ومع ذلك قامت الثورات فيه ضدهم واحدة بعد الأخرى ،ومن أشهرها ثورة 1920 في جبل عامل التي

واجهها الفرنسيون بشراسة وقضوا عليها ، إضافة إلى ثورات أخرى في العديد من مناطق لبنان.

و في عام 1922 أوجد الفرنسيون مجلساً تمثيلاً منتخباً وتعاقب على حكم لبنان عدة جنرالات فرنسيين بعد غورو ومنهم الجنرال سراي الذي أوجد في عام 1925 مجلساً نيابياً منتخباً في لبنان، لكن الحكم الحقيقي ضل بيد الفرنسيين وأخيراً اضطر الفرنسيون إلى إعطاء لبنان دستورا في أيار عام 1926 وأصبح للبنان بموجبه مجلسان للشيوخ وآخر للنواب ، وقد قام هذان المجلسان بانتخاب شارل دباس أول رئيس لجمهورية لبنان في 26 أيار 1926، ولكن هذا الرئيس ومن أعقبوه كانوا أداة طيعة بيد المحتلين الفرنسيين .

وخلال الحرب العالمية الثانية 1939- 1945 ازداد الطغيان الفرنسي في لبنان وتأثر باحتلال ألمانيا لفرنسا وقيام حكومة فيشي ، ولكن الصراع بين هذه الحكومة والديغوليين المقاومين للاحتلال الألماني جعل لبنان ساحة حرب ، وقد تمكن رئيس الجمهورية الفرد نقاش في الحصول على موافقة الفريقين اعتبار بيروت مدينة مفتوحة ودارت معارك أدت إلى دخول الديغوليين (قوات فرنسا الحرة) والقوات البريطانية بيروت فانتقل الحكم والسيطرة العسكرية إلى الديغوليين الذي وعدوا لبنان وسوريا في بيانهم الأول بالاستقلال .

طالب اللبنانيون بتعديل الدستور وجعل الوجود الفرنسي في كل من لبنان وسوريا بشكل تمثيل دبلوماسي من أجل نيل الاستقلال فتلكا الفرنسيون ، ولكن اللبنانيين وقادتهم أصروا على موقفهم وجرى انتخاب مجلس نيابي جديد وانتخب الشيخ بشارة الخوري في 21 أيلول 1943 رئيساً للبلاد وتألغت حكومة لبنانية برئاسة رياض يصلح، وبدأت الحكومة اللبنانية ممارسة صلاحياتها الاستقلالية، وعدلت الدستور لتأكيد الاستقلال الناجز فاعترض المندوب السامي الفرنسي ولكن المجلس النيابي صادق على التعديل الدستوري . وبالمقابل أصدر المندوب السامي الفرنسي أمراً بتعليق الدستور المعدل ، واعتقل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وبعض الوزراء والزعماء الوطنيين، فاعتصم رئيس مجلس النواب وبعض النواب في رئاسة الجمهورية ، وخرجت التظاهرات الغاضبة ومنع جنود فرنسا النواب الآخرين من الدخول، فاجتمع النواب في منزل صائب سلام ، ومن ثم انتقلوا إلى قرية صغيرة قريبة من بيروت تخلصاً من الاعتقال الفرنسي وألفوا حكومة ورفعوا علماً لبنانياً جديداً يرمز لوحدة لبنان ، وتصاعد غضب المتظاهرين في لبنان وتحول إلى ثورة وحدت اللبنانيين وشارك فيها الطلاب العرب ووقف الشعب العربي في الوطن العربي إلى جانب اللبنانيين خصوصاً في العراق وسوريا وفلسطين ومصر وغيرها . فأصبح الفرنسيون إما الأمر الواقع وهم يتعرضون لضغوط دولية فأعادوا الحكومة اللبنانية في 22 تشرين الثاني 1943 ليصبح هذا اليوم عيداً لاستقلال لبنان. ومع نهاية

الحرب العالمية الثانية عام 1945 أصبح لبنان عضواً في جامعة الدول العربية والأمم المتحدة

9- فلسطين

مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث واحتلالها

في 29 آب 1897 عقد في مدينة (بازل) بسويسرا أول مؤتمر صهيوني وضعت فيه أهدافا الحركة الصهيونية ، وقام بتنظيم المؤتمر اليهودي الصهيوني تيودور هرتزل الذي أقر أن تكون فلسطين مكاناً لإسكان اليهود في العالم بالرغم من أن فلسطين هي أرض مأهولة بسكانها العرب منذ آلاف السنين ، ومع مطلع القرن العشرين تزايدت الهجرات اليهودية تحت إشراف زعماء الحركة الصهيونية ومنهم الثري البريطاني اللورد روتشيلد والأستاذ الجامعي الدكتور حاييم وايزمن البولوني الأصل اللذين سعيا وغيرهما من الصهاينة إلى إقناع الحكومة البريطانية باتخاذ خطوات عملية لتحقيق المشروع الصهيوني بإقامة دولة يهودية في فلسطين العربية. وقادوا حملة صحفية ونشروا الكتب ووزعوا النشرات وكثفوا اتصالاتهم بالسياسيين وغيرهم ، واستخدموا الأموال لتحقيق أهدافهم . فكان لهذا أثره في تقسيم الحصص بين الحلفاء خلال وبعد الحرب العالمية الأولى ، فبينما كانت بريطانيا تفاوض العرب المطالبين بدولة عربية موحدة مستقلة في الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ، عملت في الوقت نفسه على الاتفاق مع فرنسا لتقسيم هذه

المنطقة بينهما ، واعتبرت فلسطين وفقاً لاتفاقية سايكس - بيكو ، منطقة توضع تحت الإشراف الدولي بعد الحرب كونها (مقدسة) ، كذلك جرت مفاوضات بين الصهاينة والانكليز على إقامة وطن (قومي) لليهود في فلسطين ، فصدر وعد بلفور بشكل رسالة موجهة من وزير خارجية بريطانيا جيمس بلفور إلى اللورد الثري اليهودي روتشيلد في 2 تشرين الثاني 1917 تتعهد فيه بريطانيا بإقامة (وطن قومي) لليهود في فلسطين . ومن أجل تنفيذ هذا الوعد ، تقرر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وذلك في مؤتمر سان ريمو عام 1920. من جانب آخر احتل البريطانيون فلسطين خلال الثورة العربية حينما دخلها الجنرال أللبي في أواخر عام 1917 ليبدأ تطبيق وعد بلفور من خلال الاحتلال والانتداب البريطاني على فلسطين . فقد وصل إلى فلسطين فريق بريطاني أمريكي إيطالي صهيوني برئاسة وايزمن لوضع مخطط استلاب فلسطين ، وكانت الخطوة الأولى تعيين اليهودي البريطاني السير هربرت صموئيل مندوباً بريطانياً سامياً على فلسطين ليقود سلطة الانتداب البريطاني ويلعب دوراً فاعلاً في تنفيذ وعد بلفور، وقام بتشكيل مجلس استشاري من أهالي فلسطين مكون من (30) مقعداً عين فيه (23) يهودياً بينما جعل للعرب المسلمين (7) مقاعد فقط مع أنهم يشكلون 95% من سكان فلسطين ، وعمل صموئيل على تشجيع المهاجرين اليهود وتقديم الامتيازات لهم في ميادين الزراعة والتجارة والصناعة

واستقبال أعداد جديدة من المهاجرين اليهود وفتح المدارس الخاصة بهم وبناء المستعمرات الصهيونية .

بدأ العرب يتحركون سياسياً ضد المخططات الصهيونية منذ صدور وعد بلفور ، بل أن فلسطين شهدت انتفاضات فلاحية عديدة ومقاومة ضد الهجرات الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر. وعندما وجدت سلطة الانتداب البريطاني العرب في فلسطين مستعدين لحمل سلاحهم ضد المهاجرين الصهاينة سمحت للصهاينة بتشكيل منظمات إرهابية عسكرية وأمدتهم بالسلاح وسمحت لهم بالتدريب.

المقاومة

في تموز عام 1919 انعقد المؤتمر السوري في دمشق وضم ممثلين من بلاد الشام بما فيها فلسطين ، وأخذ المؤتمر قرارات مهمة من بينها :

((رفض الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ، ورفض المعاهدات والوعود المتعلقة بمصير البلاد ، واستقلال العراق ، واستبعاد الحواجز الاقتصادية بينه وبين سوريا)) .

ثانياً: شهر كانون الأول من عام 1919 عقد مؤتمر القدس القومي ووضع ميثاقاً لتحرك عربي مشترك كان من أهم بنوده: ((أولاً : رفض وعد بلفور والهجرة الصهيونية والانتداب الانجليزي. ثانياً : اعتبار فلسطين جزءاً من سوريا ، وتسميتها سوريا الجنوبية والمطالبة بوحدة بلاد الشام .

ثالثاً : استقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربية)) .

انتفاضات وثورات طلة الانتداب البريطاني ضد التحركات العربية الفلسطينية وكفاحهم من أجل منع تنفيذ وعد بلفور . فتصاعد السخط الشعبي ضد البريطانيين والصهاينة وشهدت فلسطين انتفاضات وثورات متتالية منذ عام 1920 .

ففي مطلع شهر نيسان من عام 1920 انتفض عرب القدس مطالبين باستقلال فلسطين ووحدتها مع سوريا واصطدموا بالمستوطنين اليهود الصهاينة وسقط شهداء وجرحى كما قتل العديد من الصهاينة. فأعقب ذلك تظاهرات ضخمة عربية نادت بسقوط الصهيونية والانتداب البريطاني. وألقت السلطات البريطانية بقيادة التظاهرة أو الانتفاضة في السجون . وفي عام 1921 قامت ثورات عديدة في المناطق الفلسطينية ومنها مدينة يافا . وحاولت سلطة الانتداب البريطاني امتصاص نقمة العرب وثوراتهم بتشكيل اللجان ودعوة زعماء فلسطين للمناقشة 1925. فاوض والوعود الكاذبة بإيقاف الهجرات اليهودية إلى فلسطين .

لقد استمرت انتفاضة 1921 لأكثر من أسبوعين وأعقبها انتفاضات فلسطينية عديدة وأبرزها خلال عامي 1924- 1925 . ثم تتوجت هذه الانتفاضات بثورة (البراق) عام 1929 عند حائط البراق في القدس والذي يسميه اليهود (حائط المبكى) حين أقام اليهود سائراً على الحائط ورفضوا إزالته بإدعاء أنه أثر من آثار هيكل سليمان ، بينما هو حائط إسلامي مقدس ربط فيه الرسول العربي

الكريم (محمد) صلى الله عليه وسلم دابته البراق حين أسرى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فثارت ثائرة المسلمين العرب واضطر البريطانيون إلى إزالة الساتر، فقاوم اليهود ذلك . عندها اصطدم العرب الفلسطينيون باليهود ودارت معارك قوية في القدس وصدامات امتدت إلى مدن سبقتها. لخليل وصفد. ووقفت الجماهير العربية في الوطن العربي إلى جانب هذه الثورة وغيرها من الانتفاضات التي سبقتها .

أسباب انتفاضات العشرينات

شكلت الحكومة البريطانية فلسطين. متعددة لمعرفة أسباب هذه الانتفاضات والثورات في فلسطين . وقد أجمعت تقارير هذه اللجان على أن السبب الرئيسي لها هو:

- (1) امتعاض أهل فلسطين من السياسة البريطانية المساندة للمشروع الصهيوني في فلسطين .
- (2) خشيتهم من تأسيس دولة يهودية في أرضهم .
- (3) رغبتهم مثل بقية العرب في الاستقلال .
- (4) سخطهم هي: نكث البريطانيين لوعودهم لهم خلال الحرب العالمية الأولى .

أسباب ثورة البراق عام 1929

كان أهم هذه التقارير تقرير اللجنة التي تشكلت بعد ثورة 1929 حيث ذكرت أن أسباب الثورة هي :

- (1) الاستفزازات التي قام بها اليهود الصهاينة.

- (2) تصاعد هجراتهم إلى فلسطين .
- (3) نقمة العرب على البريطانيين لمساندتها لليهود ومساعدتهم في زيادة نفوذهم في فلسطين على حساب أهلها .

نتائج ثورة البراق

إن هذا التقرير قد دفع الحكومة البريطانية إلى إصدار (الكتاب الأبيض) عام 1930 حاولت فيه إرضاء العرب بالإعلان عن سياسة الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين أو إيقافها عند الضرورة والإقلال من انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود في فلسطين... لكن اليهود الصهاينة تحركوا وأوقفوا العمل بهذا الكتاب . وفي أواخر عام 1931 عقد المؤتمر الإسلامي في القدس والذي أكد على قدسية فلسطين والدفاع عنها وشجب فلسطين.البريطانية منها وتشكيل شركة إسلامية لإنقاذ أراضي فلسطين . وتوالت المؤتمرات والاجتماعات دون فائدة ، فقد استمرت الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتصاعد الإسناد البريطاني لليهود وبس العرب فلسطين من الوصول إلى حل لقضيتهم بالطرق السلمية .

تشكلت لجنة سرية في أواخر عام 1935 برئاسة الشيخ (عز الدين القسام) للمقاومة المسلحة في حيفا ورفعت شعار الجهاد من أجل تحرير فلسطين ، وبدأت بمهاجمة الدوريات البريطانية وفتكوا بعدد غير قليل من الجنود البريطانيين . فقامت الحكومة

البريطانية بتجهيز قوة عسكرية بريطانية كبيرة تمكنت من تطويق عز الدين القسام وجماعته واستشهد القسام له. يقاوم في منطقة جنين . فحول الفلسطينيون تشييعه إلى تظاهرات ضخمة هتفوا فيها ضد الانكليز ، واصطدموا بهم فكانت إحدى الشرارات المهمة التي فجرت ثورة 1936 .

ثورة 1936

اتحدت الأحزاب والتنظيمات الفلسطينية في هيئة عربية عليا لمواجهة تفاقم الخطر الصهيوني والاحتلال البريطاني المساند له . ودعت إلى الإضراب العام الذي عم فلسطين، وبدأ الثوار بمهاجمة المستعمرات الصهيونية التي هجرها اليهود خوفاً على حياتهم ،وقطعت خطوط الاتصال والمواصلات . وقد استمرت الثورة والإضراب العام حوالي ستة أشهر لم تتمكن القوات البريطانية من قمعها أو إيقافها وقد تمثلت مطالب الثوار بثلاثة : -

1- وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين تماماً.

2- منع انتقال الأراضي إلى اليهود.

3- إنشاء حكومة وطنية فلسطينية برلمانية.

التحق المتطوعون العرب بهذه الثورة من العراق وسوريا والأردن ولبنان ووصل القائد فوزي القاوقجي على رأس قوة مكونه من (500) متطوع من مختلف الأقطار العربية . وقدموا عشرات الشهداء وصمدوا أمام القوه البريطانية المحتلة التي اضطرت إلى توسيط الحكام العرب في السعودية والعراق

والأردن لإقناع الفلسطينيين بوقف الثورة مقابل سعيهم لدى بريطانيا لتحقيق مطالبهم المشروعة . وعندما توقفت الثورة باشرت لجنة بريطانية عملها ودرست الحالة وأوصت بتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب. وفي تموز 1937م نشرت بريطانيا مشروع التقسيم ، لكن العرب رفضوه واستؤنفت الثورة الفلسطينية عام 1937م وحتى عام 1939م ، فكانت أشد قوة وضراوة وامتدت إلى جميع المدن والقرى الفلسطينية وجابهتها القوات البريطانية بقسوة وسقط عشرات الشهداء . أما اليهود الصهاينة فقد ارتكبوا أبشع أعمال القتال ضد العرب والعزل من الشيوخ والنساء والأطفال . ووقف العرب إلى جانب الثورة والتحق بها المزيد من المتطوعين .. وأمام هذا الضغط الثوري اضطرت بريطانيا إلى التراجع عن قرار التقسيم . ونشرت عام 1939م كتاباً ايضاً جديداً ضمته اسس معالجة القضية الفلسطينية بإقامة الحكم الذاتي.

قامت الحرب العالمية الثانية عام 1939-1945م وبعد انتهائها وتشكيل هيئة الأمم المتحدة عرض مشروع تقسيم فلسطين من جديد فأقرته في تشرين الثاني عام 1947م وعارضته الدول العربية. وفي 15 أيار 1948م انسحبت بريطانيا من فلسطين لتمهد الطريق لإعلان دوله يهودية صهيونية في فلسطين . مما أدى إلى قيام الحرب العربية - الصهيونية وقامت الجيوش العربية باستعادة الأرض

الفلسطينية يساندهم المقاتلون والفدائيون العرب . لكن دسائس الدول الغربية وتدخلها وضغوطها أدى إلى إعلان الهدنة . فكانت البداية لتأسيس الكيان الصهيوني عام 1948م واغتصاب ارض فلسطين التي لم يتوقف شعبها عن المقاومة والقتال لاسترداد أرضه المغتصبة إلى يومنا هذا .

10- العراق

في تشرين الثاني من عام 1914م ، ومع بدء الحرب العالمية الأولى احتلت القوات البريطانية منطقه الفاو جنوبي العراق والتي تطل على الخليج العربي حيث يصب نهر شط العرب وكان هذا الاحتلال بداية لتقدم القوات البريطانية باتجاه البصرة ، ثم الصعود على محوري نهري دجلة والفرات حيث تم احتلال مدينة العمارة على دجلة والناصرية على الفرات كجزء من الحملة البريطانية لاحتلال العراق بعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء . إلا ان القوات البريطانية منيت بنكسة كبيرة عندما حوصرت قواتها في مدينة الكوت في أواخر عام 1915م ومطلع عام 1916م واستسلم القائد البريطاني تاويزند إلى القوات العثمانية .

تراجعت القوات البريطانية إلى الجنوب لتبدأ من جديد حملة بقيادة الجنرال مود الذي تمكن من دخول بغداد في 11 اذار 1917م وأعلن أنهم جاءوا محررين لا فاتحين . ولكن البريطانيين تصرفوا كمحتلين وأساءوا التعامل مع السكان ، فبدأت الحركة الوطنية تنظم نفسها في بغداد والمدن الرئيسة تحت اسم (جمعيه حرس

الاستقلال السرية) . وطالبت النخبة السياسية بتشكيل حكومة عربية في العراق يرأسها احد أنجال الشريف حسين . لكن تطبيق معاهده سايكس بيكو وإعلان الانتداب البريطاني على العراق في 25 نيسان 1920م قد جعل العراقيين يشعرون ان ما سيحدث هو استبدال حاكم أجنبي هم الأتراك بحاكم جديد أجنبي هم البريطانيون . فبدأت التظاهرات والاصطدامات مع البريطانيين وطالبت النخبة السياسية بعقد مؤتمر عام منتخب ليقرر شكل الحكم والحاكم في العراق ، لكن البريطانيين ماطلوا في ذلك واعتدوا على العشائر وفرضوا الضرائب الباهضة وأطلقوا النار على المتظاهرين ، مما أدى بالنتيجة إلى قيام ثورة العشرين في 30 حزيران 1920م والتي استمرت ستة أشهر تكبد فيها البريطانيون خسائر كبيرة وظهر العراقيون بطولات نادرة في مقاومتهم وثورتهم على المحتلين البريطانيين.

في ضوء بنود الانتداب كان لا بد من تشكيل حكومة عراقية مؤقتة فخلال الشهرين الأخيرين من الثورة وصل إلى العراق السرب برسي كوكس ليشغل منصب المندوب السامي البريطاني في العراق . وقام بتشكيل حكومة مؤقتة برئاسة عبدالرحمن الكيلاني تمهيداً لعقد مؤتمر عام منتخب. إلا ان بريطانيا فضلت المجيء بملك إلى العراق . وتم اختيار الأمير فيصل بن الحسين في مؤتمر القاهرة عام 1921م بناء رغبة مشتركة من العراقيين والحكومة البريطانية وأجري استفتاء عام صوت فيه العراقيون لصالح الأمير فيصل ، وتم تويجه ملكاً على العراق في 23 آب 1921م .

أعلن الملك فيصل في أول خطاب له عزمه على إجراء انتخابات لجمع المؤتمر العراقي العام من اجل تشريع الدستور ، لكن البريطانيين أرادوا عقد معاهده بريطانيه ـ عراقيه ضمنوها بنود الانتداب ، في حين كان العراقيون ومعهم الملك فيصل الاول يريدون إنهاء الانتداب وعقد معاهدة مع بريطانيا لا تقيد استقلال العراق على ان يوافق عليها المؤتمر العراقي العام المنتخب والذي أطلق عليه فيما بعد اسم (المجلس التأسيسي العراقي) .

وعندما جرت الانتخابات واجتمع المجلس التأسيسي عام 1924م أجبر البريطانيون الحكومة العراقية على عرض المعاهدة العراقية ـ البريطانية على المجلس اولاً قبل مناقشة وتشريع الدستور أو القانون الأساسي خلافاً للأصول . إذ يجب وضع دستور للبلاد لتناقش المعاهدة في ضوءه.

رفض المجلس التأسيسي في البداية تصديق المعاهدة وطلب تعديلها بما يضمن البنود الخاصة بالانتداب البريطاني . فالمعاهدة مدتها (25) سنة في حين ان العراقيين يريدون إلغاء الانتداب ودخولهم عضواً في عصبة الأمم لنيل الاستقلال، وبقاء المعاهدة بهذا الشكل يعني عدم الحصول على الاستقلال . رفضت بريطانيا تعديل المعاهدة وهددت بأنها ستحرم العراق من ولاية الموصل أي شمال العراق وتعطيه إلى تركيا وستحل المجلس التأسيسي إذا لم يجتمع بعد ظهر يوم العاشر من حزيران 1924م وهو الموعد الأخير لعرض موضوع ولاية الموصل على مجلس عصبة الأمم .

امام خطورة الوضع تم جمع عدد من أعضاء المجلس بما يكفي لاكتمال النصاب القانوني للاجتماع . وفي مساء يوم 10 / حزيران عقدت الجلسة ووافق على التقرير الخاص بالمعاهدة (37) عضواً فقط وعارضه (24) عضواً من مجموع (69) عضواً حضروا الجلسة. علماً ان عدد أعضاء المجلس التأسيسي هو (100) مائه عضواً حيث لم يحضر الجلسة (31) عضواً ولو جمعنا عدد الغائبين والذي صوتوا بالصد لأصبحوا الأغلبية .

بعد المصادقة الاجباريه على المعاهدة ، ناقش المجلس الدستور وصادق عليه كما صادق على قانون انتخابات مجلس النواب . ولم يتم نشر الدستور والعمل به إلا بعد ان ضمنت بريطانيا موافقة العراق على عقود النفط لصالحها ولم يحصل العراق في ضوء هذه العقود إلا على (ستات) قليلة .

أستمر العراقيون والملك فيصل الاول في كفاحهم لإلغاء المعاهدة والانتداب، خصوصاً بعد ان تشكلت الأحزاب السياسية وأجريت الانتخابات البرلمانية. وأخيرا وافقت بريطانيا على دخول العراق عصبة الأمم وألغيت ..

معاهدة 1922م لتحل محلها معاهده 1930 التي نصت على استقلال العراق على أن تحتفظ بريطانيا بقاعدتين عسكريتين في الحبانية وغربي العراق وفي الشعيه جنوبي العراق . وفي عام 1932م أصبح العراق عضواً في عصبة الأمم، وحل السفير البريطاني محل المندوب السامي البريطاني.

في عام 1933 توفي الملك فيصل الاول مؤسس الدولة العراقية الحديثة في ظروف غامضة دلت الوثائق على انه توفي مسموما ، وخلفه ابنه الوحيد الملك غازي الاول الذي عرف بمواقفه القومية المؤازره للقضية الفلسطينية ، حيث انشأ اذاعه خاصة به كان يهاجم منها الانجليز والصهاينة إلى ان دبر له البريطانيون حادث سيارة في 4 نيسان 1939 م وتخلصوا منه مثلما تخلصوا من والده فيصل. ولم يكن لديه سوى ولده الصغير فيصل ، فتولى خاله الأمير عبدالاله الوصاية على العرش يعاونه في رئاسة الوزراء نوري السعيد .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية عام 1939م وقف ضبط الجيش العراقي ضد بريطانيا ، بينما وقفت الحكومة معها . ولم يكن الجيش العراقي لوحده بل كانت معه كل التنظيمات القومية في العراق والشخصيات العربية التي التجأت من سوريا وفلسطين ولبنان إلى العراق للتخلص من بطش الفرنسيين والبريطانيين و الصهاينة ، وتشكلت (اللجنة العربية السرية) برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، وكان أعضاء اللجنة أربعة من ضباط العراق البارزين هم صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وامن زكي ومن المدنيين يونس السباعوي. وكان رشيد عالي الكيلاني في مقدمة الأعضاء .

اضطرت اللجنة العربية السرية إلى الاستيلاء على السلطة في الاول من نيسان /ابريل 1941م بعد ان وجدت ان نوري السعيد وعبدالاله الوصي على العرش يقفون إلى صف بريطانيا التي تتآمر

على القضية الفلسطينية واستقلال العراق ، وشكلوا حكومة الدفاع الوطني ، وبعد شهر قررت بريطانيا غزو العراق للقضاء على الثورة التي قام بها ضباط الجيش العراقي والسياسيين القوميين العرب . وفي الاول من مايس/آيار 1941م بدأت الحرب العراقية - البريطانية التي دامت شهراً واحداً شارك فيها العديد من المناضلين العرب وبالمقابل شارك الصهاينة مع البريطانيين في القتال. ونظراً لعدم امتلاك الجيش العراقي الأسلحة الحديثة والفتاكة فقد اجتاحت القوات البريطانية العراق بعد قتال عنيف شارك فيه الشباب المدني تحت اسم (الطلائع) و(الأشبال) .

أعادت بريطانيا احتلال العراق وأسقطت الحكومة الوطنية القومية وأعدمت قادة الثورة ووضعت في المعتقلات والسجون العرب القوميين وأصبح العراق خلال الحرب العالمية الثانية تحت السلطة المباشرة للبريطانيين بعد ان أعيد عبدالاله ونوري السعيد إلى الحكم .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفي محاوله بريطانية لكسب الرأي العام العراقي تم عام 1946م إجازة أحزاب المعارضة مثل حزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الشعب وحزب الأحرار التي بدأت تقود الجماهير في العراق بعد ان كانت أحزاب النخبة السياسية هي المسيطرة بين الحريين العالميتين الاول والثانية .

كانت أول ممارسه جماهيريه للأحزاب هي موقفها الرفض لمعاهده بورتسموث التي قامت حكومة صالح خبر بتوقيعها مع بريطانيا عام 1948م . وتحول العراق إلى انتفاضه شعبيه من شماله إلى جنوبه تهتف ضد بريطانيا والمعاهدة وضد المؤامرة التي تحاك في فلسطين لإيجاد الكيان الصهيوني . وقد تمكنت الجماهير العراقية وأحزاب المعارضة السياسية من إسقاط وزارة صالح جبر وإلغاء المعاهدة التي قامت بتوقيعها

ان قضيه فلسطين وتنامي المشاعر القومية في العراق قد أدى إلى تصاعد الوعي القومي بقضايا الأمة العربية خصوصاً بعد قيام الثورة في مصر عام 1952م وتأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر عام 1956م وظهور جمال عبدالناصر كشخصيه عربيه قياديه دعت إلى الثورة ضد الاستعمار والوحدة العربية يقابلها مواقف معاديه لهذا الاتجاه من قبل نظام الحكم في العراق مما أدى إلى رفع شعار إسقاط النظام الملكي خلال هذا الفترة .. فقد وقعت انتفاضة طلابية شعبيه عام 1952م قادها حزب البعث العربي الاشتراكي كان ظاهرها مطالب طلابية وباطنها وتناجها مواقف ومطالب سياسيه قوميه .. وفي عام 1956م انتفض العراق ضد حكومته التي لم تقف مع مصر عبدالناصر عندما وقع العدوان الثلاثي عليها. وعندما القومية. في رد العدوان تطلعت الجماهير العراقية إلى التخلص من النظام الملكي واعتبرته قد خان القضية القومية .

وفي عام 1957م تشكلت جبهة الاتحاد الوطني من الأحزاب المعارضة وبالتعاون مع تنظيم الضباط الأحرار في الجيش العراقي قامت ثورة 14 تموز 1958 م وقضت على النظام الملكي وأقامت النظام الجمهوري.

11- الأردن

كان الأردن خلال العهد العثماني متصرفية تابعة لولاية سوريا وحاضرتها دمشق. وخلال الحرب العالمية الأولى أرهقت الحكومة العثمانية أهالي الأردن بالضرائب فازدادت حماسة العرب القوميين في مناوأتهم الحكم التركي، وكانت الأردن تؤلف جزءاً من سورية عندما نصب الأمير فيصل عليها. ثم أصبح الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني بقرار واحد. وكان قد التجأ إلى الأردن العرب القوميون بعد سقوط الحكومة العربية بدمشق ورحيل الملك فيصل عنها ، و أخذوا ينظمون حركتهم للتصدي للفرنسيين في سوريا إلى جانب ثوار حوران وجبل الدروز، مما أثار الفرنسيين وحملهم على طلب مساعدة بريطانيا لتهدة الحال . وفي هذا الوردن:لأمير عبدالله بن الحسين من الحجاز إلى معان في 21 تشرين الثاني 1920 ، وأذاع منشوراً أسف فيه على ما أصاب أبناء سوريا من الاستعمار الفرنسي الذي عمل على دك عرش الملك فيصل (ملك السوريين) ثم أخذ يخاطبهم بلغة حماسية متسانلاً كيف يرضون بأن تكون " العاصمة الأموية مستعمرة فرنسية؟

كان الأردنيون قد عقدوا في 2 أيلول 1920 مؤتمر أم قيس بحضور ممثل عن المندوب السامي البريطاني وتعاقدوا على ان تقوم في

الأردن حكومة عربية يرأسها أمير عربي ، وهو المطلب نفسه الذي طرحه العراقيون على البريطانيين بعد الاحتلال . من جانب آخر اخبرت الحكومة البريطانية الأمير عبدالله الموجود في معان أنها مستعدة لبحث القضايا العربية شرط ان يتوقف عن مهاجمة الفرنسيين . و في 2 آذار عام 1921م دخل الأمير عبدالله عمان دخول الفاتحين ، فأقبل شيوخ العشائر مرحبين به ، فألقى فيهم خطاباً قال فيه انه ما جاء إلى عمان إلا لخدمتهم يدفعه في ذلك ما تحمل والده من أجل القضية . وكان المستقبلون مزيجاً من السوريين الذين هاجروا بعد معركة ميسلون إلى الأردن، ومن الأردنيين الذين بايعوه بالأمانة . ويعتبر دخول الأمير عبدالله إلى عمان الخطوة الأولى على طريق تأسيس الدولة الأردنية .

و بعد إعلان الانتداب البريطاني على الأردن بادر أهل شرق الأردن إلى تأسيس حكومات محلية لإدارة المناطق مثل حكومة اربد وحكومة السلط وحكومة الكرك وهكذا .

تغلغل الموظفون البريطانيون العاملين في حكومة المندوب السامي البريطاني اليهودي هيربرت صموئيل ، في حكومة شرق الأردن بحجة المساعدة ، وبدأوا يتدخلون في كل شاردة وواردة منتهزين الفرصة في عدم وجود قانون واحد لإدارة الحكم في الأردن فعمت الفوضى فاتخذ الانكليز من ذلك حجة لتدريب الأردنيين على الحكم الذاتي .

وفي 27 آذار عام 1921م ، عقد اجتماع بين الأمير عبدالله وونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني ، وهربرت صموئيل المندوب السامي اليهودي ، وروبير دوكة وكيل المندوب السامي

الفرنسي في سورية ، في قصر الطور في القدس ، اعترفت فيه بريطانيا بعبد الله بن الحسين أميراً على الأردن ، وجرى اتفاق بين الطرفين على إنشاء حكومة وطنية في الأردن يرئسها الأمير عبد الله ، وجاء في الاتفاق:

- 1- إنشاء حكومة وطنية في شرق الأردن يرأسها الأمير عبد الله.
 - 2- ان تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً إدارياً كاملاً.
 - 3- ان تساعد الحكومة البريطانية بالتكاليف المادية لتوطيد الأمن والنظام.
 - 4- ان ترجع حكومة عمان إلى المندوب البريطاني بفلسطين بالمشورة والرأي .
 - 5- ان يتعهد رئيسها بالمحافظة على حدود فلسطين وسورية من عدوان البدو أو الحضر.
 - 6- ان يتعهد بالمحافظة على قاعدتين للطيران الانكليزي احدهما في عمان والأخرى في الكرك.
 - 7- ان تبذل انكلترا جهودها للتوسط في تحسين العلاقات بين الاميرعبدالله والسلطة الفرنسية في سورية .
- وهناك موضوعات في شؤون الجمارك والقضاء والمعارف والجيش كلف المندوب السامي البريطاني في القدس القيام بتوضيحها وتنظيمها بالاتفاق مع حكومة الأردن.
- وبناء على هذا الاتفاق عاد الأمير عبد الله إلى عمان وشكل أول حكومة أردنية في 11 نيسان 1921 برئاسة رشيد طليع تحت اسم (الكاتب الإداري) ويرأس مجلساً أطلق عليهم (المشاورين) مكون

من سبعة أعضاء ، وبذلك تم استبدال الحكومات المحلية بحكومة مركزية .

كانت مهمة الأمير عبدالله صعبة فالبلاد التي تولى عليها فقيرة الموارد ومعظم سكانها يتعاملون وفق تقاليد و أنظمة معظمها عشائرية يصعب في ظلها تطبيق القانون. ومما زاد مهمة الأمير عبدالله صعوبة ان المواطنين لم يكونوا يرضون بالوضع القائم ، لأنهم أدركوا لعبة بريطانيا في الهيمنة والاستعمار ، فصمموا على مقارعتة . ولذلك ورغم مجاملة الأمير عبدالله للبريطانيين بصفتهم حلفاء ، إلا انه كان يلح عليهم لتحقيق استقلال الأردن استقلالاً فعلياً ، على ان حكومة الانتداب ظلت تماطل مدعية ان الظروف غير مناسبة لاستقلال الأردن. الأمر الذي أثار سخط الأردنيين فسارعت بريطانيا ووعدت باستقلال الأردن لتهدها الأوضاع، لكنها عملت على تمكين سلطتها في الأردن والسيطرة على كل مقاومة وقامت بضم قوة الدرك الوطني إليها ، فعاد الغضب والسخط الأردني مرة ثانية مما اضطر الأمير لتحقيق رغبات الشعب وأشرك ممثليه في وضع أسس التشريع والإدارة والفت لجنة من ممثلي الشعب برأسها ناظر العدلية وضعت قانون الانتخاب لمجلس نيابي أقرته الحكومة وذلك عام 1923م.

حاولت بريطانيا نسف هذا المشروع بوضع قانون جديد للانتخاب وألغت القانون السابق . فانفجر الشعب في احتجاج عارم وبعث أحرار الشعب الأردني وبعثوا مذكرة إلى عصبة الأمم جاء فيها:

" باسم الحضارة والإنسانية نلفت نظر عصبة الأمم إلى جميع الحقائق المؤلمة التي يوقعها ممثلوا بريطانيا العظمى ، ونرجوا إيفاد لجنة حيادية نزيهة للنظر في تحقيق المطالب الوطنية في الأردن" وفي مطلع عام 1923 ، ومن أجل تهدئة الأوضاع اعترفت بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة بالاستقلال الذاتي للأردن كخطوة على بناء الدولة

، وبقيت الأمور غير مستقرة إلى أن عقدت معاهدة بين الحكومة البريطانية والحكومة الأردنية في 20 شباط 1928، وقعها عن الجانب البريطاني الفيلد مارشال اللورد بلومر ، وعن الجانب الأردني حسن خالد باشا أبو الهدى. وقد قيدت هذه المعاهدة الأردن بقيود ثقيلة وجعلت سياسته بيد الإنكليز في الشؤون الخارجية الرقابة الاقتصادية و الشؤون القضائية. كما جعلت لهم حق الاحتفاظ بقوات عسكرية كافية للدفاع عن الأردن. مقابل ذلك اعترفت بريطانيا بوجود حكومة مستقلة في شرق الأردن اعتباراً من يوم 29 تشرين الأول 1929 ، بعد أن تم تشريع القانون الأساسي (الدستور) الأردني في 16 نيسان 1928 وانعقد أول مجلس التشريعي أردني منتخب في يوم السبت 2 تشرين الثاني 1929 .

لم ترض هذه المعاهدة الأمير عبدالله ولا الشعب الأردني وقد طالبوا بتعديلها بعد أشهر معدودة . وقد أمضى الشعب الأردني مدة ست سنوات في كفاح اضطر الحكومة الاردنيه على المطالبة بالحاج بتعديل المعاهدة ، فاستجاب بريطانيا في 2 حزيران يونيو 1934 م لمطالب الأردنيين ، وأبرمت معاهدة أخرى نصت على نقل الأردن

من حكم الانتداب إلى الحكم المستقل، ولكنها أبقت الجيش الأردني تحت سيطرة بريطانيا، مع تقديم المعونة المالية للأردن . خلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء ، و شاركت القوات الأردنية القوات البريطانية في معارك العلمين وسوريا والعراق ، ونظراً لهذا المجهود والضغط الأردنية ، وافقت بريطانيا على إنهاء انتدابها والاعتراف باستقلال الأردن ولكنها قيدته بمعاهدة تحالف وصداقة وقعت في 22 مارس/آذار 1946 تضمنت سيطرتها على الشؤون المالية والأمن والجيش. و في 25 أيار 1946م التام المجلس التشريعي الأردني و تليت عليه مذكرة رئيس الوزراء المؤرخة في 15 أيار 1946م التي تؤيد القرار الخاص بإعلان البلاد باسم المملكة الأردنية الهاشمية استناداً لحق تقرير المصير ووعود الأمم المتحدة ونظراً للتضحيات التي قدمها الأردن التزاماً بالمعاهدات والمواثيق، وجاء في القرار ا: "تحقيقاً للاماني القومية وعملاً بالرغبة العامة التي أعربت عنها المجالس البلدية الأردنية في قراراتها المبلغة إلى المجلس التشريعي، واستناداً إلى حقوق البلاد الشرعية والطبيعية وجهادها المديد وما حصلت عليه من وعود وعهود دولية رسمية، وبناء على ما اقترحه مجلس الوزراء في مذكرته رقم 521 بتاريخ 3 جمادى الآخرة 1365هـ. الموافق 15/5/1946م فقد بحث المجلس التشريعي النائب عن الشعب الأردني أمر استقلال البلاد الأردنية استقلالاً تاماً على أساس النظام الملكي النيابي، مع البيعة بالملك لسيد البلاد ومؤسس كيانه (عبدالله بن الحسين العظيم)، كما بحث أمر تعديل القانون

الأساسي الأردني على هذا الأساس بمقتضى اختصاصه الدستوري،
ولدى المداولة والمذاكرة تقرر بالإجماع الأمور التالية
: أولاً: إعلان البلاد الأردنية دولة مستقلة استقلالاً تاماً وذات حكومة
ملكية وراثية نيابية .

ثانياً: البيعة بالملك لسيد البلاد ومؤسس كيانه وريث النهضة
العربية(عبدالله بن الحسين المعظم) بوصفه ملكاً دستورياً على
رأس الدولة الأردنية بلقب حضرة صاحب الجلالة (ملك المملكة
الأردنية الهاشمية).

ثالثاً: إقرار تعديل القانون الأساسي الأردني طبقاً لما هو مثبت في
لائحة قانون تعديل القانون الأساسي الملحق بهذا القرار .
رابعاً: رفع هذا القرار إلى سيد البلاد عملاً بإحكام القانون الأساسي
ليوشح بالإرادة السنية حتى إذا اقترن بالتصديق السامي عُد نافذاً
حال إعلانه على الشعب ، وتولت الحكومة إجراءات تنفيذه مع تبليغ
ذلك إلى جميع الدول بالطرق السياسية المرعية...

، وصدرت أول إرادة ملكية أردنية بالمصادقة على قرار استقلال الأردن:
"متكلاً على الله تعالى أوافق على هذا القرار شاكراً لشعبي واثقاً
لحكومتي...." وقد جرى احتفال كبير قدمت فيه وثيقة البيعة بالملك
للأمير عبدالله بن الحسن ليصبح أول ملك ومؤسس للمملكة الأردنية
الهاشمية. واعتبر هذا اليوم 25 أيار/مايو 1946 هو يوم استقلال
الأردن . ، ثم عدل بعد ذلك القانون الأساسي الأردني في 7 كانون
الأول ، ديسمبر عام 1946 م .

ان هذا التطور في مظهر الحكم لم يغير من الوجود البريطاني، فنغوذهم استمر في مرافق البلاد وبقيت الكلمة الأولى والأخيرة لحكومة بريطانيا ، ولم يخف الملك عبدالله ذلك فقد كان صريحاً وواضحاً في إعلان حاجة الأردن للمساعدة الفنية والمالية البريطانية

وفي عام 1948م انفجرت الحرب بين العرب وا لصهاينة وكان الملك عبدالله مصراً على أن يكون هو القائد الأعلى للجيش العربية ، فوافقت الدول العربية على ذلك ، وكادت الجيوش العربية ان تنتصر في جميع الجبهات لولا تدخل مجلس الأمن وفرض الهدنة بين العرب والصهاينة ، مما أدى بالنتيجة إلى احتلال الصهاينة جزءا من ارض فلسطين أقاموا عليها كيانا لهم.

عرضت جامعة الدول العربية مشروع حكومة عربية للمناطق الفلسطينية التي دخلتها الجيوش العربية وأنقذتها من الصهاينة، لكن الملك عبدالله وبدعم من الحكومة البريطانية رفض ذلك وأصر على توحيد المملكة الأردنية مع ما تبقى من الأرض الفلسطينية ، وكذلك عارض الملك عبدالله اقتراح جامعة الدول العربية بتدويل مدينة القدس ، المشروع الذي أقرته هيئة الأمم .

وأخيرا وفي نيسان 1950 دمج الملك عبدالله ما تبقى من فلسطين مع الأردن في كيان واحد برغم معارضة الدول العربية ، ثم حل مجلس النواب وأجرى انتخابات جديدة ضمت ممثلين عن الأردن والضفة الغربية الفلسطينية . واعترفت بريطانيا بالوضع الجديد.

قتل الملك عبدالله يوم الجمعة 20 تموز / يوليو 1951م أثناء خروجه الصلاة في المسجد الأقصى . وأصبح ولده الأمير طلال ملكا على الأردن

وبسبب الظروف الخاصة التي أصابت الملك طلال ، عهد إلى مجلس وصاية ورعاية لتولي شؤون البلاد ، وفي 11 / 8 / 1952م نودي بالحسين ملكاً على المملكة الأردنية الهاشمية ، وتسلم سلطاته الدستورية في 2 / 5 / 1953م .

ومما يذكر للمفبرابر عامه عزل غلوب باشا عن قيادة الجيش في أول آذار عام 1956 ، وأخرجه مع غيره من الضباط الانجليز من الأردن وقد أذيعت أسباب عزل غلوب من الإذاعة الرسمية.

وفي 13 شباط / فبراير عام 1957م ، أعلن الملك حسين انتهاء معاهدة التحالف التي كانت قائمة بين بريطانيا والأردن، وجلت القوات البريطانية في صيف 1957م . وفي عام 1958م أعلن عن اتحاد العراق والأردن، وقد سمي "تموز،اد العربي " لكنه أنهار بقيام الثورة العراقية في 14 تموز ، يوليو ، عام 1958م

الخاتمة

A

ان الحصيلة التي نخرج بها من مسيرة التاريخ الحديث للوطن العربي ، هي ان وقائع واحداث اكثر من اربعة قرون من الزمن كانت مترابطة ومرتبطة بواقعه الجغرافي الموحد وشعبه العربي الواحد ،متواصلة مع تراثه الحضاري ووحدة مشاعره ومبادئه العربية الاسلامية . فقد بقيت الأمة العربية متمسكة بأمجادها الحضارية رغم النكسات التي أصيبت بها، وجعلت من تلك المبادئ والأمجاد عقيدة في مقاومة المحتلين الغزاة ومحاولتها النهوض من جديد. ولم تكن المسافات المترامية من الوطن العربي تشكل عائقا أمام التواصل فكريا وعمليا بين أبناء الأمة العربية ، وبقيت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركز اللقاء لأبناء الوطن العربي في مواسم الحج والعمرة وتلقي العلم ، وطريقا للتواصل بين مغربه ومشرقه مثلما كانت عليه أيام الدولة العثمانية.

لقد كان الوطن العربي بمعظمه موحداً أيام العثمانيين باستثناء المغرب الأقصى الذي منعهم من الوصول إليه والذي كان يقود حملة فكرية وعسكرية لإنقاذ العرب من التسلط التركي منذ

القرن السابع عشر، ناهيك عن الحركات الاستقلالية العربية داخل ولايات الدولة العثمانية. وعلى سبيل المثال لا الحصر: حركة فخر الدين الثاني في لبنان وبلاد الشام الذي اعد جيشا لتحريرها من الأتراك في مطلع القرن السابع عشر، كذلك الشهابيون من بعده الذين شجعوا والتزموا الوعي العربي ضد الأتراك، أما ظاهر العمر في ولاية صيدا فقد ذاع صيته في موقفه العربي وحركته الاستقلالية. وكان لهذه الحركات علاقات فيما بينها إضافة إلى علاقاتها بحركات الاستقلال العربية الأخرى ومنها الحركات الاستقلالية في مصر مثل علي بك الكبير الذي استقل بمصر عن الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر وأراد تكوين دولة عربية تضم مصر والسودان والحجاز وبلاد الشام، لكن ظروفها داخل مصر وجيشه أفشلت مشروعه. أما محمد علي باشا فكان أشهر من نفذ عملية الاستقلال العربية في القرن التاسع عشر عندما ضم بلاد الشام والسودان والجزيرة العربية ووصل سواحل اليمن على البحر الأحمر وأصبح حليفا ستراتيجيا لظاهر العمر في بلاد الشام، وتعاون معه لتحقيق مشروعه الأمير شهاب الثاني في لبنان، لكن الأوربيين

والأتراك العثمانيين أجهضوا مشروعه العربي النهضوي وحددوه
بحكم مصر وراثيا عام 1840 .

من جانب آخر فإن الموقع الجغرافي السياسي
والاستراتيجي للوطن العربي قد جعل منه مطمح الشعوب الأخرى
عبر التاريخ ، وأصبح محط أنظار الأوربيين في التاريخ الحديث بشكل
خاص ، فأطبقوا عليه واحتلوه بأجمعه خلال ثمانية وثمانون عاما
متواصلة (1830- 1918) ليحلوا محل الدولة العثمانية المتداعية، بعد
ان فرضت عليهم متطلبات الثورة الصناعية وتتايجها ذلك ، مع أنهم
كانوا قد بدأوا نشاطهم هذا منذ حركة الكشف الجغرافية في القرن
السادس عشر بدوافع دينية صليبية وبأهداف تجارية اقتصادية
، فاحتلوا سواحل الوطن العربي في المغرب العربي وشبه الجزيرة
العربية والخليج العربي ، لكنهم جوبهوا بمقاومة عربية أجبرتهم على
التوقف أو الرحيل كما حدث في عمان أيام اليعاربة ، إلى ان امتلكوا
ناصية العلم والتقنية والقوة في القرن التاسع عشر فاستأنفوا
مشروعهم الاستعماري باحتلال شامل للوطن العربي.
لقد شهد التاريخ الحديث للوطن العربي مقاومة عربية شاملة
للاحتلال الأوربي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين،

وبرزت شخصيات قيادية قدمت نموذجا حقيقيا للإيمان بمبادئ هذه الأمة، وكان في مقدمتهم عمر المختار وعبد القادر الجزائري ومحمد عبد الكريم الخطابي. وتزامنت مع هذه المقاومة نهضة عربية فكرية وسياسية شاملة جسدت تطلع الأمة العربية نحو بعث أمجادها وإحياء تراثها وإعادة بناء دولتها بشكل يتلاءم مع روح العصر. أثمرت هذه الجهود الفكرية والسياسية عن مشروع لإقامة الدولة العربية الواحدة تجسد بميثاق دمشق الذي نص على قيام دولة عربية واحدة في العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية. وقد أبدى البريطانيون استعدادهم لمساعدة العرب في محاولاتهم التخلص من حكم الأتراك العثمانيين العنصرين في المشرق العربي وتحقيق هذا الحلم ، فقامت الثورة العربية عام 1916 وأثمرت عن حكومة عربية في سوريا مقرها دمشق شكلت خلال الفترة (1918-1920) نواة مشروع الدولة العربية الواحدة على امتداد الوطن العربي . ولم يكن تحقيق هذا الهدف بالأمر الهين والسهل، فقد اصطدم مع المخططات الأوربية السرية التي تم تنفيذها بعد الحرب العالمية الأولى بتقسيم الوطن العربي إلى كيانات قطرية وإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين. فتخلى الأوربيون بذلك عن الحكومة

العربية في دمشق وأسقطوها. وشهدت سنوات العشرينات من القرن العشرين انتفاضات وثورات على امتداد الوطن العربي ، وظهرت الكيانات القطرية العربية التي لم تمنع حدودها السياسية المصطنعة من تواصل وتفاعل أبناء الأمة العربية الذين رفعوا شعار الوحدة العربية ردا على التجزئة ونكث العهود من قبل الأوربيين لتبدأ مرحلة تاريخ الوطن العربي المعاصر .

المصادر والمراجع

- 1- الأشهب، محمد الطيب. عمر المختار، القاهرة، 1956
- 2- الألوسي، محمود شكري. تاريخ نجد، القاهرة، 1947
- 3- أمين، عبد الأمير محمد. دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ المنعقد ببغداد، 1973
- 4- انطونيوس، جورج. يقضة العرب، ترجمة ناصر الدين الاسدي وإحسان عباس، بيروت 1978
- 5- أنيس، محمد. الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة، 1965
- 6- أنيس، محمد وحراز، السيد.
- 7- البطريق، تاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، 1967
- 8- البطريق، عبد الحميد. تاريخ اليمن الحديث، القاهرة، 1969
- 9- بن القاضي، احمد . الممتقى المقصور، مخطوط حققه محمد رزق (رسالة ماجستير غير منشورة) مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط
- 10- بن عاشور، فاضل. الحركة الأدبية والفكرية في تونس، تونس، 1972
- 11- بيهم، محمد جميل. العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت، 1957
- 12- الجبرتي، محمد. عجائب الآثار في التراجم والإخبار، ج3، بيروت
- 13- الجزائري، محمد بن عبد القادر. تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق د. ممدوح حقي ، بيروت، 1964

- 14- الجميعي، عبد المنعم إبراهيم، دراسات في تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر، مصر، 1991
- 15- الجندي، أنور. الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا، القاهرة، 1965
- 16- جوليان، شارل اندريه. المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، ب.ت.
- 17- حاكمة، احمد مصطفى. تاريخ شرق الجزيرة العربية في نشأة وتطور الكويت والبحرين، ترجمة محمد أمين عبد الله، بيروت، 1965.
- 18- حتي، فيليب. لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، بيروت، 1959.
- 19- حجي، محمد. الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ج1، المملكة المغربية، 1977.
- 20- الحصري، ساطع. البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، 1960
- 21- الحصري، ساطع، نشوء فكرة القومية، القاهرة، 1951
- 22- خزعل، حسين، الشيخ. تاريخ الكويت، بيروت، 1962
- 23- الخطيب، عبد الكريم. الوهاية، القاهرة، 1974.
- 24- الدباغ، مصطفى. الجزيرة العربية، بيروت، 1963.
- 25- الدباغ، مصطفى. قطر. ماضيها وحاضرها.
- 26- دروزة، محمد عزة. نشأت الحركة العربية الحديثة، بيروت،
- 27- الدقاق، عمر. الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، بيروت، الطبعة الرابعة.
- 28- الرافي، عبد الرحمن. مصر والسودان، في أوائل الاحتلال، القاهرة، 1961.

- 29- رشيد، عبد العزيز. تاريخ الكويت، بيروت، 1978 .
- 30- رضا، محمد رشيد، الوهايون والحجاز، القاهرة، 1925.
- 31- رفعت ،محمد. تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، القاهرة، 1927.
- 32- زلوم ، عبد القادر. عمان والإمارات السبع، بيروت، 1963.
- 33- زياد، نيقولا. ليبيا من الاحتلال الإيطالي إلى الاستقلال ،القاهرة، 1958 .
- 34- سعد الله، أبو القاسم ، 1976. منطلقات فكرية، تونس، 1976 .
- 35- سعيد، أمين. الثورة العربية الكبرى،
- 36- سعيد ، أمين . تاريخ مصر السياسي، من الحملة الفرنسية سنة 1798 إلى انهيار الملكية سنة 1952، مصر، 1959
- 37- السيار، عائشة. دولة اليعاربة ،عمان وشرق إفريقيا في الفترة 1634-1741 ،بيروت، 1957.
- 38- الشرقاوي،محمود . مصر في القرن الثامن عشر، 3 أجزاء ، القاهرة 1957 .
- 39- شكري ، محمد فؤاد. السنوسية دين الدولة، القاهرة ،1948.
- 40- شكري ، محمد فؤاد. مصر والسيادة على السودان،..الوضع التاريخي للمسألة ،القاهرة 1946 .
- 41- شكري، محمد فؤاد. ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ، القاهرة، 1957.
- 42- الشيخ، دكتور رأفت. تاريخ العرب الحديث، القاهرة، 1994 .
- 43- صايغ،فايز. الاستعمار الصهيوني في فلسطين ،بيروت، 1965.
- 44- ألسفدي، احمد الخالدي. تاريخ الأمير فخرالدين الثاني،بيروت، 1936 .

- 45- عبد الرحمن، عبد الرحيم. الدولة السعودية الأولى، الجزائر، 969.
- 46- عبد الله، الطاهر. الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، 1830-1956.
- 47- العقاد، صلاح. تطور السياسة الفرنسية في الجزائر، القاهرة، 1959.
- 48- العقاد، صلاح. التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، 1965.
- 49- العقاد، صلاح. جزيرة العرب في العصر الحديث، القاهرة، 1969.
- 50- العقاد، صلاح. المغرب العربي، القاهرة، 1969.
- 51- صليبا، جميل. الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب العربي الحديث، القاهرة، 1958.
- 52- العابد، صالح محمد. موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798-1810، بغداد، 1978-1979.
- 53- قاسم، جمال زكريا. الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية 1914-1940، القاهرة، 1966.
- 54- قدري، أحمد. مذكراتي عن الثورة العربية، دمشق، 1956.
- 55- قدورة، زاهدة. تاريخ العرب الحديث، بيروت، 1958.
- 56- قدورة، زاهدة. جزيرة العرب. كياناتها السياسية، بيروت، ب. ت.
- 57- القوزي، محمد علي. دراسات في تاريخ العرب المعاصر، بيروت، 1999.
- 58- قلعجي، قدري. الخليج العربي، بيروت، 1956.

- 59- كار، أدورد. ما هو التاريخ ، ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل، كانون الثاني 1980.
- 60- كريم ،عبد الكريم . المغرب العربي في عهد الدولة السعدية، الدار البيضاء، 1978.
- 61- لوريمر، ج. م. دليل الخليج، قطر، 1967.
- 62- لورنس. أعمدة اسليمان. سبعة، بيروت، 1963.
- 63- المؤتمر العربي الاول، مجموعة وثائق، القاهرة، 1913.
- 64- منسي ،محمد صالح. حركة اليقضة العربية، القاهرة، 1969. د
- 65- نحلة، محمد يوسف. تطور الحركة الوطنية التونسية منذ الاحتلال الفرنسي 1881-1956، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بإشراف المؤلف، كانون الثاني 1981.
- 66- نورالدين، زين. الصراع الدولي في الشرق الأوسط، بيروت، 1971.
- 67- الوردى، على. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ملحق الجزء السادس، بغداد، 1979.
- 68- وهبة، حافظ. جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، 1935.
- 69- يحيى، جلال. الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية، القاهرة، 1959.
- 70- يحيى، جلال. العالم العربي الحديث، مصر، 1965.

الدوريات

- 1-أبو نضال،نزيه."مدخل نحو قراءة مادية للتاريخ العربي"،قضايا عربية، العدد الأول،السنة السادسة.
- 2- احمد،عبد العاطي محمد."الإسلام والعروبة في المغرب العربي"،قضايا عربية،حزيران، 1979.
- 3-انيس، محمد."نحو رؤية جديدة لتاريخ العرب الحديث(ندوة)،المستقبل العربي،عدد7، 1979 .
- 4-حسين، عبد الغني."إعادة كتابة التاريخ العربي القومي"، ندوة مجلة المعرفة .
- 5- الحنش ، سلمان.، "إعادة كتابة التاريخ القومي العربي"،ندوة مجلة المعرفة.
- 6 -عبدالله،عبد العزيز،الحركة الفكرية في العهد العلوي ج1-2، مجلة رسالة المغرب،الرباط ،نوفمبر1951.
- 7- العلي، احمد صالح . " حول إعادة كتابة التاريخ العربي، مجلة الباحث،شباط1981.
- 8- قاسمية ، خيرية." نحو رؤية جديدة لتاريخ العرب الحديث (ندوة)، مجلة المستقبل العربي،عدد7، 1979 .
- 9- القاضي،وداد و البشري ، طارق. " التاريخ العربي: كيف نقرأه ، كيف نكتبه، المستقبل العربي ،عدد25، 1981 .
- 10- ندوة جامعة ناصر في طرابلس (نحو رؤية قومية لإعادة كتابة التاريخ العربي ، مجلة الحوار،العدد 7، 1987.

الكتب الاجنبية

1-Antonius, George .Arab Awakening, London.

2-Knightly, Phillip&Simpson, Colin.The Secret Life of
Lawrence of Arabia, England, 1971.

صدر للمؤلف

- المجلس التأسيسي العراقي ،دراسة تاريخية سياسية ،بغداد ،1974.
- الأبعاد القومية لثورة مايس 1941 ،بغداد ،1979 .
- تاريخ أوربا الحديث في القرون السادس عشر وحتى السابع عشر،
الرباط ، 1984 .
- تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر.دراسة في التاريخ والفلسفة ،
الرباط ، 1985.
- العراق وسوريا 1941 ،تأليف جفري ورنر ،ترجمة المؤلف ،بغداد ،
1986.
- الملك فيصل الأول .دراسات في حياته السياسية وظروف مماته
الغامضة ،بغداد ،1991 - الطريق إلى حرب الخليج .دوافع ومقدمات
حرب أمريكا ضد العراق ،عمان،1997 .
- رحلاتي على طريق الحرير ، القاهرة ،2001 .
- تاريخ إب .دراسة في المدينة وما حولها ، منشورات جامعة إب
، 2007.
- خمسة كتب منهجية جامعية ولمعهد المعلمين والثانوية العامة في
مجال اختصاصه ، مؤلف رئيسي بالاشتراك مع آخرين .

- العراق . تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية في فترة
الانتداب البريطاني 1920 – 1932 .
- تاريخ الوطن العربي الحديث . المنهج والوقائع ، دار أيلة للنشر
والتوزيع، عمان، 2011.
- Political Aspects of Iraqi Parlaiment and Election Processes ,1920-
(1978 , London University , Ph.D Thesis .1932إطروحة الدكتوراه)

5	المقدمة
11	الفصل الأول وحدة حركة تاريخ الوطن العربي الحديث
14	شمولية الغزو الأوربي الوطن
18	شمولية المقاومة العربية وتناسقها
30	الوحدة الفكرية العربية بين المغرب والمشرق
	الفصل الثاني: مبادئ ومنطلقات لبناء مدرسة عربية في فهم
47	تاريخنا
	الفصل الثالث: الدولة العثمانية وسيطرتها على الوطن العربي
69	
69	العثمانيون: أصلهم وتكوين دولتهم
69	التوسع العثماني في أوروبا
70	إحتلال الوطن العربي
70	الاسباب
72	إحتلال مصر والشام والحجاز
72	إحتلال العراق والخليج العربي واليمن
	الصراع العثماني البرتغالي في البحر الأحمر والبحر العربي
73	
75	السيطرة على اقطار المغرب العربي
	الفصل الرابع: الأوضاع الإدارية والحركات الإستقلالية العربية
79	
80	الولايات العربية
80	أ- العراق

80	- الأطماع الصفوية في العراق.....
82	- حكم المماليك.....
83	الوالي داود باشا.....
85	العراق بعد داود باشا.....
86	الوالي مدحت باشا.....
87	العراق قبل الحرب العالمية الأولى
88	2- بلاد الشام.....
89	حكم آل العظم في ولاية دمشق:.....
90	ولاية طرابلس (لبنان).....
90	فخر الدين الثاني وتوجهاته العروبية.....
92	الشهابيون وتصاعد الوعي العربي ضد الأتراك.....
	الفتن الطائفية لطمس الهوية العربية بعد الشهابيين
94	
	ظاهر العمر وحركته العربية الاستقلالية في ولاية صيدا)
96	(فلسطين)
99	نهاية ظاهر العمر ومصير بلاد الشام.....
101	3- مصر والسودان.....
101	أ- مصر في العهد العثماني الول.....
102	علي بك الكبير واستقلال مصر
106	ب- الاحتلال الفرنسي لمصر.....
108	ج- مصر في العهد العثماني الثاني.....
109	محمد علي باشا ومشروعه العربي النهضة.....
113	نهاية محمد علي باشا ومشروعه النهضة.....

115	د- السودان والثورة المهدية.....
117	الثورة المهدية.....
117	اسباب الثورة.....
118	الدعوة المهدية وعملياتها العسكرية.....
120	نهاية الثورة واحتلال بريطانيا للسودان.....
121	4- المغرب العربي.....
123	أ- الجزائر.....
124	1. عهد البالارياي.....
125	2. عهد الولاة.....
125	3. حكم الأغوات.....
125	4. عهد الدايات.....
126	ب- ولاية تونس
127	ج- ولاية طرابلس الغرب (ليبيا).....
128	العهد العثماني الأول.....
129	الوالي احمد القرمانلي وأسرته.....
134	العهد العثماني الثاني ومقاومته.....
135	د- المغرب الأقصى (مراكش).....
137	5. شبه الجزيرة العربية.....
137	أ. اليمن.....
138	اليمن قبل الاحتلال العثماني.....
143	الاحتلال العثماني الأول لليمن.....
145	محمد علي باشا واحتلال البريطانيين لعدن.....
147	الاحتلال العثماني الثاني.....

150	ب- نجد والحجاز.....
151	الدعوة الوهابية وآل سعود.....
153	الإمارة السعودية الأولى.....
155	حملة محمد علي وإسقاط إمارة السعوديين.....
156	الإمارة السعودية الثانية.....
	التطورات السياسية في نجد والحجاز حتى قيام الحرب العالمية
157	الأولى.....
159	ج- الخليج العربي.....
159	عمان والغزو الأوروبي
163	ساحة المقاومة.....
166	المقاومة العربية في إقليم الإحساء:.....
167	فطر.....
170	البحرين.....
172	الكويت.....
181	الفصل الخامس: الإستعمار الأوروبي والمقاومة العربية ...
	1- ضعف الدولة العثمانية والاحتلال الأوروبي للمغرب العرب
181	ومصر.....
182	2- الاحتلال الفرنسي والمقاومة العربية في الجزائر.....
188	3- الاحتلال الفرنسي والمقاومة العربية في تونس.....
189	4- الاحتلال البريطاني والمقاومة العربية في مصر.....
190	قناة السويس والديون المصرية.....
191	الاحتلال وثورة احمد عرابي.....
193	5- إحتلال ليبيا والمقاومة العربية.....

194	اسباب الاحتلال
195	الاحتلال والمقاومة
199	6- احتلال المغرب الأقصى والمقاومة المغربية.....
200	الاحتلال
200	العوامل الداخلية والخارجية للاحتلال
203	- المقاومة.....
203	المقاومة في فاس والصحراء والأطلس الوسط
205	المقاومة في جبال الريف بقيادة عبدالكريم الخطابي...
211	الفصل السادس: النهضة العربية
212	1- الحركة الفكرية وإحياء التراث العربي.....
221	2- الجمعيات والأحزاب السياسية العربية.....
223	3- المؤتمر العربي الأول عام 1913م.....
226	4- دور الحركة الشعرية العربية في التهيئة للثورة.....
229	5- ميثاق دمشق ومراسلات حسين مكماهون.....
232	6- غتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور.....
234	7- الثورة العربية عام 1916.....
237	قيام الحكومة العربية في دمشق
239	إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا
241	الاحتلال الفرنسي لسوريا والمقاومة
243	8- لبنان.....
248	9- فلسطين.....
248	مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث واحتلالها
249	المقاومة

251	 أسباب إنتفاضات العشرينات
251	 أسباب ثورة البراق عام 1929
252	 نتائج ثورة البراق
252	 ثورة 1936
254	 10- العراق
259	 11- الأردن
269	 الخاتمة
273	 المصادر والمراجع
58 - 3	 الملاحق